

من المسرح العالمي

١٢٤

مكبث

تأليف : وليم شكسبير
ترجمة : جبرا ابراهيم جبرا
تحقيق وتقديم : كينيث ميوار

تصدر عن
وزارة الاعلام
الكويت

أول يناير ١٩٨٠م

سلسلة من المسرح العالمي

سلسلة يشرف عليها

أحمد مشاري العدواني

حمد يوسف الرومي
الوكيل المساعد للشئون الفنية

د. طه محمود طه
أستاذ الأدب الإنجليزي الحديث
جامعة الكويت

المراسلات باسم :

الوكيل المساعد للشئون الفنية
وزارة الإعلام
ص.ب ١٩٣



١٢٤



من المسرح العالمي

مكبث

تأليف: وليم شكسبير
ترجمة: جبرا ابراهيم جبرا
تحقيق وتقديم: كينيث ميوار

أول يناير ١٩٨٠

تصدر عن: وزارة الاعلام - الكويت

أسرة 11

من مقدمة طبعة اردن بقلم كينيث ميوار *

١ ـ نص المسرحيـة

xi نشرت **ماساة مكبث** لأول مرة يوليو عام ١٦٢٣ ، وهى تعقب **يوليوس قيصر** ، وتسبق **هاملت** . وبما أن المسرحية مذكورة فى (سجل الوراقين) بأنها احدى المسرحيات (التى لم يسجلها سابقا باسمه احد) لنا اذن أن نفترض انها لم تنشر فى قطع الكوارتو . الفصول والمشاهد ، فيما عدا شواذ معينة أشرنا اليها فى الهوامش ، مذكورة فى الفوليو ، ولكن ليست هناك قائمة بأشخاص المسرحية .

طبعت **مكبث** عن احدى نسخ التلقين ، او نسخة منقولة عن احداها ، لأن فى النص ارشادات مسرحية مزدوجة ، مما يسم عادة نسخة كهذه . وقد قال محررو طبعة كمبردج أن نصها « من اسوأ ما طبع من المسرحيات » ، وراوا انها طبعت عن نسخة منقولة عن مخطوطة المؤلف ، « وهذه لم تكن قد نسخت فى معظمها عن الاصل ، بل أمليت املاء » . لانكاد نجد دليلا على الاملاء ، غير أن ثمة عددا من الأغلاط قد يفسرها أن ناسخ المسرحية لدار الطباعة كان على اطلاع بها على المسرح فنسخ اخطاء الممثلين . وصاحب هذه النظرية ، الدكتور دوفر ولسون ، يستشهد على ذلك بخمس كلمات أوست ، قد يكون سببها خطأ من الممثل أو سوء سمع من الناسخ . ومن الجائز تماما أن يخطىء الناسخ أخطاء تبدو سمعية أكثر منها بصرية . وتفسيرها بسيط اذ يخيل الى ان معظم ناسخى الشعر يتلون الأبيات على انفسـهم ـ بصوت عال أو صمتا بصوت داخلى ـ فيأتون أخطاء كالتي يأتيها ناسخ عن املاء .

(*) ترجم المقدمة من طبعة آردن جبرا ابراهيم جبرا وراجعها طه محمود طه .

Macbeth : Ed. by Kenneth Muir, London, 1976.

The Arden E ition of the Works of William Shakespeare.

بل انهم فى الواقع يملون على انفسهم . ويزداد احتمال وقوع أخطاء كهذه عندما لايطلب الى الناسخ ان يحترم كل حرف وفارزة فى الأصل ، وحيثما يكون هو عارفا بخط الكتابة .

والمسرحية قصيرة بصورة شاذة ، فهي من اقصر مسرحيات شكسبير . يقول د . غريغ :

« أما أن تعود كثرة المشاهد القصيرة ، أساسا ، الى الحذف أو الى أسلوب درامي غير مألوف فأمر لعلنا لانتأكد منه . غير أن ثمة دلالة واضحة على الحذف فى بعض الأماكن حيث ترد أبيات قصيرة فجائية يرافقها غموض فى النص ، كما أن ثمة بعض المصاعب فى تركيب الجمل » .

ويظن الاستاذ اف . بي . ولسون ان بعض الحذف مرده الرقابة . ويشير آر . سي . بولد الى الارشادات المسرحية بخصوص المشاعل فى مشهد نهارى (١ ، ٦) ويرى أنها لابد تشير الى حفلة داخلية فى مسرح بلاكفرايرز ، او الى حفلة اقيمت ليلا فى البلاط الملكى ، « لان الحفلات الليلية المسجلة فى هذه الفترة هي فقط تلك التى اقيمت فى البلاط . » وقصر المسرحية فى ظنه يعود الى أنها مثلت فى البلاط . ولكن لنا ان نقدم تفسيرا آخر للمشاعل (كما سيجد القارىء فى الهامش الوارد عندها) ، ورغم اننى لا اشك فى أن المسرحية مثلت فى البلاط ، فانني يصعب علي ان أصدق ان المشاهد التي حذفت من هذه الحفلة لم تحفظ الى حين تقدم المسرحية فى المسرح العام .

اما أن ثمة مقحمات فى المسرحية فأمر متفق عليه عموما . ولعله كان ثمة ماحذف من المسرحية ليوازن ما أقحم . فالنص يشوهه اضطراب فى الأسطر ، مما يوحي بأن شيئا أضيف اليه او حذف منه ، وسبب هذا التباسا للطباع او الناسخ . ويقول دوفر ولسون ان اضطراب الأسطر هذا ظاهر على أشده فى المشهد الثانى من المسرحية ، وانه « ينقص بشكل ملحوظ اذ تتنافى المسرحية » . وان عملية الاختصار كانت بعض السبب فى ذلك . ولكن علينا ان نذكر ان الدكتور ولسون لا يخالف ترتيب الاسطر فى الفوليو الا فى خمسة اماكن فى ١ . ٢ ، وفى بعض هذه نستطيع ان ندافع عن الفوليو . وهو يخالف الفوليو اكثر من ذلك فى ١ . ٣ ، ٢ . ٣، حيث يتأثر اكثر من عشرين بيتا بالاضطراب السطرى ، مع

xiii انه لايشتبه فى اى اختصار هناك ، على خلاف مايرى جون ميسفيلد . انه من الخطر تقديم اية نظرية حول الاضطراب الشعرى . ولا بد من القول ان الخطأ الانسانى مهما يكن نوعه هو السبب . ولو من المحتمل ان المسرحية تعرضت لبعض الحذوف لاخلاء المكان للمقتحمات الواردة على لسان هكاته ، ربة الساحرات .

الاستاذ فلاتر يقف وحيدا بين الباحثين فى اعتقاده بأن نص الفوليو لـ **مكبث** لايشير الى اى تدخل من محرر ، وأن الذى يمكن ان يستشف فيها هو يد شكسبير نفسه وهي توجه الاخراج . الا أن ترافرسي يحذرنا ايضا من الافتراض بأن مصاعب النص يمكن ردها الى مافيه من حذوف :

« كثيرا مانجد شعر **مكبث** عند القراءة الأولى فجائيا وغير متصل ، بحيث أضطر بعض النقاد الى الاندفاع بحثا عن ثغرات فى النص . غير ان العبارات الصعبة لاتبدو ابدا كذلك نتيجة للحذوف . بل انها بالأحرى ضرورية لأحاسيس المسرحية » .

والنص الحالي ، فى رايي ، أقرب النصوص الى الفوليو الاول منذ القرن السابع عشر ، وبخاصة من حيث الترتيب السطرى . من المحتمل اننى تأثرت بهذا بالاستاذ فلاتر ، ولو اننى لم استطع دائما قبول آرائه دونماتحفظ . انى أتفق معه على ان « اضطرابات » شكسبير كانت مقصودة ، ولكن ليس من الممكن دائما أن نميز بين هذه الاضطرابات وبين تلك التي كان الناسخ ، او الطباع مسئولا عنها . وما دام الأمر هكذا ، فلا بد من حل للاشكال هو بين بين .

٢ ـ تاريخ المسرحية

اول تقديم لـ **مكبث** مدون يرد فى مخطوطة الدكتور **سايمون فورمان « كتاب المسرحيات والملاحظات عليها** بقلم فورمن للصالح العام » ، وفيها وصف للحفلة التى قدمت فى مسرح الـ « غلوب » فى ربيع عام ١٦١١ .

xv **ولئن تكن هذه الحفلة اول حفلة مسجلة بالفعل ، فان لنا أن نؤكد ان المسرحية كانت موجودة قبل عام ١٦١١** بأربع

سنوات ، بسبب أصدائها فى مسرحيات معاصرة ، ففي « لينفوا » (نشرت عام ١٦٠٧) اصداء محتملة للمشهد الاول من الفصل الثاني ، ومعارضة ساخرة لمشهد نومشه الليدى مكبث . وهناك اشارات الى شبح بانكوو ، فى «البيوريتانى»، ٢ ، ٤ ، ٣ ، ٨٩ :

« وعوضا فى المضحك يجلس الشبح فى ثوب ابيض على راس المائدة .. »

وفى « فارس المدق المشتعل » لبومونت فلتشر ، ٥ - ١ ، ٢٦ وما بعده :

ساعة تكون على مائدتك مع صحبك ،
ضاحك القلب ، تملأك الخمر والنشوة ،
سأدخل وسط فخفختك ومرحك ،
لايراني من الرجال أحد سواك ،
واهمس فى اذنك حكاية حزينة ،
تجعلك تسقط الكأس من يدك ،
وتقف صامتا شاحبا كالموت ذاته .

نشرت « البيوريتانى » عام ١٦٠٧ ، ومثلت **فارس المدق المشتعل** على الأرجح فى العام نفسه . فاذا سمحنا للمسرحية الأولى بشيء من الزمن الذى لابد منه لكتابتها وتمثيلها فنشرها ، غدا من المؤكد تقريبا أن **مكبث** مثلت عام ١٦٠٦ . ومن الناحية الاخرى ، فان الاشارة الى « سقام الملك » (٤ ، ٣) والكرتين والصولجانات الثلاثة فى أيدى احفاد بانكوو (٤ ، ١) ، لابد انها كتبت بعد مجيء جيمز الاول الى العرش عام ١٦٠٣ .

اذن ، كتبت المسرحية بين ١٦٠٣ ، ١٦٠٦ . والاشارات الى الكلام بلسانين (٢ ، ٣ ، ٩ وما بعده) ، وشنق الخونة (٤ ، ٢ ، ٤٦ وما بعده) ، لابد أنها كتبت بعد محاكمة الاب غارنيت (٢٨ آذار ١٦٠٦) لضلوعه فى « مؤامرة البارود » (لنسف البرلمان الانجليزى) . والكلمات « لم يستطع ان يتكلم الى السماء بلسانين » . توحي بان القول كتب بعد موت غارنيت شنقا (فى ٣ أيار) . وقد ذكر شكسبير التكلم بلسانين قبل ذلك فى **هاملت** (٥ ، ١) ، غير ان تحميل الكلام

xvi

معنيين متناقضين كان قد أصبح من المواضيع الملحة فى ربيع وصيف عام ١٦٠٦ . هذا ماكتبه جون تشيمبرلين الى ونوود يوم ٥ نيسان :

« وهكذا بحيلة من الحارس، جعل غارنيت فى فردوس مجنون ، فكانت له احاديث شتى مع « هول » ، زميله الكاهن المسجون معه فى القلعة ، تسمع اليها جواسيس نصبوا لذلك الغرض . ولما اتهم بها . انكرها بشدة ولكنه عند الالحاح عليه ، والتلميح له بأنهم يعلمون بها ، ثابر على نكرانه ، مقسما بروحه وخلاصها ، ان حديثا كهذا لم يجرقط ، الى ان جوبه فى النهاية بالكاهن هول . فاضطر الى الاعتراف ، ولما سئل الآن فى هذا المحضر كيف يبرر قسمه زورا اجاب ، ما دام يظن بان لادليل لديهم فانه غير مجبر على اتهام نفسه ، ولكنه عندما وجد أن لديهم الدليل ، فانه لن يطيل تمسكه بقوله . وبعدها راح يتحدث طويلا دفاعا عن الكلام بمعنيين موردا تمييزات كثيرة ضعيفة وسخيفة » .

وقد اعترف غارنيت بأن الكلام بمعنيين مبرر فقط عندما يلجأ اليه لغرض صالح ، ولكنه جادل قائلا اذا كان القانون جائرا ، فانه ليس ثمة خيانة . وقد توسل الى الله أن « ينجح العمل العظيم بخصوص القضية الكاثوليكية فى بداية انعقاد البرلمان » وأنكر ان فى هذا اشارة الى مؤامرة البارود . وادعى انه لايستطيع ان يكشف عن المؤامرة لانه علم بها عن طريق الاعتراف .

وعندما سئل ايجوز ان ينكر ، مقسما بكهنوته ، انه كتب الى غرينويل ، او انه تشاور مع هول ، وهو يعلم ان نكرانه كاذب ، اجاب ان فى رايه وفى راى العلماء جميعا ان الكلام بمعنيين يمكن تأكيده قسما او بالقربان ، ونما اعتباره زورا ، « اذا اقتضت ذلك الضرورة العادلة » . وفى أثناء محاكمته عذر غارنيت رجلا كان قد أقسم زورا وهو على فراش الموت قائلا : « لعله يامولاى اراد ان يتكلم بمعنيين » . واخيرا ، اود ان استشهد بددلى كارلتون الذى يذكر فى رسالة كتبها لجون تشمبرلين فى ٢ أيار تأجيل اعدام غارنيت ودهشته حين اخبروه بالحكم عليه بالموت . ثم يقول ان اليسوعى يتنقل ، ويتلعثم ، ويتكلم بمعنيين ولكنه « سينشق دون معنيين » . هذه النكتة الجهمة الخليفة ببواب قلعة

xvii

مكبث ، يذكرها الأستاذ ستنز في مقال له عن تاريخ كتابة **مكبث** ، ويسمتر ليقول ان اشارات البواب الى السكر والفحش هي أيضا تستهدف غارنيت ، الذي جعل يعزى نفسه باغراق همه بالبنيد ، واتهم بهتانا بالزنى مع السيدة فوكس ، وهو قدح فنده فى خطاب ألقاه من على منصة المشنقة . اما انا فلا ارى تضمينا من هذا القبيل فى مايقوله البواب عن الشراب والفحش . وقد قال بعض النقاد ان شكسبير أقحم اشارات الى الكلام بمعنيين ارضاء لذوق الملك جيمز الاول او الجمهور : وهي قد راقت للجمهور ولاشك ، غير أننا مقتنعون بأن شكسبير بما يحمله من آراء حول « النظام » ما كان الا ويتفق مع سيده الملكي فى سخطه على « الحريق الرهيب » الذى كانت مؤامرة البارود ستنتهى اليه لو نجحت .

وقد كتب اللورد سالزبرى مقالا بعنوان « جواب على أوراق فاضحة معينة » ــ وهو فضح للكلام بمعنيين ــ كان يقراه الناس بنهم منذ ٥ شباط ١٦٠٦ ، غير ان الكلام بمعنيين غدا موضوعا أشد الحاحا أيام محاكمة غارنيت واعدامه التى سبقت ولا ريب كتابة أقوال البواب فى « مكبث » .

وهناك سجل بان المسرحية قدمت فى « بلاط هامبتون » فى ٧ آب ، ١٦٠٦ أمام الملك كريستيان ، ملك الدانمرك . والملك جيمز الاول . وكانت تلك اول مرة تقدم فيها المسرحية . او ، كما يعتقد الاستاذ مكماناوى ، « اول مرة تقدم فيها مسرحية شكسبير بشكلها المختصر » .

٣ ــ المقحمات

xxii لكان جهدا بلا طائل لو فصلنا كل العبارات فى **مكبث** التي يعتبرها منحولة هذا الناقد او ذاك . وقد أشرنا الى الكثير منها فى هو امشنا عند ورود هذه العبارات . اهمها مايلى :

١ ــ الفصل الاول، المشهد الاول : يعتقد كننغهام انه من قلم ميدلتون .

٢ ــ الفصل الاول ، المشهد الثانى : محررو طبعة كلاريندون وكننغهام يشتبهون بأن الذى كتبه هو ميدلتون .

وكما قلت انا ، فان شكسبير كان يتقصد هنا الكتابة باسلوب « ملحمى » .

xxiii ٣ ـ الفصل الاول ، المشهد الثالث ، ١ ـ ٣٧ ، محررو طبعة كلارندون وكننغهام يعتقدون انها من قلم ميدلتون .

٤ ـ الفصل الثاني ، المشهد الثالث ، ١ ـ ٢١ : يعتقد كولريدج ومحررو طبعة كلارندون ان هذه الاسطر أقحمها الممثلون ، وربما اقحموا ايضا الحوار الماجن الذى يليها ، ٢٦ ـ ٤٠ .

٥ ـ الفصل الثالث ، المشهد الخامس : معظم المحررين يعتبرون هذا المشهد منحولا .

٦ ـ الفصل الرابع ، المشهد الاول ، ٣٩ ـ ٤٣ ، ١٢٥ ـ ١٣٢ : معظم المحررين يعتبرون هذه الاسطر منحولة .

٧ ـ الفصل الرابع ، المشهد الثانى ، ٣٠ ـ ٦٣ : يعتقد كننغهام ان هذه العبارة منحولة .

٨ ـ الفصل الرابع ، المشهد الثالث ، ١٤٠ ـ ١٦٠ : يعتقد محررو طبعة كلارندون ان هذه الاسطر مقحمة .

٩ ـ الفصل الخامس ، المشهد الثانى : محررو طبعة كلارندون فى شك من أصالة هذا المشهد .

١٠ ـ الفصل الخامس ، المشهد التاسع ، محررو طبعة كلارندون يعتقدون أن فى هذه العبارة « آثارا واضحة لقلم آخر » .

معظم هذه فى غنى عن المزيد من النقاش . فقد برهن الاستاذ نوزويرذى على أصالة البنيدين الثانى والعاشر . ودافع الاستاذ نايتس وآخرون عن البندين الاول والثالث . وكل من اعتبر البنود السابع والثامن والتاسع منحولة فقد اخفق فى تقديم الدافع على ذلك . وهكذا يتبقى لدينا البنود الثلاثة ، الرابع والخامس والسادس ، أما البند الرابع فيستحق المناقشة لانه شطط أتاه واحد من أعظم النقاد. اما البندان الخامس والسادس ، فاننى اتفق مع المحررين السابقين فى اعتبار هذه المقاطع منحولة ، ولكننى ارى انهم استسهلوا الامر اكثر مما ينبغي حين قالوا ان الذى أقحمها هو الشاعر ميدلتون .

مشهد البواب :

قلنا الكفاية ، عند الحديث عن تاريخ المسرحية ، للتدليل على بعض مغزى مشهد البواب . لايكاد يتفق ناقد واحد اليوم مع كولردج فى رأيه بان المونولوغ الذى يبدأ به المشهد ـ باستثناء جمله واحدة هى بكل وضوح شكسبيرية* ـ اقحمه الممثلون فى المسرحية . المشهد، مسرحيا، ضرورى، لأن على الممثل الذى يلعب دور مكبث ان يبدل زيه ويغسل يديه ، وكما قال كامبل ، كان من الضرورى ان « تعطى فسحة معقولة لأداء هذه المهام » . وشكسبير كان على خبرة تامة بالضرورات المسرحية . ولكن لو كان وجود هذا المشهد لابد منه لهذا السبب وحده ، لبقي الاحتمال قائما بأن قلما غير قلم شكسبير هو الذى كتبه .

xxiv كان لابد من مشهد مابين خروج مكبث ودخول مكدف . ولكن هذا لا يفسر لماذا اختار شكسبير بوابا مخمورا فى حين كان بوسع بواب صاح يغني أغنية غرامية أن يفي بالمراد ـ كما جرى فى احدى النسخ الالمانية . الترويح الكوميدى مصطلح ملائم ، ولكنه لايفي بحاجتنا الى الدليل . لأن لنا ان نحسب ان بامكان شكسبير ان يهيىء لنا هنا ترويحا غنائيا : اذا كان الترويح هو المطلوب . وكما اشار كولردج ، فان شكسبير لايأتى بما هو كوميدى « الا عندما يتسنى له ان ينعكس على المأساة بالتضاد المتناغم » . فالدرامى العظيم لايجهد فى خلق مشاعر التوتر والشدة لكيما يبددها بالضحك . وهو قد يستخدم الفكاهة احيانا كموجه للضحك: كي يمنع الجمهور عن الضحك فى المكان الخطأ أو من الأشياء الخطأ ، فينال ذلك من سمو البطل . وفى حالتنا هنا ايضا لانستطيع ان نتفق مع أولئك النقاد الذين يحسبون ان وظيفة البواب هي ان يخفف مافى المشهد من رعب . بل ان أثر مشهد البواب ، على العكس ، هو نقيض ذلك تقريبا . فالمشهد قائم هنا ـ لااقول بالنسبة للحائشة ، بل بالنسبة للذين هم أعمق حكما ـ طلبا للمزيد من رعب الموقف . فلا يتاح لنا طوال المشهد كله أن ننسى الجريمة التى اقترفت والتي هي على وشك ان تتكشف . فاذا ضحكنا ، فان ضحكنا ليس ضحك النسيان .

---

* هى : « يطرقون درب الزهور المؤدى الى المحرقة الابدية » .

لعله مما يتفق والخلق القومي الاسكوتلندى ان البواب اذا انتشى راح يتحدث على نحو كالفيني صحيح عن عذاب الآخرة . وهو يقدم لنا هويته فى مستهل كلماته بأنهالشخصية التقليدية المعروفة فى « مسرح المعجزات » القروسطى ، حارس بوابة الجحيم ، وهذا ينتظر منه ان يطلق النكات ، غير أنه اكثر من مجرد مضحك . وكان الغرض من الربط بين البواب هذه الشخصية التقليدية ذا شقين : فهو ، أولا ، ينقلنا من قلعة انفرنيس الى بوابة الجحيم ، دون ان ينتهك وحدة المكان ؛ لأن ما على شكسبير الا ان يخبرنا باسم المكان الذى كنا فيه من قبل . انها بوابة الجحيم لأن الليدى مكبث قد استنجدت بارواح القتل ووصيفاته ، ولان الجحيم حالة وليست مكانا ، وقد يقول القتلة ، مع مفستوفوليس :

حيثما نحن هناك الجحيم ،

وحيثما الجحيم ، هناك علينا ان نكون .

والشق الثانى من غرض شكسبير من تذكيرنا بمسرح المعجزات هو أن ذلك يمكنه من قطع الحبل الذى يربط مأساته ببقعة معينة من المكان والزمان ، فتغدو تعميمية كونية من ناحية ، او معاصرة من ناحية أخرى . ولذا يمكن لمأساة مكبث ان تتبدى كسقوط ثان ، تكون فيه الليدى مكبث حواء ثانية ، او تتبدى كأمر معاصر مخيف . وكما يقول السيد بيثيل :

XXV

« ان العنصر التاريخي يبعد ويشيىء ماهو معاصر والعنصر المعاصر يضفي مغزى اليوم على وضع تاريخي . فالمتكلمون بلساني او معنيين ، مثلا ، كانوا قد تآمروا على قتل الملك ، كما تآمر مكبث : وقتل مكبث للملك اوقعةفى حياة من الكلام بمعنيين . ان مايملأ جو«مكبث» من الخيانة والشبهة وجد له موازيا فىانكلترا ايامؤامرة البارود ، فيكون فى الاشارة العابرة مايساعد فى تحديد موقف من نظام مكبث ومن الشؤون المعاصرةفى آن معا» .

اشارة البواب فى كلامه الى الخيانة تعود الى أمير كودر الذى تم اعدامه ، وهو الامير الذى كان الملك دنكن قد وضع فيه ثقته المطلقة ، وهى ايضا تتطلع الى الحوار بين الليدى مكدف وابنها ، والى الامتحان الطويل الذى سيجرى بين مكدف ومالكولم ، ابن الملك ، وهو الذى يظهر الشبهة والريبة

اللتين مبعثهما النفاق واللعب بالكلام . ولسوف نرى مكبث فى أواخر المسرحية يشكو من

كلام الشطان بلسانين
اذ يكـذب كالصـدق
كما يشكو من هذه الشياطين المشعوذة
التي تخاطبنا بمعنيين اثنين معا ،
تحفظ كلمة الوعـد للاذن منـا
وتنقضها لرجائنـا .

وكما دلل الاسـتاذ داودن ، فان مكبث عند ظهـور ثانية (بعد كلام البواب) ، يضطر الى الكلام بمعنيين . وثم لاحقا فى المشهد نفسه كلام من هذا القبيل اشد لفتا للنظر

لو مت قبـل هـذا الطارىء بساعـة
لكنت قد عشت زمانا مباركا . فمنـذ اللحظة هذه
لم يبـق ما هو جحاد فى المصير البشرى .
كل شيء الهيـة : علو السمعة قضى . والحسـر
مـات .
ونفذت خمر الحياة ، ولم تبق الا الحثالة
يتباهي بها قبو الارض هـذا .

ان المشاهدين يعلمون ، كما سيعلم مكبث نفسـه ــ وا

XXVi أنه هنا يحاول أن يخدع الآخرين ــ ان فى هذه الكلمات وصـ دقيقا للحقيقة بشأنه . واذا كلام مكبث بلسانين يصـبح بانعطاف المفارقة ، كوجها من أوجه الحقيقة . انه مـوا رائع لكلام الشيطان بلسانين اذ يكذب كالصدق ، انه كلا القاتل بلسانين اذ ينطق صدقا كالكذب . هذا الكلام بمعنيه اذن يتصل باحدى الثيمات الرئيسـية فى المسرحية ، وكـا المتكلم بلسانين سيلقى مكانه فى مشهد البواب لو لم يوجـ الاب غار نيت قط فى قيد الحياة .

وعلى الغرار نفسـه ، ثمة تقابل بين شـذوذ المزار الجشع وبين الصور الطبيعية للنمو والحصاد المنتشرة خلال المسرحية . وهو « متصل بالمتكلم بلسـانين ، لان الا غارنيت قد تنكر باسم «فارمر» (أى « مزارع » بالانكليزية) وحتى للخياط مكانة فى خطة المسرحية ، لكثرة ما فيها م صور الملابس المجازية .

ثم أن أسلوب هذا المشهد لا يمكن القول بأنه غير شكسبيري . وقد دلل برادلي على أوجه شبه بين مونولوغ بومبي حول نزلاء السجن في **الصاع بالصاع** وبين مونولوغ البواب ، وكذلك بين حوار بومبي مع ابهورسن (٤، ٢، ٢٢ وما بعده) وبين الحوار الذي يتلو مونولوغ البواب . ولنا أن نزيد على ذلك فنقترح ان بعض كلام البواب ـ الذي كثيرا ما ينفح ويحذف في طبعات **مكبث** حتى لا يكاد يبقى له وجود ـ يهيىء لنا مفتاحا ثمينا لاحدى ثيمات المسرحية . انه يتحدث عن أثر الشراب ، جوابا على سؤال مكدف : « ما الاشياء الثلاثة التي يثيرها الشراب خاصة ؟ .

« انها ، والله ياسيدي ، احمرار الانف ، والنعاس ، والبول . أما الفحش ، يا سيدي ، فالشراب يثيره ويخمده : فهو يثير الشهوة ، ولكنه يقضي على الاداء . ولذا فان الشراب الكثير يمكن ان يقال انه يخاطب الفحش بلسانين : يسويه ، ويفسده ، يهيجه ، ويكبحه ، يغريه ، ويحبطه ، ينهضه ولا ينهضه : وختاما يخادعه فينومه ، واذ يبطحه يتركه » .

الشراب ، « يثير الشهوة ، ولكنه يقضي على الاداء » ـ هذا التضاد بين « الشهوة » و « الفعل » مرات عديدة في أثناء المسرحية . فالليدي مكبث ، اذ تستدعي أرواح الشر ، ترجوها أن تمنع عنها اي وازع من شفقة يزورها من الطبيعة ليزحزح مأربها الرهيب ،

أو يقيم سلما بينه

وبين تحقيقه !

أي ، يتدخل بين غرضها وتحقيقه. وبعد ذلك بمشهدين نراها تسأل زوجها :

هل يخيفك   xxvii

ان تكون في فعلك وشجاعتك
ما أنت في التمني ؟

وفي آخر مشهد تظهر فيه أخوات القدر (٤ ، ١) يعطينا مكبث بعض التنويع على الثيمة ذاتها :

الغاية الحثيثة لا يلحق ابدا بها
اذا ما الفعل رافقها . منذ اللحظة هذه ،

سيكون أول خاطر فى قلبى
أول ما فى يدى . وفى هذه الساعة بالذات
لكيما أتوج كل فكر لي بفعل ، لن أفكر الا لانفـذ . . .
هذا الفعل سـأفعله ، قبل ان يبرد العزم .

ولهذا المقطع صلة بما يقوله مكبث لزوجته فى نهـاية مشـهد الوليمة :

فى رأسى أمور غريبة ستنتقل الى يدى ،
لابد من فعلها قبل ان ينظر فيها أحد .

والتضاد بين اليد وبين الاعضاء والحواس الاخـرى يتردد مرة بعد مرة . مكبث يلاحظ عمل أعضائه بموضوعية غريبة : وعلى الاخص يتكلم عن يده كأن لها كيانا مستقلا عن كيانه . فهو يحث عينه على التغاضي عن يده . وعنـدما يرى الخنجر الوهمي ، يقرر ان عينيه اصبحتا أضـحوكة حواسـه الاخرى ، والا فهما تسويانها جميعا . وفى الخطاب نفسه فيما بعـد تبدو حتى خطواته كأنها منفصلة عنه :

لا تسمعى خطاى ، وفى اى اتجاه تسير ، لئلا
تفصح الحجارة نفسـها عن مكانى ،

وبعد مقتل دنكن يصاب القاتلان بهوس بشأن ايديهمـا الدامية . ومكبث يتحدث عن يديه بأنهما « منظـر بائس » وانهما « يدا جلاد » ــ اذ كان على الجلاد ان يقطع أشـلاء ضحيته . والليدى مكبث تحثه على غسل « هذا الشاهد القذر عن يديك » ، وفى الكلام الرائع الذى يتلو خـروجها . يتساءل مكبث :

أى يدين هنا ؟ . هه ! انهما تقلعان عينى .
أو هل تغسل بحار نبتون العظيمة كلها هذا الدم
عن يدى فتنظف ؟ لا ، بل ان يدى هذه
لسوف تضرج البحار العارمة ،
وتجعل الاخضر احمر قانيا .

فى السطر الاول من هذه العبارة يبدو التضاد بين اليد والعين قويا ، مهلوسا ، وتثابر الليدى مكبث فى وهمها بأن قليلا من الماء سـتبرئهما فى فعلتهما ــ وهو وهم عليها أن تفكر عنه فيما بعد فى مشهد النومشة . وقبيل مصرح بانكوو ، يضرع مكبث الى الليل قائلا :

xxviii واعصب العين الحنون من النهار الشفيق
وبيدك الخفية الدامية
الغ ، ومزق قطعا ، ذلك العقد العظيم
الذى يبقينى فى شحوب !

بهذا تكون اليد الدامية الان قد فصلت كليا عن مكبث وامست جزءا من الليل . ونذكر فيما بعد مسلسل هذه الصور نفسها عندما يعلن انفس أن مكبث يشعر ان « جرائمه الخفية لاصقة بيديه » .

كلمات البواب عن الفحش لها أيضا مغزى آخر . انها مكتوبة على طريقة الموضوعة وضدها : يثير ــ يخمد ، يثير ــ يقضى على ، الشهوة ــ الاداء ، يسوى ــ يفسد ، يهيج ــ يكبح ، يغرى ــ يحبط ، ينهض ــ لا ينهض . هنا ، مركزة فى بضعة اسطر ، نجد أحدى الميزات الرئيسية فى أسلوب المسرحية عموما : انه يتألف من العديد من الاضداد . وماعلى القارىء الا أن يلقي نظرة سريعة على أية صفحة من «مكبث». لنا ان نقرن هذه الخصيصة الاسلوبية مع « الصراع بين الهدم والخلق » الذىوجده الاستاذ ولسون نايت فىالمسرحية ونقرنهما كذلك مع التضاد الذى دلل عليه ما بين الليل والنهار ، الحياة والموت ، النعمة والشر . والمونسنيور كولب يتحدث كذلك عن المسرحية باعتبارها « صورة معركة خاصة فى حرب شاملة » ــ والحرب هي بين الخطيئة ونعمة الله ــ ويعلن ان .

« هذه الفكرة تصورها وتؤكدها كلمات وعبارات أكثر من ٤٠٠ مرة ... ما من مشهد فى المسرحية الا وقد تلون بها . ويقوى الاثر الاخير التقابل الثنائى الذى لاحظناه سابقا ــ الظلام والنور ، كأمثولة ، النشاز والتناغم ، كنتيجة » .

بيد أن المسرحية تحوى اضدادا كثيرة لانجدها مبوبة تحت عناوين مثل ملاك وشيطان ، خير وشر . فقد نقول ان الصورة المتواترة للملابس التى لا تلائم لابسها هي ضرب، xxix من التضاد الصورى ، تضاد بين الانسان وملابسه ، كما فى الاسطر التالية :

انه الان يشعر ان لقبه
فضفاض عليه ، كثوب عملاق
على لص قزم .

وثمة صورة مترددة أخرى قد تعتبر تضادا بين الصورة والشيء الذى تصوره :

النائمــون ، والمــوتى ،
ان هم الا صور مرسومة . وعين الطفولة وحدها
تخاف شيطانا مرســوما .
ما هذا الا رسم من خوفك .
انفضوا عنكم ناعم النوم هذا ، مزيف الموت ،
وحدقوا فى الموت نفسه ! ـ انهضوا ، وانظروا
صورة يوم القيامة الكبرى (

هذه الصــور ترتبط بالكــلام بمعنيين ، والخديعة . والخيانة ، التى قال اكثر من ناقد انها تؤلف احدى الثيمات الاساسية فى المسرحية . فهذه أيضا انما تمثل التضاد بــين المظهر والواقــع .

ليس كلام البواب اذن غريبا عن الكلام فى بقية المسرحية . ففيه صفات التضاد الموجودة فى الشعر ، وقد تحولت بشكل ملائم لاغراض شبه كوميدية . والمشهد كله وثيق الصــلة ببقيــة المسرحية ، مضمونا واسلوبا معا ، بحيث يستحيــل اعتباره اقحاما هجميا من الممثلين . والاسلوب الضديدى وســيلة قوية للايحاء بتناقض وغموض طبيعة الانسان .

« مجد الدنيا ، فكاهتها ، ولغزها » ،

وللايحاء بالصراع القائم فى نفســه بين الخطيئة والنعمة . بين العقل والعاطفة ، وبالظل الذى يقع

بين القــدرة
والوجـــود
بين الجوهــر
والنــزول

لقد أدى بنا البحث فى اصالة هذا المشهد ، دون أن نعى ، الى النظر فى المسرحية ككل . وهذا بحد ذاته يدلــل على ان البواب جزء جوهرى من المسرحية . ولنا ان نطبــق على المشهد قول الاسقف وردزويرث ـ ولو انه كان يرمى به الى شيء مختلف تماما : « أعتقد ان فى قراءته فائــدة خلقيــة » .

مشاهد هكاته :

(نكتفى ، فى الحديث عن المشهد المقحمة التى تظهر فيها هكاته ، بما اوردناه من هوامش فى صلب المسرحية فى كل حالة تظهر فيها ربة الساحرات هذه) .

٤ ـ مصادر المسرحية

xxxiii مصدر مكبث الرئيسى ، ولعله المصدر الوحيد ، كان كتاب « تواريخ اسكوتلنده » The Chronicles of Sotland لمؤلفه هولنشيد Holinshed غير أن كمب Kempe ، فى كتابه « أعجوبة الايام التسعة » (١٦٠٠) ، يشير الى مايبدو انه كان اقصوصة شعرية حول الموضوع ، وكثيرا ما كانت الاقاصيص الشعرية تبنى على مسرحيات ، فيقول :

« التقيت شابا وسيما مستقيما ، لولا انحناءة صغيرة فى الكتفين ، كله قلب حتى الكعب ، شاعر كدريهم كان أول ما صنعته قصة مسروقة بائسة عن نمكدويل أو مكدوبث أومك احد ، لاننى واثق انه كان مك*ولو انى لم تكن لدى الشهية لرؤيتها » .

xxxiv ثم يستمر كمب فينصح مؤلف « القصة » بأن « يترك كتابه هذه الرقصات الهمجية ، وبألا يجعل من الفتيات نقيات لغير ما فائدة » ـ الامر الذى قد يكون اشارة الى « اخوات القدر » الثلاث . وبما أن كمب يبدو كثير الابهام بشأن التفاصيل ، من الصعب استنباط أى شىء محدد من هذه الاشارة : ولكن يرجح انه لن يتحدث عن قصة مسروقة لو كانت مجرد مستقاة من هولنشيد ! ولنا أن نفترض أن القصيدة مبينة على مسرحية ـ وربما مسرحية لم يكن كمب مطلعا عليها شخصيا . ويحتمل أن شكسبير رأى هذه القصيدة ، وكان على علم بالمسرحية التى بنيت عليها .

ترى السيدة سي . سي . ستوبس أن شكسبير كان مطلعا على « كتاب وقائع اسكوتلنده » لوليم ستيورات ، وهو

---

* الكثير من الاسماء الاسكوتلندية يبدأ بـ مك Mac ؛ ومن هنا تلاعب الكاتب على الاسم .

قصيدة هائلة في ٤٢ الف بيت ، بقيت مخطوطة حتى عام ١٨٥٨ . وقد نظمت من ١٥٣١ – ١٥٣٤ بأمر من الملكة مارغريت ، لكي تدرسها ابنها جيمز الخامس . كتبت السيدة ستوبس مقالها عام ١٨٩٧ ، ولكنها لم تجد مؤيدين كثيرين لها . وهي لا تطى اى مثال على تواز لفظي حقيقي بين ستيوارت وشكسبير .

XXXV يخيل الي ان اوجه الشبه بين ستيورات وشكسبير من قبيل المصادفة ، وان اى شاعر يتوسع ، بما في القصة من حقائق مجردة ، سيميل الى تطوير شخصية الليدى مكبث على نفس الطريقة . اما من هولنشيد فان شكسبير سيعلم ان دونالد قتل دف « بتحريض من زوجته » ، التي « كانت لا تزل عنه حقدا على الملك ، وابدت لدونوالد » الوسيلة التي يستطيع بها الاسراع في تحقيق الجريمة . ، ومع أن دونوالد ، «كان يمقت الفعلة جدا في قلبه ، الا انه بحث من زوجته » رشا الخدم لاقتراف الجريمة . وفي القسم المخصص لمكبث في « التواريخ » سيقرأ شكسبير أن « زوجته الحت عليه بشدة للشروع بالجريمة ، لانها كانت شديدة الطموح ، وتشتعل برغبة لا تطفأ في أن تسمى ملكة » . من هذه التلميحات الى طموح الزوجة وتحفظات القاتل الاخلاقية ، ليس من الصعب على اى كاتب درامي ان يستنتج ان الليدى مكبث عيرت زوجها بالجبن ، وأمرته بأن يلعب دور المنافق ،وتظاهرت هي نفسها بالسخط الشديد بعد الجريمة تغطية على جرمهما هي وزوجها . وحتى اغماءة الليدى مكبث ، حقيقية كانت أم مفتعلة ، لا تحتاج بالضرورة أن توحى بها اغماءة دونوالد المفتعلة . ولا هو بالصعب أن يبلغ شاعران ، كل على حدة ، الى فكرة ان سلالة بانكوو ستحكم حتى « نهاية العالم » – انطلاقا من عبارة هولنشيد « تسلسل طويل من الوراثة المستمرة » .

الامر الارجح من ذلك هو ان يكون شكسبير – كما اوضح م.هـ. ليديل و هـ.ن . بول – قد قرأ « تاريخ اسكوتلندة » لبوكانان في أصله اللاتيني . فبطله ربما كان أقرب الى الصورة التي يرسمها بوكانان لمكبث منه الى هولنشيد . يقول بوكانان عن مكبث انه .

« كان رجلا ذا عبقرية نافذة ، وروح عالية ، وطموح لا يحد ، ولو اتصف بالاعتدال لكان خليقا باية امرة مهما كانت

كبيرة . غير انه بمعاقبته الناس على الجرائم استخدم شدة تخطت حدود القوانين ، وبدت انها تسقط فى الشراسة والقسوة .

أما هولنشيد فيتحدث عنه فقط بأنه « سيد شجاع ». والوصف الذى يكتبه بوكانان لتقريع الضمير الذى يعانيه الملك كينث هو أيضا اقرب من هولنشيد لمكبث :

« روحه اذا اضطربت بوعي جريمته ، لم تسمح له بالتمتع بمسرة حقيقية أو خالصة . فاذا اختلى بنفسه عذبته افكار فعلته الشنعاء ، وعند النوم طردت رؤى الرعب عن وسادته كل راحة . وفى النهاية سواء أكان صحيحا ان صوتا مسموعا من السماء أخذ يخاطبه ، كما قيل ، أو ان ذلك كان ايحاء من نفسه المذنبة ، كما يحدث كثيرا للاشرار فى ساعات السهاد الصامتة فى الليل ، يبدو انه ابتلى بمثل هذا التقريع » .

وقول بوكانان أن « حاكمية كمبرلاند كانت دائما تعتبر الخطوة التالية الى التاج » اقرب الى كلمات مكبث (١،٤،٤٨ ــ ٥٠) من العبارة المماثلة فى كتاب هولنشيد .

ويرى الاستاذ بول أن شكسبير كان يعرف كتاب De Origine, Moribus, et Rebus Gestis Scotorum لزلي

(عام ١٥٧٨) ، حيث نجد ان اخوات القدر هن شياطين تنكرت كنساء ، كما ربما هن فى مسرحية شكسبير ، ونجد ايضا شجرة سلالة بانكوو ، وقد جعل لها جذور ، وأوراق، وثمار . ولعل هذا لفت نظر شكسبير وترك أثره فى الصور الشعرية فى الفصلين الثالث والرابع ، ولو أنه استعمل هذه الصور من قبل . ولرزلى . فضلا عن ذلك ، لا يذكر شركاء مكبث فى الجريمة ، ويؤكد الطريقة التي اقنعت بها الليدى مكبث زوجها ، بأن أرته كيف يمكن للجريمة أن تنجز ــ كما تفعل زوجة دونوالد فى هولنشيد ــ ويتحدث عن « الملك الاقدس دنكن » ويعطى تفاصيل أشد وضوحا وحيوية من هولنشيد بشأن حكم الارهاب الذى يقيمه مكبث .

وقد أشار السيد آر . جي . بيردن (بشكل خاص معي) الى عدد من التماثلات بين « مكبث » وبين مسرحية « آردن اوف فيفر شام » Arden of Feversham ، فنجد أن مونولوغات مايكل ، المليئة بتقريع الضمير ، قبل مقتل

آردن (٢٤٢و١٤٣) ومونولوغ موسبى بعد الجريمة (٥٤٣) وقرع الباب (١٤٥) ، يمكن مقارنتها بأقوال مكبث قبل أن يقتل دنكن وبعـده .

والسـير جيمز فيرغوسن فى كتابه Shakespeare's Scotland (١٩٥٧) يقول ان قائمة كل ملوك اسكوتلندة أعيد طبعها في لنـدن فى

Certeine Matters concerning the Realme of Scotland

(١٦٠٣) ، ويقترح أن « مكبث » ربما تأثرت ببعض التفاصيل فى حياة جيمز ستيورات أوف بوثوبلميورا ، الذى سـقط من السلطة عام ١٥٨٥ ، ولقى مصرعه عام ١٥٩٥ . وكان هذا قد أصبح ايرل أوف آران ، واستحثه على المزيـد طموح زوجة شريرة له . وقد كشفت لها « أعلى المواحي » أن « غاورى يجب تحطيمه » ، ولكنها « ساهمت فى تحقيق النبوءة بأقصى طاقتها » . والذى قتل ستيورات أخيرا كان أحد أقرباء الوصي مورتـن .

« الذى كان ستيورات العامل الرئيسى فى دماره وموته . وهو أيضا حاول أن يتجنب الظروف التـى جاءت نبوءات تقول انها سترافق موته . و » رأسـه اللعين « : كرأس مكبث ، قطعة قاتلة ووضعه على رأس عمود خشبى » .

وكانت ثمة شبهات بأن زوجة سـتيورات تتعامـل مع الساحرات ووصفت بأنها « ند ملائم لزوج مثله ، تعتمد على أجوبة الساحرات ، وعـدو المجتمع الانسـانى كليـه . » (مخطوطة واردلو ، رقم ١٨٢) . من المحتمل ان شكسـبير لم يكن مطلعا على هذه الامور كلها ، غير أنها تقدم دليـلا آخر على أن جو المسرحية لم يكن غريبا عن معاصرى شكسبير .

مهما يكن من أمر ، فان الذى لا ريب فيـه هـو أن هولنشيد كان مصدر المسرحية الرئيسى ، وأن شكسـبير جمع بين وصف مقتل الملك دف وبين ما يرد بعـد ذلك عن مكبث .

xxxvii ولعله تلقى بعض التلميح عن السحر من قصة هولنشيد عن النبلاء الذين تآمروا مع الساحرات على الملك دف ، ولكنه بكل تأكيد استقى تفاصيل عديدة من مصرع دف على يـد دونوالد وزوجته ، بما فيها تحريض زوجته له ، وان الملك

كان فى ضيافة القاتل وكان قد وهبه الهدايا ، ومقتل المرافقين اللذين اسكرهما دونوالد وزوجته قبل أن يأويا الى الفراش ، وسخط « دونوالد المصطنع » وظواهر الطبيعة العجيبة التى رافقت الجريمة . غير ان قتل الملك فى هولنشيد يقوم بأربعة من خدم دونوالد ، وينقلون جثته بعد ذلك من القلعة . والطريف أن عناوين هولنشيد الهامشية تبدو أشبه بتعليق مستمر على المسرحية ، ولعلها أوحت لشكسبير ببعض معالجته الدرامية للموضوع :

« الضمير المثقل بالذنب يتهم صاحبه ... زوجة دونوالد نصحته بقتل الملك ... نصيحتها الشريرة تنفذ ... دونوالد مراء حقيقى ... النبوءات تحث الناس على محاولات غير مشروعة ... النساء يرغبن فى علو المقام ... ضمير مكبث مثقل بالذنب ... خوف مكبث ... قسوته تسببها مخاوفه ... ثقة مكبث بالسحرة ... مكبث يتراجع ... ايمان مكبث بالنبوءات .... » .

من المحتمل ان الصوت الذى صاح «حرم النوم عليك!» أوحى به لشكسبير الصوت الذى سمعه الملك كينث بعد ان اغتال ابن اخيه ــ كما جاء فى هولنشيد او بوكانان . وثمة تفصيل او اثنان يعودان الى وصف حكم الملك ادوارد المعرف وهما مؤثران لحسن الحظ لان سقام الملك كان من مواضيع الساعة آنئذ ، كما أنه صحيح تاريخيا . غير ان الحبكة الرئيسية مأخوذة عما كتبه هولنشيد عن مكبث ، ولكن مع تبديلات كثيرة . فشكسبير يبقى قريبا من المؤرخ فى تصويره اجتماع مكبث باخوات القدر وفى مشهد الحوار بين مكدف ومالكولم فى انجلترا . وفى هذين المشهدين ثمة عدد من المتوازيات اللفظية ، وبعض السبب هو أن هولنشيد فى المكانين يستخدم القول المباشر . فى أماكن اخرى يستخدم شكسبير بين حين وآخر كلمات مفردة ربما اوحى اليه بها كتاب هولنشيد ، ولكنها ليست كثيرة .

وفيما يلي ابرز الاختلافات : (١) دنكن ، كما يصوره هولنشيد ، أصغر سنا منه فى المسرحية ، وهو مصور كحاكم ضعيف . يجعله شكسبير مسنا وقدسيا ، ويتغافل عن ضعفه ، فيكثف السواد فى جرم مكبث . (٢) فى هولنشيد ثلاث حملات يكثفها شكسبير الى واحدة :

xxxviii هزيمة ثورة مكدونوالد ، هزيمة سوينو ، وهزيمة كانوت الذى جاء باسطول جديد لينتقم لازاحة أخيه سوينو .
(٣) فى تاريخ هولنشيد نجد ان لدى مكبث شكوى حقيقية ضد دنكن لان هذا ، باعلانه تنصيب ابنه أميرا لكمبرلند (أى وليا للعرش) ، خرق قانون تسلسل الملك ، وحرم مكبث من الامل فى العرش ــ وكان له ما يبرر هذا الامل ؛ اذ بوسعه المطالبة بالعرش نيابة عن زوجته وابنها من زوجها الاول ، اما شكسبير فيكتب هذه الحقائق ، بعضا لانه يريد لاسباب درامية أن يؤكد جرم مكبث ويقلل اى عذر قد يتعذر به ، وبعضا لاسباب طارئة . فقد كان مكبث قاتل سلف الملك الانجليزى الجديد جيمز الاول ، ولم يكن بالامكان تقديمه فى ضوء مستحب ، وبشيوع حق الابن الاكبر فى الوراثة فى القرنين الثاني عشر والثالث عشر ، لم تكن طريقه وراثة العرش المتبعة فى عهد مكبث مفهومة تماما فى عصر شكسبير ، حتى لدى هولنشيد نفسه . (٤) كان بانكوو وآخرون شركاء فى مقتل دنكن الذى تم تنفيذه كاغتيال سياسى مكشوف . هذا غيره شكسبير ، بعضا لانه أقوى دراميا أن يتحمل مكبث وزوجته وزر الجريمة وحدهما ، وبعضا لان سمعة بانكوو ، باعتباره أحد أجداد جيمز الاول ، يجب الحرص عليها . وقد عرف الملك جميز بكرهه للاغتيال السياسى ، حتى ولو كان هدفه طغاة معروفين بطغيانهم . ولذلك ، استقى شكسبير تفاصيل القتل من اغتيال دونوالد للملك دف (٥) يحذف شكسبير السنين العشر التى قضاها مكبث فى حكم صالح بين مصرع دنكن ومصرع بانكوو . وواضح ان المسرحية لكانت تتهشم لو شطرت الى قسمين ، وجرى تدخل xxxix بفكرة شكسبير عن اعتمال الضمير فى نفس الانسان . (٦) شكسبير يبتكر مشهد الوليمة وظهور شبح بانكوو . (٧) وهو يحذف قصة رفض مكدف تقديم العون فى بناء قلعة دنسينان . فقد كانت مسرحة ذلك صعبة وفائضة عن موضوع المسرحية . (٨) مشهد قدر الساحرات مبنى على النبوءات الثلاث الواردة فى هولنشيد ، الا أن شكسبير يضع اخوات القدر مكان « ساحرة معينة كان لمكبث فيها ثقة كبيرة . » (٩) فى تاريخ هولنشيد ، يحاصر مكبث قلعة مكدف بجيش كبير . فاقتضى الاقتصاد الدرامى استخدام القتلة . (١٠) امتحان مكدف لمالكولم موجود بتمامه فى هولنشيد (كما فى بويس ، وبيلندن ، وستيورات) ، غير

أن شكسبير يحذف ـ فى النص الذى وصلنا على الاقل ـ حكاية الثعلب والذباب ، ويضيف رذائل اخرى الى تلك التي يعددها هولنشيد . وفى كتاب التاريخ : يجرى امتحان مكدف بعد أن يسمع بموت زوجته . اما التبديل الذى اجراه شكسبير فيساعده فى تحريك شكوك مالكولم . (١١) فى كتاب هولنشيد يهرب مكبث من قلعة دنسينان ويطارده مكدف الى لنفانين ـ والحادثة دراميا لا تفيد المسرحية .(١٢) شكسبير يبتكر مشهد الليدى مكبث وهى تمشى فى نومها ، ويبتكر كذلك انتحارها المفروض . أما هولنشيد فلا يقول شيئا عن نهاية زوجة مكبث أو زوجة دونوالد .

وبما ان ليس ثمة ما يدل على أن شكسبير درس مصادر هولنشيد ، وبما انه يحتمل وجود مسرحية ـ مصدر لـ « مكبث » ، فمن العبث مناقشة الاختلافات فى القصة المكبثية لدى المؤرخين الاخرين : فوردن ، اندرو أوف ونتون بويس ، بيلندن ، كما أنه من العبث محاولة عزل مكبث « التاريخى » . اذ لا أحسب ان احدا يتفق مع السير هربرت ترى فى قوله ان « علينا ان نؤول مكبث ، قبل ازمته وابانها بخلقه المتزن العادل وهو ملك ، كما يعطيه لنا التاريخ » .

xl

ويرى السير هربرت غريرسون ان شكسبير استقى من كتاب هولنشيد لون وجو الاساطير الكلتية والبدائية التى تدور حول أعمال العنف وتقريع الضمير الذى يطارد الانسان . لقد راحت قصة اثر قصة تروى له اخبار رجال دفعهم باعث لا يقاوم الى أفعال الخيانة وسفك الدماء ، وكلما انتهى الفعل طاردتهم اشباح تقريع الضمير والغيبة .

هذا صحيح ، ولكن لابد لنا من أن نضيف اننا نكاد لا نرى اثرا لتقريع الضمير فى ما يرويه هولنشيد عن مكبث ، ولا نجده فى معالجة موضوع دونوالد الا ضمنا .

٥ ـ مكبث ، ١٦٠٦ ـ ١٩٤٨

معظم الممثلين والممثلات الكبار فى الثلاثمئة سنة الاخيرة ظهروا فى **مكبث** ـ من بيربج الى جون غيلغود . غير أن المسرحية من ١٦٧٤ ـ ١٧٤٤ كانت تمثل فى شكلها الذى حوره عن الاصل دافينانت . وقد استعاد الممثل غاريك معظم النص الشكسبيرى ، واكمل الاستعادة مكريدى .

ورغم ان المسرحية كانت تقدم بانتظام ، فانها لم تثر الا القليل جداً من النقـد الممتع حتى نهاية القرن الثامن عشر ، وربما لقلة الاختلاف حولهـا . كان هنـاك من اعترض علـى صاموئيل جونسون عنـدما تذمر من ضعف بعض اللغـة الشكسبيرية فيها ، ولكنه ربما كان يعبر عن الرأى العـام آنئذ عندما لخص المسرحية بهذه الكلمات .

« هذه المسرحية مشهورة عن جدارة للائمة رواياتها ، وجهامة الفعل وعظمته وتنويعه فيها . ولكنها تخلو من التمييز الدقيق بين شخصياتها ، والاحداث أضخم من أن تسمح بتأثير الميـول الخاصة ، وسـير الفعل يحدد بالضرورة سلوك الفاعلين .

xli

« خطر الطموح موصوف وصفا جيدا . ولا أدرى أن كان لا يجوز لنا القول ، دفاعا عن بعض الاجزاء التـى تبدو الان بعيدة الاحتمال ، انه كان من الضرورى فى عصر شكسبير ان يحذر الناس من تصديق التنبؤات الخداعة ، الفارغة .

« العواطف توجه نحو غاياتها الحقيقية . الليدى مكبث تمقت تماما ، ورغم ان شجاعة مكبث تحافظ علـى بعض اعتباره ، فان كل قارىء يفرح لسقوطه » .

ولكن عندما نشرت هذه الكلمات عام ١٧٦٥ ، كـان الموقف الذى تعبر عنه قد بدأ بالتهافت : أخذت حفـلات التمثيل التى يقدمها غاريك والمسز سيدونز توجه هم الناس الى الشخصيات التي يمثلانهـا ، وجعل صـعود الروايـة وانتشار « المشاعرية » يلقى بالتأكيد على الشخصيـة أكثر من الحبكة ، واكمل نمو الرومانسيةمابداته المشاعرية . فحلل وليم ريتشاردسن شخصية مكبث عام ١٧٧٤ . وفى حوالى الفترة نفسها كتب ويتلى مقارنة بين مكبث وريتشارد الثالث . وتبعه كمبرلاند حول الموضـوع نفسه فى « الاوبزيرفر » . واجاب عليـه جي . بي كيمبل فى نفس السنة . وكـانت هناك بعض الملاحظات على **مكبث** فى « مقالـة عن شـخصية فولستاف الدرامية » بقلم مورغن (١٧٧٧) .

وما بقي لدينا من ملاحظات كولردج عن **مكبث** يتعلـق معظمها بالفصل الاول . بعض هذه الملاحظات قيم ، غـير انني اجد من الصعوبة ان اتفق مع السيد ريسور حين يذهب

الى أن « عبقرية كولردج السيكولوجية تظهر على أروعهـا فى تحليل « مكبث » . وليم هازليت فى « شخصيات مسرحيات شكسبير » مدين بعض الشىء لكولردج وتشارلز لام ، وبعض الشىء ، ربما ، لويثلى ، غير ان مقالته هذه أفضل ما كتب عن المسرحية حتي تاريخها . وهو يرينا ان ما يميز المسرحية عن المآسى العظيمة الاخرى هو «هوج خيالها وسرعة حركتها» ولا ننسى أن هازليت كان أفضل النقاد الدراميين وانه فى مدحه مسز سيدونز كثيرا ما أبدى ملاحظات كاشفة عـن المسرحية نفسها . وما قامت به المسـز سيدونز من تحليل لشخصية الليدى مكبث ، على ضعف أسلوبه ، يدل على أن هذه الممثلة الكبيرة فكرت عميقا فى الدور الذى قامت بـه مرارا ، ووصفها المعروف لتجربتها الاولى فى تعلم الدور يبرهن على أنهـا اهتزت بالمسرحية التى كانت تهز بها الاخرين :

xlii

« واصلت وانا فى تماسـك محتمل ، فى صـمت الليل (فى ليلة لا أستطيع نسيانها) ، الى أن بلغت مشهد الاغتيال حيث تصاعدت اهوال المشهد الى درجة جعلت من المستحيل علي أن اتابع . اختطفت شمعتي وهرعت من الغرفة فى نوبـة من الرعب . كان ردائي من الحرير واذا حفيفه وانا اصعد الدرج الى فراشى يبـدو لخيـالي المرعوب كحركة شـبح يطاردنى ... القيت الشمعدان من يدى على المنضدة ، دون أن اقوى على اطفاء الشمعة ، ورميت بنفسى على فراشـى ، دون أن اجرأ على التريث الى أن اخلع ثيابي . »

باستثناء مقالة دى كوينسى الرائعة « قرع البوابة فى **مكبث** » لا نكاد نجد شيئا يوقفنا بين هازليت وداودن (فى كتابه **شكسبير ، ذهنه وفنه** ، ١٨٧٥) ، فيما عدا جى . فلتشر الذى نال الاطراء فى الاونة الاخيرة على كتابـه **دراسـات فى شكسبير** (١٨٤٧) . وميزة تحليل فلتشر هو أنه لا يجعـل كل شىء آخر ثانويا وخاضعا لشخصية البطلين ، وانه يدلل على أن مكدوف وزوجته .

« هما الممثلان الرئيسيان فى القطعـة لروح الـولاء والمحبة المنزلية ، كضد لروح الغدر اللئيم والطموح الانانى الذى لايعرف الضمير » .

غير أن احترامنا لفلتشر ينقص كثيرا عندما نجده يقول ان مكبث ، لشدة آنانيته ، « عاجز عن اى اعراض خلقي

حقيقي عن تسليط الاذى على الآخرين ، انه يخشى فقط مجابهة كراهية الناس ـ » او أن الشعر الذى يقوله مكبث « ينبع فقط عن خيال ضيق الصدر بشكل مريض » ، ويختفي احترامنا اخيرا عندما يصف مونولوغ مكبث (٥ ، ٣ ، ٢٢ ــ ٢٨) بأنه « مجرد تأوه شعرى بشأن بلواه التى يستحقها » . xliii

وقد كتب آر . جي . مولتن (١٨٨٥) مقالا جيدا عن روح المفاوقة الساخرة التى تسود المسرحية كلها ، ومقالا أقل جودة عن مكبث وزوجته . المقال الاول تفسده قليلا نغمته الوعظية ، والمقال الثاني يفسده افتراضه بأن مكبث ، اذ لايبدى الا اعتراضات عملية على قتل دنكن ، لايشعر بأى اعتراض خلقي ــ وأن الليدى مكبث تجسد الحياة الداخلية.

بعد هذا التاريخ تتكاثر تأويلات **مكبث** تكاثر النذالات التى أصطلحت على مكدونوالد العاتى . فيقول كيرك ان الاحلام الرهيبة التى تفزع مكبث وزوجته يسببها تقريع ضمير لايكمن فيه اى امل بالفداء . انه تقريع من كتبت عليه اللعنة الأبدية . وجي . سي . كار يعتقد ان قتل دنكن كان لوقت طويل موضوع نقاش زوجي . وسيمونز يقابل بين محاولة مكبث الصمود ضد الاغراء ، وبين رجاء الليدى مكبث ان تكون لديها القدرة على تنفيذ الجريمة . وهذا يأتى بنا الى برادلى ، الذى يحوى كتابه **المأساة الشكسبيرية** (١٩٠٤) نقد للمسرحية هو أشد ماكتب عنها اثرا ونفوذا .

وفى القسم التالى من هذه المقدمة نذكر النقد اللاحق الذى كتبه روبرت بريجيز ، مايترلنك ، السير هربرت غريرسون ، و . سي . كرى ، جون ميسفيلد ، ولسون نايت ، ال . سي . نايتس، ميدلتون مرى، ودوفر ولسون. وليس لنا هنا الا أن نبدى ثلاث ملاحظات : اولا ، هناك رد فعل ضد تحليل الشخصية المستفيض وتأكيد متزايد على شعر المسرحية ، ثانيا ، هناك فهم أعمق لـ **مكبث** كمسرحية للتمثيل ثالثا ، هناك ايضا تفحص للمسرحية من وجهة نظر « علم الارواح الشريرة » Demonology الاليزابيثي .

٦ ـ المسرحية

مثلت **مكبث** لأول مرة ، كما أرينا ، عام ١٦٠٦ ، اى انها

اتت بعد **هاملت** ، **عطيل** ، **الصاع بالصاع** ، و **الملك لير** ، وقبل **انطونى وكليوبطرا** و **كريولانس** وهى مرتبطة بـ **هاملت** بأكثر من وشيجة : فاحجام مكبث عن قتل دنكن ، والعزم المزعزع الذى تتهمه به زوجته ، يماثلان عدم قدرة هاملت على تنفيذ تعليمات« الطيف » ــ ولو أن فعلة مكبث«شريرة»، وفعلة هاملت (فى رايه الواعى على الاقل) « صالحة » . xliv
ومكبث يشبه أيضا كلوديوس فى أن كليهما قاتل ومغتصب . مكبث (واعيا) مستعد للمجازفة بالحياة الآخرة، ولا نستطيع ان نتخيله راكعا ، اما كلوديوس فيحاول التوبة . غير أنهما كليهما يساقان من جريمة الى أخرى طلبا للأمن . يمكن اعتبار مكبث ، بمعنى ما ، أنسنة كلوديوس : فقد أراد شكسبير أن يشق طريقة الى داخل القاتل ، فيرينا ان شاعر الدفاع ، رغم انه لايلطف شيئا ، بامكانه ان يشعرنا بأننا نحن ايضا يمكننا ان نسقط على النحو نفسه ، بحيث اننا قد نتفق حتى مع تطبيق الاستاذ الكسندر لكلمات جون دن :

« انت تعلم سقوط هـذا الرجل ، ولكنك لاتعلـم مصارعته ، التى ربما كانت من الشدة،بحيث ان سقوطه بالذات يكاد يبرره الله ويقبله » .

ولئن يكن مكبث « مخلوقا بائسا ، منفيا ، ملعونا ، لكنه مايزال ايضا من خلق الله ، ويسهم بشيء فى تمجيده حتى فى لعنة عذابه » . ونحن نشعر ازاء جريمته مثلما نشعر ازاء آنجيلو ــ والأصداء الآتية من قصيدة « لوكريس » تظهر الصلة بـين الشهوة والقتل فى ذهن شكسـبير ــ فكما يتعلم آنجيلو الأيصدر حكما على كلوديو ، هكذا الجمهور يتعلم الا يصدر حكما على آنجيلو .

كان عطيل « قاتلا شريفا » ، ومكبث رجل نبيل موهوب يسقط فى الخيانة والجريمة ، دون ان يتوهم بأن لديه أى مبرر لافعاله ، بل عارفا بالضبط ماهو فاعل . فى **الملك لير** نجد ان الشر مركز فى الرباعى الوحشي : عونريل ، ريغن ، ادموند ، كورنوول ــ وهم قادرون على تدمير آناس أفضل منهم باستغلال مواطن ضعفهم : الكبرياء ، والتصديق ، والشهوة . اما فى **مكبث** ، فقد حول الشر من الانذال الى البطل والبطلة .

مكبث تمثل «أعمق رؤية للشر وأنضجها» عند شكسبير ، و « بالامكان ايجاز المسرحية كلها بأنها صراع الهدم مع الخلق » (ولسون نايت) . انها « النص على الشر » (نايتس) ، « هي صورة معركة خاصة فى حرب كونية شاملة ، واما ساحة المعركة ففي روحي مكبث وزوجته » (كولب) ، وهي « تحوى التوجه الحاسم للخير والشر عند شكسبير » (ترافرسي) . ولنا ان نضيف ان المسرحية تدور حول فكرة اللعنة ، ولكان يدعوها اى مسرحي معاصر يهوى العناوين المزركشة » درب الزهور » . ولكن شكسبير ، لكى يظهر كيف يتأتى للبطل ان تحل به اللعنة ، ولكي يقدم صورة مقنعة للعنة وعقابها ، كان عليه أن يصف ويخلق الخير الذى ضحى به مكبث . ولذا : ليس ثمة مسرحية اخرى ، يقدم بها الشر بمثل هذه القوة . كما ان ليس ثمة مسرحية أخرى تمثل الخير المقابل بمثل هذا الاقناع . وهذا بالطبع يتحقق عن طريق الشخصيات ، ولو ان دنكن ومالكولم ، ومكدف وزوجته ، والرسول الذى يحذر الليدى مكدف، وحتى بانكوو، ضئيلون جميعا عندما يوضعون فى كفة الميزان ازاء كفة مكبث وزوجته وأخوات القدر . فيتحقق هذا بشكل انجح ، عن طريق الصور الشعرية ، والرمزية ، والتكرار . وقد جرت الاشارة الى صورة الثياب التى لاتلائم لابسها ، والتى كانت كارولاين سبيرجن أول من تحدث عنها . والتضاد بين النور والظلام بعض من التضاد العام بين الخير والشر ، الملائكة والشياطين ، النعمة والشر ، السماء والجحيم (كولب) . وصورة الفعلة التى هى أرعب من أن تنظرها العين ، فى غنى عن التأويل .. وصورة المرض فى ٤ ، ٣ والفصل الاخير تعكس الشر الذى هو مرض ، كما تعكس مكبث نفسه الذى هو المرض الـذى يعانيه بلده .

وللاستاذ ولسون نايت ، فى كتابه **The Imperial Theme** ، مقال عن « ثميات الحياة » فى المسرحية ، يصنفها تحت هذه العناوين : شرف المحارب ، الجلال الامبراطورى ، النوم . الاحتفال بالولائم ، فكر الخلق وبراءة الطبيعة . ويدلل الناقد على ان الليدى مكبث تكسب ماتريد باستنخائها « شجاعة » مكبث. وشكسبير طوال المسرحية يلعب بمعانى كلمة «الشرف» Honour . فالرائد المضرج بالدم (فى مستهل المسرحية) » كلماته جروحه يقال عنها بأن لها مذاق الشرف ، وكذلك الالقاب التى يهبها مالكولم فى نهاية المسرحية . وهكذا فان « الشرف » يعني « الجدارة » والالقاب التي هي جزاؤها .

كما يعني مايتوق اليه اللورد الذى لا اسم ، عندما يتحدث الى لينوكس عن تطلعه الى أن « نتلقى التكريم احرارا » free honours . ومكبث فى الفصل الاخير يحزنه انه يلقى » التكريم شفهيا mouth honour ، عوضا عن الشرف، حيث تعنى الكلمة الاحترام والتقدير ، كما انه فى الفصل الاول يريد أن يرتدى الآراء الذهبيه التى ابتاعها ببسالته .

وابهام المعنى فى كلمة honour يبرز على أشده فى الحوار الذى يدور بين مكبث وبانكوو قبيل مقتل دنكن :

مكبث ـ أن انت التزمت بالاتفاق معي ، فى حينة ،
اصابك شرف كبير .
بانكوو ـ مادمت لا أفقد شرفا

بمحاولتى الاستزادة منه ، بل أبقى الصدر منى
حرا ابدا ، وولائى ناصعا ،
فانى مستعد للمشورة .

هناك ارتباط وثيق بين « الشرف » وبين الافكار الاقطاعية عن « الواجبات » و « الخدمة » التى اذا ماتكررت ساعدت فى خلق صورة لمجتمع منظم شديد الحبك ، بالتقابل مع انعدام النظام الناتج عن جريمة مكبث الاولى . فكون ذلك النظام طبيعيا ، وكون انتهاكه على يد مكبث شاذا عن الطبيعة، تؤكدهما صور الزرع والبذار ، وصور النوم والحليب تضاد صور الفوضى وترداد الخوف والدم . هذا التضاد ظاهر جدا فى الابيات التى تعبر بأقصى العنف عن انتهاك الليدى مكبث جنسها :

لقد كنت يوما مرضعا وانى لأعرف
مبلغ الحنو فى حب الطفل الذى ارضع :
لكنت وهو يبتسم فى وجهى ،
انتزعت حلمتى من لثته الطرية ،

وهشمت دماغه ، لو اننى اقسمت ان أفعل ذلك ...
بمثل هذه الوسائل يبنى شكسبير نظام « الطبيعة » ويتفحص طبيعة النظام ، بحيث يرى انتهاك النظام فى الدولة ، باغتيال دنكن ، عملا قبيحا شاذا ، لابد ان ترافقه الكوارث الشاذة .

xlvii ومع ذلك فان تصوير الخير الذى يوازن الشر يتم بقوة عن طريق مكبث وزوجته ، اللذين هما شاهدان مجبران

على الخير الذي يتخليان عنه . ومكبث يعي بأن الفعل الذي يفكر فيه شر ، منذ البداية . ويعترف ان صورته الرهيبة تجعل شعر راسه ينتصب ، وقلبه يدق ضلوعه . ورغم انه لا يبحث ابدا مع زوجته اخلاقية الجريمة ، ورغم انه يكاد لا يواجهها هو نفسه ، فان كل كلمة يفوه بها تدل على انـه مرتعب حتى الاعماق بفكرة الجريمة . واللغة شبة المجنونة التي يتكلم بها بعد القتل مباشرة تعبـر عـن الخـوف ، لا الانكشـاف . وعلى خشيته من بانكوو من باب الحيطة ، فانه يخشاه ايضا بسبب احساسه بالجرم . فمكبث لايشـك مطلقا فى الفرق بين الخير والشر ، ولا الليدى مكبث ، حتى فى ما تقوله عندما تختار الشر عامـدة كواسطـة لتحقيـق « الخير » ، الذى هو التاج ، ولا الجمهور المشاهد . فالفعل المسرحى لا يلين لحظة واحدة فى التأكيد على المعزى المعروف من ان « الجريمة لا تفيد » ، وان « عطور بلاد العرب كلها لن تطيب هذه اليد الصغيرة » ، وان الحياة ، للذين يحطمون الحياة ، تصبح « حكاية يحكيها معتوه » .

غير أن بعض النقاد راوا ان المسرحية تبدو ناقصـة الحتمية والتماسك . فشكا روبرت بريجيز من ان مكبـث الذى يدعونا الى الاعجاب به لا يمكن قطعا ان يرتكب جريمة كقتل دنكن ، وان شكسبير يذر الرماد فى أعين الجمهور ، دون ان يخبره بوضوح هل قرر مكبث ان يقتل دنكن قبـل بداية المسرحية ، ان ان الفكرة فرضتها عليه الساحرات ، أم أن زوجته هي التي حثته عليها ـ

« لنا ان نضم معا الدافعين الاخرين ، فنرى الجحيم والعائلة متآمرين معا عليه : انما الصعوبة هى فى الكمية المجهولة لدافع الاول ، ميله الداخلى . وهذا اذا سمح له ان يكون فقط فى التوازن الدقيق المطوب لكي تنفذه هاتان القوتان الفاعلتان ، فانه يبقى متناقضا مع صورة النبل التى طبعها فى أنفسنا شكسبير . »

فالرجل الذى يشعر بهول الفعلة كما يشعر بطل شكسبير لن يكون (فى راى بريجيز) قادرا على اقترافها . وحجته هى ان شكسبير يضحي بالمنطق السيكولوجى من اجل التأثـير المسرحى . والاستاذ ستول يقول شيئا مماثلا ، ولكن دون أن يعتبر هذه الخصيصة بالضرورة ضعفا فى المسرحية . وكما يرى

xlviii « لو كان مكبث قد احبط او (بعبارة هولنشيد) حرم من حقه ، لانه عند هذا المنعطف كان له الحق فى العرش اكثر من مالكولم ، او لو كان قد شمه ربانه أنسب للعرش منه ، أو ، ثانية ، لو أن دنكن لم يكن » وديعا فى تنفيذ صلاحياته ، برىء اليد فى منصبه الكبير « كما هو فى المأساة ، وليس فى التاريخ ، لكان سلوك مكبث فى قتله معقولا اكثر وسيكولوجيا منطقيا ، اكثر ولا شك؛ ولكنه لكان ايضا اقل رعبا ، واقل مأساوية . »

لم يكن شكسبير معنيا بخلق بشر حقيقيين ، بقدر ما كان معنيا بخلق التأثير المسرحى ، او الشعرى ، كان مسحورا بصعوبة جعل ما هو سيكولوجيا بعيد الاحتمال ، يبدو ببراعة فنه امرا ممكنا . وحسبما يقول شوكنغ ، فان شكسبير قام

« بتجربة جريئة مع شخصية تتمازج فيها صفات ظاهرة بقوة ، تكاد تستثنى احداها الاخرى . . . فيخلق بطلا كمكبث ، جبان اخلاقيا تنقر براسه زوجته لمدة ، وفى لحظات الحرج توبخه زوجته كأنه صبى فى مدرسة ، ولكنه ، من الناحية الاخرى ، أسد هصور فى المعركة . او أن هذا الشخص نفسه فيه من الوحشية ما يجعله يقتل ملكا هو ضيفا عليه ، ولكنه يبقى نبلا فى روحه — أو خوفا غيبيا من القدر ؟ — ليشعر بعار اغتيال ضحيته وهو نائم شعورا عميقا يسط عليه الفكرة بأنه قد استحق عقابا هو الارق الابدى . فى هذه الحالة أيضا ، اخطأ التأويل معنى المؤلف . وذلك ان التاويل بالغ بتبسط الحقائق السيكولوجية المعقدة ، فلم ينصف النتائج الرائعة الفذة لذلك البناء المتضاد الخطر للشخصية — وهو الاسلوب الذى كان يحبه اهل ذلك العصر . »

من الانصاف ان نضيف ان الاستاذ ستول لا يحسب لهذا حسابه الكامل ، وان افكارنا عما هو ممكن سيكولوجيا تتغير من عصر لعصر ، وأن ماحسبه بريجيز مستحيلا بدا ممكنا تماما لقراء تيموثي برايت ، حتى نهاية القرن التاسع عشر قياسا على النقد الموجود للمسرحية . ان بريجيز يقلل من تقديره لطاقات الكامنة للشر فى أهل الفضيلة ، وللفضيلة xlix فى أهل الشر . ولنا ان نعتقد ان الابيض والاسود فى « حكمنا هنا » قد لا يكونان كذلك بالضرورة فى حكم « الدنيا الآخرة » .

« ماحياتنا الا غزل ممزوج ، فيه الصالح والطالح خيطان معا » فضلا عن هذا كله ، فان ثمة شيئا مفتعلا فى افتراض بريجيز بأن مكبث ، اذا كان فيه ميل داخلى مسبق للاندفاع للجريمة بايعاز من زوجته والساحرات مشتركات معا ، فهو اذن أحقر من ان يكون البطل المأساوى الذى يتخيله كاتبنا الدرامى . لاننا لا نستطيع ابدا ان نحدد نصيب اللوم بالضبط الذى يجب ان يعزى بعد الجريمة الى عوامل ثلاثة ، هى الوراثة ، والبيئة ، والضعف الذاتى . والراضون خلقيا عن أنفسهم فقط بوسعهم مشاهدة أداء جيد لمسرحية « مكبث » ودون أن يخالجهم احساس قلق بأنهم لو تعرضوا لمثل هذا الاغراء لربما عرفوا مثل هذا السقوط . نحن لا نستطيع تقسيم العالم الى قتله ممكنين ومن هم ليسوا كذلك . فالعالم يتألف من كائنات بشرية بعيدة عن الكمال ، جاهلة فى الاغلب بذواتها ، ولا تعرف (رغم ما تكرر فى سمعها) الطريق الى السعادة . فاذا اقترفت شرا ، فما ذلك الا لانها تأمل ان تتجنب شرا آخر ، يبدو لها آنيا انه أسوأ ، أو تحصل على خير آخر ، يبدو لها جذابا لانه ليس فى حوزتها ان السبب المباشر فى الخطيئة ، كما يفسر توما الاكوينى ، هو

« التمسك بخير متغير ، وكل فعل خطيئة ينطلق عن جامعة فى خير دينوى . وكون المرء يرغب فى خير مادنيوى رغبة جامعة ، يعود الى انه يحب نفسه حبا جامعا . »

ليس من مكبث ميل داخلى مسبق الى القتل ، انما هو يحمل طموحا جامحا يجعل جريمة القتل تبدو كأنها شر أهون من الاخفاق فى الحصول على التاج .

بيد أن الليدى مكبث تتهم زوجها بأنه اقترح الجريمة عليها قبل أن يعلن عن عزمه على زيارة انفرنيس ، قبل أن يتماسك الزمان والمكان . وهذا ادى بكولردج الى القول بأن قتل دنكن كان قد نوقش قبل استهلاك المسرحية ، مما جعل برادلى يقترح ببراعة أنه :

« اذا كانا قد تحدثا سابقا حديثا طموحا ، يشعر كل منهما فيه أن فكرة ما غائمة عن الجريمة تطوف فى ذهن الآخر ، فان الزوجة بالطبع قد تفهم من كلمات الرسالة ، ما هو اكثر بكثير مما تقوله . »

والدكتور دوفرولسون يستخدم هذا المقطع (١ ، ٥ ، ٤٧ ـ ٥٢) ليدعم به نظريته من ان المسرحية الاصلية

كان فيهـا مشهد آخـر بـين مكبث وزوجته بعد التقائـه بالساحرات ، وقبل علمه بان دنكن قادم الى انفرينس . وأن هذا المشهد حذفة شكسبير فيما بعد . وهو يرفض رأي كولردج القائل بأن الجريمة كانت قد نوقشت قبلا . لاعتقاده ان قول مكبث الجانبي (١ ، ٣ ، ١٣٠ ومابعد) « يصور رعب مكبث حين تاتية فكرة القتل أول مرة » ، وأن مونولوغ الليدى مكبث فى مطلع ١ ، ٥ ، يثبت انه «حتى تلك اللحظة كان يرفض ان تكون افكارة الاشريفة .» ولكن قول مكبث الجانبي ، وفق تقليد شكسبيرى شائع ، لايعبر عن ميلاد خواطر القتل بقدر مايشير الى الجلفة الآثمة التى ينتبه اليها بانكوو سابقا فى المشهد ، وهىّ جلفة ماكان بالامكان تفسيرها من قبل دون توقيف حركة المشهد . فهي قد تمثـل ولادة الجرم ، او قـد تـدل علـى ان نفس مكبث

« أصبحت قابلة للاغراء بما جرى سابقا من مغازلة بين الخيال وخواطر الطموح . »

ان مونولوغ الليدى مكبث لايثبت ان زوجها لم تخالجه هذه الخواطر ، او ما يسميه برادلى « احلام مبهمة غير شريفه » . وما يثبته هو أنها كانت تعتقد ــ عن حق ، فيما يبدو ــ ان ضمير مكبث او تمسكه بالتقاليد قد بمنعة عن الحصول على التاج بوسائل غير مشروعة ، وان يكن ربما قد اقترح مـرة قتـل الملك حين كانت المسألة نظرية فقط .

ولذا فانني لا أرى عدم التماسك المنطقي الذى يتحدث عنه بريجيز ،كما لااظن ان هناك دليلا كافيا لدعم نظرية الدكتور دوفر ولسون من انه كانت هناك نسخة سابقـة للمسرحية تتضح فيها هذه الامور كلها . واذا كانت الليدى مكبث تشير الى زمن يقع بين ١ ، ٣ و ١ ، ٤ ، فبا مكان شكسبير ان يترك المشهد غير مكتوب (وانا ارى أنه فعلا لم يكتبه) .

فى نفس المقال يتحدث بريجيز عن خيال مكبث الشعرى . وهو فى هذا انما يحذو حذو برادلى الذى يقول :

« ان الناحية الخيرة من طبيعة مكبث ــ وأضع الأمر هنا بشكل عريض طلبـا للوضوح ــ بدلا من أن تخاطبـه فى لغـة مكشوفة من الافكار والأوامر والنواهي الاخلاقيـة . تدمج نفسها فى صور شعرية تفزع وترعب . وهكذا فان خياله خير مافيه ، انه شيء أعمق وأسمى من أفكاره الواعية ، ولو اطاعه لسلـم » .

ويذهب السير هربرت غريرسون الى ماهو أبعد من ذلك ومن المفارقات انه يقارن مكبث بجون بنيان .

« أفكاره ومشاعره الاعمق تأتيه كتجارب موضوعية . كروءى العين الجسدية . كأصوات ترن فى الأذن . . . السيرورات الغامضة فى روحه تترجم نفسها الى هذه الروءى والأصوات ، ومعانيها تهيىء دليلا على اعتمال كيانه الخلقى أفضل من أقواله الفصيحة .

فهو قد يجاهر باحتقاره كل وازع خلقى ومانع علوى . فيعلن انه لو أمن فى هذا العالم لجازف بالحياه الآخره . غير ان الاصوات التى يسمعها والروءى التى يراها تكذب مايقول » .

اننا هنا فى أرض خطرة . من حقنا تماما ان نخالف مولتون فى رايه الذاهب الى ان مونولوغ مكبث فى ١ ، ٧ يدل على أن مـا يردعه هو الخوف من النتائج ، وليس الوازع الاخلاقى ، وذلك لأن الصور الشعرية فى كلامه تدل على أن مكبث مسكون برعب من الفعل ، وتطبع الرعب نفسه فى أنفس المشاهدين . بيد أننا اذا ذهبنا الى أبعد من ذلك وزعمنا ان هذه الصور برهان على ما لدى مكبث من خيال قوى ، وان مكبث هو فى الواقع شاعر ، فاننا نخلط بين الحياة الحقيقية والدرامة . فكل شخصية فى المسرحية الشعرية تتكلم شعرا ، ولكن هـذا الشعر لايعكس ميولها الشعرية ـ ان هو الا واسطة . فالرائد المضرج بالدم ينطق شعرا متنظما ، لا لانه هو متنطغ ، بل لان لغة كهذه كانت تعتبر هى الملائمة للسرد الملحمى . « القاتل الاول » يستشهد بقول من صموئيل دانيال ، ويعطينا صورة صفيرة جميلة للاصيل ، لا لان له وزنا ادبيا ، بل لان شكسبير شـاعر . واحتاج فى العبارة الثانية الى رسم مشهد بالكلمات . وهكذا الامر ايضا مع مكبث : ان صوره
الشعرية تعبر عن دخيلتة اللاواعية «وميزة الشعر على الدرامة الواقعية هى قدرته على ذلك » ، ولكن لا يجوز لنا ان نقول انه اذن شاعر .*

lii يتحدث مايترلنك عن أن « جوهر فن الشاعر الدرامى يتألف من انه يتكلم من خلال افواه شخصياته دون ان يبدو

---

* هاملت ، رغم روعة الشعر فى مونولوغاته ، يخبر اوفيليا : « أنا لا أحسن هذه التفاعيل » اى انه لا يحسن كتابة الشعر .

انه يفعل ذلك » ويعلن ان طريقة الحياة التي ينغمر فيها ابطال « مكبث » .

« تخترق وتسود اصواتهم ، وتشيع وتحرك الفاظهم ، الى الحد الذى نراها عنده رؤية افضل واكثر صميمية وآنية مما لو كلفوا انفسهم عناء وصفها لنا . ونحن اذ نعيش معهم ، مثلهم ، نرى من الداخل المنازل والمشاهد التى يعيشون فيها،ونحن مثلهم،لا نحتاج الى من يرينا هذه الاشياءالمحيطةبنا وبهم.ان الذى يشكل ما فى هذا العمل من حياةعميقةووجود اولى سرى يكاد لا يجد، هو هذا الحضور الذى لا يحصى ، هذا الحشد الذى لا ينقطع ، من هذه الصور الشعرية كلها . على السطح يطفو الحوار الضرورى للفعل . ويبدو انه هو الوحيد الذى تلتقطه آذاننا . ولكن اللغة الاخرى ، فى الواقع ، هى التى تصغى اليها غريزتنا ، مشاعرنا اللاواعية ، روحنا ، ان شئت . واذا كانت الكلمات المنطوقة أعمق تأثيرا فينا من كلمات اى شاعر آخر ، فما ذلك الا لانها يدعمها جحفل كبير من القوى الخطية . »

وهكذا فان الشخصيات تجعل ثانوية بالنسبة للشعر. وليس بالعكس (كما فى معظم نقد القرن التاسع عشر) .لاسيل آبروكرومبى ، فى كتابه « فكرة الشعر العظيم » : لديه بحث رائع فى السبب الذى يجعلنا نتمتع بالمأساة التى تبدو نسخة عن « محض الشر فى الحياة » . وفى بحثه هذا يزودنا بتحليل بليغ لمسرحية « مكبث » . فى الفصل الاخير من المسرحية ، يتحكول عالم البطل « الى فراغ من البلاهة اللامجدية » ولكنه

« يفيض على لحظة الرعب ويتحكم حتى بها : انه يتحكم بها بمعرفته اياها معرفة مطلقة كاملة ،وباجباره حتى هذه الخلاصة الجوهرية للشر الممكن كله على أن تحيا امامه بكل ما فى ذهنه الذى لا يروى ظمأه من حرقة وشهوة وروعة مخيفة » .

ويستشهد آبروكرومبى بكلمات مكبث عند سماعه بموت زوجته ويعقب قائلا :

« ليس للمأساة ان تبلغ امرا أسوأ من الاقتناع بأن الحياة لا أهمية لها اطلاقا ... وببلوغ هذا الامر

بالضبط وتذوق ما فيه من فزع ورهبة حتى النهاية . تشمخ شخصية مكبث الى اعلى كبريائها ... ونرى نحن لا ما يشعره وحسب ، بل الشخصية التى تشعره . وفى الجهر على رؤوس الاشهاد بأن الحياة حكاية يحكيها معتوه ولا تعنى اى شيء ، تعلن الحياة فضيلتها وتعني بجلال « نفسها » .

liii

الخطأ الضمنى هنا هو ان آبركرومبى يخلط بين قوة التعبير التى لمكبث وبين القوة الشعرية التى لشكسبير نفسه. فلا معيد عن التاكيد مرة اخرى انه لا يجوز لنا ان نعتبر مكبث شاعرا كبيرا لان شكسبير يجعله يتكلم كما لا يتكلم الا شاعر كبير : فما مكبث الا جزء من قصيدة كبرى . وتعبيره الرائع عن لا معنى الحياة لا يعني الا أن الحياة بلا معنى له هو : ولا يمكن ان يعنى انه تغلب على ذلك اللامعنى بفعل التعبير عنه . كما انه لا يعنى بالطبع أن شكسبير كان يعبر عن رأيه المتشائم فى الكون . والذى يلذ للمشاهد او القارىء ليس ادراك مكبث للتجربة وفهمها ، بل كشف الشاعر عن التجربة على لسان بطله . لقد جرد مكبث الحياة من المعنى بحكم ما فعل . وشكسبير يستعيد المعنى الى الحياة بأن يرينا ان عدمية مكبث ناجمة عن جرائمه .

لان مكبث ، رغم كونه بطلا مأساويا ، مجرم . ولئن نجده يثير تعاطفنا أكثر مما يفعل ريتشارد الثالث . فانه يشبهه بعض الشيء ، كما اشار النقاد الاوائل للمسرحية . أما الفرق بين الشخصيتين فهو ناتج بشكل رئيسى عن فهم شكسبير المتزايد للطبيعة البشرية . فكل مآسيه الناضجة يمكن اعتبارها « ملودراما مؤنسنة » . ريتشارد نذل واع ومكيافلى متعمد . أما مكبث فينطلق بسلسلة جرائمه بالم وعلى مضض ، « كأنما هي واجب مريع » (كما يقول برادلى). مخاوفه تجعله انسانيا ، وفى هذا دليل على أنه بشر ، وانه ليس بالوحش الذى تتصوره رعاياه المضهدة . ولكأنه يقول مع الشاعر جون دن : « أفضل أيامى هي تلك التى أرتعد خوفا فيها » . الملك كريتشارد قد يعانى الاحلام الرهيبة نفسها ، غير انه مصور من الخارج ، مع تقدير لفكاهته الشامتة . ولكننا ، اذ يطرق مكبث درب الزهور الى المحرقة الابدية ، نرى بعينيه .

فريتشارد هو النذل بطلا ، أما مكبث فهو البطل الذى يصبح نذلا .

علينا أن نتذكر أن الاليزابيثيين ، الذى نشأوا وترعرعوا على الفيلسوف المسرحى الرومانى سينيكا ، لم يتمسكوا بالقول الارسطوطالى بأن اسقاط الشرير ليس مأساة أبدا . لقد كانوا قانعين ، كما يقول سيرفيليب سدنى فى « دفاع عن الشعر » .

« بالمأساة الجليلة الشامخة ... التى تجعل الملوك يخافون أن يصيروا طغاة ... والتى تجعلنا نعلم ان

Qui Sceptra saevus duro imperio regit, Timet timentes, metus in authorem redit.

هذان البيتان من مسرحية « أوديب » لسينيكا يمكن ان يكونا ، كما يقترح دوفر ولسون ، شعارا ملائما «مكبث». وقد ترجما آنئذ كما يلى :

من يلعب دور الطاغية العاتى ، ويضرب الاناس الابرياء . يخف كل الذين يخافونه ، وكذا الخوف يحط اولا على المسبب الاول : نعم الانتقام أخيرا من الوالغ فى الدم . وفى كتاب جيمز الاول « باسيليكون دورون » **Basilikon Doron** عبارة لها ان تكون تعقيبا ممتعا على المسرحية ـ

« لان الملك الصالح (بعد حكم سعيد شهير) يموت فى سلام . مبكيا من رعاياه ، وموضع اعجاب جيرانه . وهو اذ يخلف وراءه سمعة محترمة فى الارض ، يحظى بتاج السعادة الابدية فى السماء . ورغم ان بعضهم (وهذا نادرا ما يقع) يقتلون بخيانة بعض الشواذ من الرعايا ، الا ان شهرتهم تحيا بعدهم ، ولابد من وبأ بين يجتاح المقترفين فى هذه الحياة . فضلا عن عارهم فى كل الاجيال اللاحقة :

« العدالة المتوازنة اليدين » التى يتحدث عنها مكبث ـ وهكذا ، بالعكس ، تنتهى حياة الطاغية البائسة الشريرة الى تسليح رعاياه ليصبحوا جزاريه : ورغم أن العصيان منهم دوما غير مشروع ، الا أن العالم يكل من الطاغية ، بحيث ان سقوطه لا يعنى لعمومهم شيئا ، ولا ينال سوى السخرية من جيرانه . وفضلا عن الذكرى السيئة التى يخلفها وراءه هنا . والعذاب الابدى الذى سيلقاه فى الاخرة ، كثيرا مايحدث

ان المقترفين لا ينجون دونما عقاب وحسب ، بل ان الامر يبقى ، اكثر من ذلك ، كأنما القانون اقره طوال اجيال عديدة لاحقة » .

انا لا استشهد بكلام الملك جيمز لكي اوحي بأن **مكبث** كتبت مديحا له . ومع ان الموضوع تم اختياره اصلا لارضاء الملك ؛ لانه يجمع بين ثيمتين كان الملك من الخبراء فيهما ــ السحر واسلافه هو ــ ومع ان شكسبير يذكر لمسة الملك لشفاء السقام ، والعفة الدائمة ؛ وهما موضوعان آخران يهتم بهما جيمز ؛ فان شكسبير لم يقحم هذه المسائل فى مسرحية تملقا منه . كما أن علينا الا نفترض أن معالجة شكسبير لشخصية بانكوو حد من حريتها حساسية الامر بالنسبه الى الملك ؛ او ان الحوار بين مكدف ومالكلولم حول الملك انما ادخل لكي يسر الملك .

17

وعلينا الا نتصور اذ نعود الى فكرة سينيكا عن المأساة كما تطبق فى **مكبث** ان خيال شكسبير انكبح بها وانحصر ، أو انه فرض على نفسه البنية والشكل اللذين يقرهما سينيكا . فادراكه البعيد الخيال لاعماق القلب الانسانى جعل من الصعب عليه على مر الايام ان يعتبر اى شخصية كمجرد نذل شرير ــ حتى ياكيمو يندم ويتوب ــ و (مكبث) قصة رجل نبيل باسل ينتهي الى اللعنة وعذاب الجحيم ، تقدم لنا على نحو يثير فينا الشفقة والرعب . فلئن يكن سبب لعنة مكبث ، فى التحليل الاخير ، خطيئته هو ، فان تجربته عسيرة أليمة . وقد كتب جورج جيفارد عام ١٦٠٣ يقول :

« ان قوة الشياطين قائمة فى قلوب الناس ، ليفسد بها القلب ، وتعمى البصيرة ، والرغاب والشهوات التى فيهم ، يشتعلون بها غضبا ، وحقدا ، وحسدا . وجرائم قتل عاتية ... والشياطين بهذه الامور مشغولة دوما وبكفاءة هائلة ، حتى أنها لولا قوة آلام الرب يسوع المسيح وقيامته المجيدة ، التي هى ملكنا بالايمان ، لما استطاع مقاومتها احد . » .

وكذلك قال جيمز نفسه ان الشيطان يغرى الافراد

« بهذه الحرقات الثلاث التى فى دخيلتنا : الفضول ، .. التعطش للانتقام ، من أجل اذى عميق الذكر فى النفس والشهوة الجشعة فى المقتنيات » .

ولم يكن بوســع شكسبير ان يقدم الشياطين فى احدى مآســيه لانها كانت قد اكتسبت قرائن مضحكة ، غــير ان الساحرات كن مخلوقات مأساوية « بعن انفسهن للشيطان مقابل الحصول على بعض القوى الخارقه » (كري) .

نحن لا نعــلم رأى شــكسبير الشــخصى فى الســحر والسحره ــ هل كان يؤمن بمباديء الملك جيمز . الواردة فى كتابه « علم الشياطين » « ديمونولوجى » أم انه أقرب الى الموقف المتشكل الذى وقفه ريجنالد سكوت ، والذى يبدو اصح عقلا لنا اليوم . الا انه كان بوسعه ان يستخدم السحر لاغراض درامية فى زمن كان فيه كل انسان تقريبا يعتقــد ان الساحرات « قنوات يمكن بها تسليط حقد الارواح الشريرة على البشر » (كرى) .

ويرى الاستاذ كرى ان « اخوات القدر » هن فى الواقع ارواح شريرة ، أو شياطين ، فى شكل ساحرات . ولكن

« سواء اعتبرناهن ساحرات انسانيات متآمرات مع قوى الظلام ، أو شياطين حقيقية فى شكل ساحرات . أو مجرد رموز لا حياة فيها ، فان القوة التي يسلطنها . أو يمثلنها ، أو يرمزن اليها ، هي فى النهاية قــوة شــيطانية .

ولكن علينا ان نلاحظ ان « اخوات القدر » يغرين مكبث لا لسبب الا انهن يعرفون احلامه الطموحة ، وحتى فى هذه الحالة فان تبنوءهن بالتاج لا ينص على وسائل شريرة لنيله ــ انه اخــلاقيا حيــادى . ومكبث نفسه لا يفكــر ابدا بلــوم « اخوات القــدر » على اغرائه بقتــل دنكن ، ولو انه يلوم « الشياطين المشعوذة » ، التى أوهمته بانه أمين محصن . فهو يعلم ان الخطوة الاولى فى درب الزهور انما خطــاها على مســؤوليته هــو .

والجريمة الاولى دافعها الطموح . أما البقية ، مــن قتل المرافقين الى مجزرة عائلة مكدف ، فدافعها الخوف ــ الخوف الذى هو وليد الذنب . وقــد ميــز تيموثى برايت بين المخاوف العصابية وتلك التى يسببها تقريع الضمير :

« كل تعذيب منبعث كشيء ينتمي الى الذهن ، فــانه ليس بذلك المعنى ضربا من ضروب الكآبة ، بــل أن له ارضا ابعد من التصور ، وينبعث من الضمير ليــدين

الروح المذنبة لخرق شرائع الطبيعة المحفورة . تلك التى لا يخلو منها انسان ، مهما يكن هجميا .

lvii هذا ما جعل الشعراء الدنيويين يخترعون « كائنات » مثل هيكاته ، والبومينيديز والعفاريت الجهنمية . فهذه ، رغم كونها شخصيات مخترعة ، فان الأمور التى تتبدى من وراء أقنعتها ، جدية ، وحقيقية . ورهيبه التجربة » .

هذه هي الاحلام المريعة التى تقض كل ليلة مضجع مكبث وزوجته . والصور الشعرية الرؤيوية التى تسبق ثم تعقب قتل دنكن يمكن ردها الى نفس السبب . أكثر منها الى مزاج مكبث الشاعرى . يقول بلوتارك فى كتابه « الاخلاق » :

« ان الشر ، اذ يولد فى داخله ... السخط والعقاب لا بعد ارتكاب فعل الخطيئة ، بل حتى فى لحظة ارتكابه . يبدأ بمقاساة الالم بسبب الجرم ... فى حين أن الشر المؤذى يكون لنفسه آلات عذابه .. والعديد من المخاوف الرهيبة ، واضطرابات ولوعات الروح المفزعة ، وتقريع الضمير ، والندم اليائس . والقلق والمتاعب المستمرة » .

قبل نهاية المسرحية ، نجد ان مكبث ، وقد اطعم رعبا حتى التخمة ، ماعادت تعذبه « اضطرابات مفزعة » كهذه . وهذا منتهي اللعنة . فكما يقول الاستاذ كرى :

« كلما نقص فيه الخير ، ازداد بالتناسب مع ذلك النقص تحكم الميل الشرير فى حرية اختياره ... فلا يستطيع ان يختار الطريق الافضل » .

ومع أن جرائمه اللاحقة ، كما رأينا ، يدفعه اليها تخبطه من أجل صيانة نفسه ، فان بينها فروقا معينة . فمصرع بانكوو ليس سببه فقط انه يعلم بنبوءة « اخوات القدر » مما يجعله خطرا على مكبث ، كما ان ليس سببه

lviii فقط الوعد بأن نسل بانكوو سيرثون العرش — رغم قوة هذين الدافعين . ان مكبث يخشى ما يتصف به بانكوو من حكمة ، طبع خليق بالملوك » ، و « معدن ذهنى مقدام » . وهو يخشاها كلها لانها توبيخ دائم لطبيعته التي لوثتها الان الجريمة .

وهو يأمل على نحو ما أنه اذا قتل بانكوو اراح نفسه من توبيخه . غير ان ما يفعله انما يضمن لهذا التوبيخ أن يصبح أبديا . ولعل بامكاننا ان نطبق ما يقول المسيو سارتر عن القتل على مصرع بانكوو . انه يرى أن القاتل يديم الوضع اللا محتمل الذى اقترف من أجله الجريمة بفعل القتل بالذات : لانه يقتل الضحية لانه يكره كونه موضوع الاخر ، وبالقتل تصبح هذه العلاقة من النوع الذى لا يشفى . ويكون الضحية قد أخذت مفتاح هذا الاعتراب الى القبر معه :

« موت الآخر يجعلني موضوعا لا شفاء له، بالضبط كما يجعلنى موتى . وهكذا يتحول الحقد الى احباط حتى فى انتصاره . »

يعتقد البعض ان بانكوو لا يستحق ان نشعر تجاهه بالحقد الممزوج بالاعجاب ، لانه يبدو انه يتفاهم مع الشر . فقبل القتل نجده مصمما على الا يفقد شرفا بمحاولة الاستزادة منه . وبعد الجريمة ، اذ يشتبه بمكبث ، يقول :

« انى اقف فى يد الله العظمى : ومن هناك
اصارع خطة مكتومة
ملؤها الحقد والخيانة . »

ولكننا نجده فى مطلع الفصل الثالث لم يفعل شيئا لتنفيذ الصراع الذى اقسم عليه ، ويرى برادلى

« ان بانكوو من دون اللوردات جميعا كان يعلم بالنبوءات ولم يقل عنها شيئا . وقد وافق على اعتلاء مكبث العرش ، كما وافق على النظرية الرسمية من أن ولدى دنكن هما اللذان دفعا المرافقين لقتله . »

lix

ومع اننا قد نتفق مع الدكتور دوفر ولسون على انه لا ينبغى معاملة شكسبير معاملة المؤرخ ، ومع ان هذا التأويل لشخصية بانكوو ، من انه « قد خضع للشر » ، يبدو مناقضا لمدح مكبث له فى مكان لاحق من المشهد نفسه ، ومع أن جيمز الاول ما كان على الارجح ليرضى عن صورة غير كريمة ترسم لرجل يعتبر احد اسلافه : مع ذلك كله ، فان نظرية الدكتور ولسون القائلة بأن ثمة حذفا عند هذه النقطة من المسرحية أسهل من ان تكون مقنعة ، ولنا الحق فى أن نشك — وفقا لنظريات الملك جيمز حول الحق الالهى — أن كان من واجب

بانكوو ان يتصرف علـى نحو المكبـث الى ان يطأ مالكو لـم (ابن الملك المقتول) ارض اسكوتلندة . فجيمز ، كما رأينا ، يشجب التمرد حتى على الذين هم طغاة بشكل ساخر . ولم يكن فى ذلك ما هو جديد ، وآل تيودور كانوا سيوافقون على كل كلمة من الفقرة التالية من « القانون الصحيح للملكيات الحرة » للملك جيمز :

« ولذا فان فساد الملك لا يقدر ابدا ان يجعل أولئـك الذين تقرر ان يحكمهم هو، أن يصبحوا حكامه .. وبعد وبعد ذلك ، فانهم ، عوضا عن تخليص الدولة مـن من الشقاء (الذى هو عذرهم وحجتهـم الوحيـدة) سيراكمون عليها الشقاء والخراب مضاعفين ، وهكذا سيحقق تمردهم عكس النتائج التى زعموا ان تمردهم هو من اجلها . »

حتى الملك الفاسد يحفظ النظام فى الدولة ، وفيما عدا كل ما يخص شهواته وأطماعه ، فانه عموما سيحبذ اقامه العدل . واذا لم يكن هناك ملك ، يقول جيمز « ليس هناك ما هو غير شرعى تجاه اى أحد . » ولكنه كان حريصا ايضا على ان يذكر ان

« واجب الولاء ، الذى يقسم عليه الشعب لاميره ، لا يلزم الشعب تجاه الامير وحده ، بل تجاه الذين يخلفونه ويرثونه شرعا ... وانه لمن غير المشروع (مادام هناك من يتسنم العرش) ان يزاح من يخلفه على العرش ، بقدر ما هو غير مشروع ان يسقط من هو على العرش.. فى لحظة انتهاء حكم الملك ، يحل محله اقرب وريث شرعى : وهكذا فان رفضه او اقحام آخر مكانه ، لا يعنى وقف الحكم ، بل طرد وابعاد ملكهم الحق . »

فمن الواضح اذن ان بانكوو كان عليه الا ينتظر ريثمـا يغزو مالكولم اسكوتلنده فى اتخاذ اى اجراء ضد المغتصب : لقد كان عليه ان يدافع عن حق الابن فى العرش لحظة موت الملك دنكن .

Ix ان الحوار الطويل بين مكبث وقاتلي بانكوو فيه عودة بالمنحى الى اغراء الملك جون لهيوبـرت ، واغـراء كلوديوس للايرتيس (على قتل هاملت) . انه يرينا مكبث ، الذى لم نر منه سابقا الا لمحات ، كسياسى ذرب اللسان ، يعـرف كيف « يخادع الزمن » . واذا زعـم البعـض ان القاتلـين

سيرضيان بالقيام بمهمتهما دون هذا الاقناع الكثير ـ اى انهما لا يريدان الا مكافأة نقدية على جريمتهما ـ قلنا ان نجيب على ذلك قائلين ان مكبث .

« أراد ان يخضع ارادتهما . فالمرء يتصوره وهو يذرع الارض جيئة وذهابا ، ويحوك الكلمات سحرا حول المسكينين ، متوقفا بين حين وحين ليسلط عليهما عينا فاحصة نافذة . » (غرانفيل باركر) .

انه يريد لهما أن يقوما بالمهمة كراهية لبانكوو . لا حاجة للمال ، لكيما يخفف عن نفسه بعض الذنب ـ لكيما يستطيع ان يصرخ : الن تقدر ان تقول : «أنا الذى فعلتها» . وكلامه عن الكلاب وانواعها ، الذى يعتبره البعض اقل ما فى المسرحية ضرورة ، ويستحق الشطب ، يساعد فى تقديم وجه من أوجه « النظام » ، الذى هو الان يحطمه . وفى هذا المشهد مغزى لم يلق حتى الان تقريره الوافى ـ انه اصداء موعظة المسيح على الجبل ، بموجبها يشهد مكبث ، دون وعى منه ، على القاعدة الاخلاقية التى ينتهكها .

وما حدث فيما بعد من قتل لافراد اسرة مكدف على أيدى جلاوزة مكبث ، انما هو مجزرة عشوائية غدت أخيرا الامر بموت مكدف نفسه . وهى لم تستهدف تحقيق اية غاية معينة ، لقد اصبح التحطيم ، وان ينبع عن الخوف ، غاية بحد ذاتها .

يقول كولردج ان الشخصية الرئيسية الاخرى ، شريكة مكبث وغاويته ، ليست بالوحش ، او الملكة الجهنمية ، التى اعتبرها كذلك معظم نقاد القرن الثامن عشر :

« بل بالعكس . جهدها الدائم طوال المسرحية هو ان تقارع الضمير . لقد كانت امرأة ميالة الى الرؤى واحلام اليقظة ، عينها مركزة فى اشباح طموحها الاوحد ومشاعرها ، بسبب تأملاتها فى الشهوة التى ملكت عليها كيانها ، مجردة عن العواطف العادية التى تعرفها حياة اللحم والدم . بيد أن ضميرها ، عوضا عن أن يصاب باليأس ، يخزها ويؤذيها باستمرار ، وهى تحاول ان تخنق صوته ، وتكتم صراعاته ، بخيالاتها المضخمة المحلقة ، واستنجاداتها بالوسائط الروحية . »

صحيح أن الليدى مكبث ليست اصلا عديمة الخلق والضمير (كما أن ابليس لم يكن كذلك) : ولكنها تختار الشر عن عمد ، واختيارها اشد عمدا من اختيار زوجها . يقول مكبث ان الطموح دافعة الوحيد ، غير أنه ما كان ليتغلب على اعراضه عن اقتراف الجريمة لولا تعنيف لسـان زوجته . انها ، لا مجازا او رمزا ، بل بكل ما أوتيت من جدية ، تضرع الى قوى الظلام لتمتلكها ، وكما يناقش فى ذلك منطقيـا الاستاذ كرى :

« يبدو أن رجاءها يستجاب . اذ بمجىء الليل تلتف قلعتها بسواد كالذى تمنت .وهى تعلم ان هذه الكيانات الروحيـة تدرس بشغف آثـار الانشطة الذهنية فـى الجسم الانسـانى ، وتنتظر بصبر ظهور دلائل الفكر الشرير الذى يسمح لها بالدخول عبر حواجز الارادة الانسانية الى الجسم لكى تتملكه . انها تخدم خواطر البشر . اذ ، يقول كاسيان . « من الواضح ان الارواح النجسة لا تستطيع ان تشق طريقها الى الاجسام التى سوف تمسك بها الا بأن تمتلك أولا انفسها وافكارها » . وهكذا ، بدلا من ان تحرس الليدى مكبث نفسهـا او عقلها ضد هجمات ملائكة الشر ، فانها تريد لها عـن اصرار ان تغزو بحيلتها جسمها وتسيطر عليه بحيث تستأصل منه كليا ميول الروح الطبيعية الى الخـير والرحمة ... وما من ريب فى أن كيانات الشر هذه تتملك بالفعل جسمها وفق مشيئتها بالضبط .

ولقد كانت الممثلة المسز سيدونز محقة عندما قالت ان الليدى مكبث « بعد ان جنحت وسلمت نفسـهـا لاثـارات الجحيم ، تركت تحت توجيه الشياطين التى استثارتها . » وادراك الممثلة العظيمة لهذه الحقيقة هو احد الاسباب التى جعلت اداءها للدور اعمق اثرا من اداء اية ممثلة اخرى ، كما جعلت التأويلات الواقعية له محكوما عليها بالفشل مسبقا . اننا فى غنى عن الافتراض بان شكسبير نفسه كان يؤمن بمس الجن ، بقدر ما نحن فى غنى عن الجزم فيما اذا كان يتبـع ريجنالد سكوت فى آرائه حول السحر ، او الملك جيمز فى آرائه حول الحق الالهى : ولكن من الصعب ان نشك أنه أراد لليدى مكبث ان يكون فيها مس من الجن ، حرفيا . تأويل كهذا يفسر الظلام الشاذ والخوارق الشاذة ايضا ليلة الجريمة كما انه يفسر ما يسميه الاستاذ كرى « التومشة الشيطانية » فى المشهد الذى تمشى فيه الليدى مكبث فى نومها .

lxii ثمة نقاد صوروا الليدى مكبث بأن فيها شيئا من العاطفة وقالوا ان صرختها « أمير فايف كانت له زوجة : اين هى الآن ؟ » تدل على انها كامرأة ما زالت تستطيع ان تشعر مع امرأة مقتولة . ومن الناحية الاخرى يتفق برادلى مع كامبل اذ اصر هذا على ان « فى بؤس الليدى مكبث لا نجد أثر للندامة او التوبة . » ولكن هذا معناه اننا نتعامل مع مشهد النومشة حرفيا اكثر مما ينبغى. ورغم ان هوس الليدى مكبث بلطخات الدم على يديها ، وبخاصة هوسها برائحة الدم قد يفسر كدليل على خوفها من الانكشاف ، الا انه ايضا يرمز بشكل صارخ الى وعيها جرمها والانتهاك الذى سببته لروحها. ولكن يجب أن نذكر ان المعتقد كان من صفات النومشة الشيطانية ان شخصا ثانيا يتكلم من خلال فم المريض ، معترفا بالخطايا وأحيانا روايا الذكريات .

قد يقل ان الليل الخالى من النجوم ، والاحداث المذهلة المرافقة للجريمة ، ومشى الليدى مكبث فى نومها ، يمكن تفسيرها جميعا دون ادخال الغيبيات وخوارق الطبيعة فى الامر — وهذه الحقيقة ربما تعكس تراكبا من المعانى فى ذهن شكسبير . وللجمهور أن يأخذها بهذا المعنى او ذاك ، ولو أن معنى الخوارق هو الاكثر طبيعية لدى الجمهور المعاصر لشكسبير . ومن الناحية اخرى ، يجب القول ان المشهد العجائبى فى الفصل الثالث حيث نرى ان الجريمة لم تقرب ما بين المجرمين الاثنين ، بل أقامت بينهما حاجزا لا يخترق — هذه الصورة « للصحراء المسكونة بالجن فى روحيهما » — لا تحتاج بل قد يقال انها تنفى عنها ، ان تكون الليدى مكبث ما زالت فى قبضة الجن : ومشهد الوليمة بالذات ، حيث تسترد لفترة ما ، وللمرة الاخيرة ، بعضا من الارادة ، ليس من السهل جعله يتفق مع النظرية الشطانية : والا فان الشطان

lxiii يبدو وكأنه انقسم على نفسه ، من ناحية دافعا مكبث الى عرض جرمه ، ومن ناحية اخرى ممكنا الليدى مكبث من التستر عليه . وهكذا ، فى مشهد النومشة ، سواء أكانت اعترافاتها اللاارادية وهى ملتاعة أليمة بحيث ، كما يقول برادلى ، يبدو لبرهة « أن لغة الشعر كلها تنأى عن الواقع . وتبدو هذه الجمل القصيرة التى لا لون لها وكأنها وحدها صوت الحقيقة » من دفق ضميرها المكبوت ، أم من كلمات الخائن فى دخيلتها ، فان لنا الا نحرمها الشفقة (وهى التى لابد وهبها اياها شكسبير نفسه) . فثمة شفقة حتى فى « جحيم » دانتى .

كوننا اليوم لا نؤمن بالجن والارواح الشريرة ، فى حين ان معظم جمهور شكسبير كان يؤمن بها ، لا يقلل الاثر الدرامى فينا ، اذ بتلاشي اعتقاد بوجود الشياطين موضوعيا ، فان الشياطين وعملياتها مازالت تستطيع ان ترمز الى نشاطات الشر فى قلوب البشر . فالنوم لا للغيبيين فقط بل للمذنبين ايضا ، « هو الجحيم ومكان الملعونين المعذبين » ، كما يقول بلوتاك ، لانه يمثل لهم .

« رؤى رهيبة وتصورات راعبة ، ينهض شياطين وجنا وعفاريت لتعذيب الروح المسكينة البائسة ، انه يخرجها من راحتها الوادعة بأحلامها المخيفة ، التى تسوط وتضرب وتعاقب نفسها بها كأنما بأمر من شخص لآخر تطيع هى أوامره القاسية واللا منطقية . » فتغير العادات والمعتقدات لاينال من شمولية المأساة .

وعلينا الا نحسب ان الحذف والتبديل قد أعطبا كثيرا وحدة المسرحية وقوتها . لقد شكا بعض النقاد ، فى الواقع من ان معظم شخصيات المسرحية « مسطحة » وتنقصها الفردية ، وان بعض المشاهد غير درامى وبليد . وغير أن تسطيح الشخصيات وسيلة درامية مشروعة ، تنتهى الى تركيز الانتباه فى الشخصيات الرئيسية . وهكذا فان روص ، وآنغس ، واللورد الآخر ، ولينوكس والطبيبان ، والسيدة الوصيفة ، يكادون لا يتميزون بأية خصلة ظاهرة ، بل ان خصائص روص ولينوكس تبدو متناقضة : غير ان هذه الشخصيات مجتمعة تكون « كورس » يعلق على الفعل الجارى فى المسرحية .

lxiv

اما الشكوى الاخرى من أن بعض المشاهد غير درامى ، فلعلنى قد أجبت عليها سابقا ، على الاقل ضمنا . فليس من قبيل الصدفة كليا ان بعض المشاهد التى اعتبرها النقاد فيما مضى مشكوكا فى أصالتها ، او مديحا غير وارد للملك جيمز ، أو ترضية للذوق الحاشية من الجمهور ، أو مقاطع من كتابات مسترخية ، جعلنا نعتبره الآن جوهريا لفهم المسرحية . فمشهد البواب ، ومقطع الكلاب وانواعها ، والكلام على « سقام الملك » واول مشهدين من المسرحية ، والحوار بين مكدف وما لكولم في المشهد الثالث من الفصل الرابع ، بحثناها آنفا : ولكن ربما يجدر بنا ان نضيف ملاحظة عن المقطع الاخير منها ، لانه بدأن عادة لاطنابه و « سخفه » . هارلى غرانفل باركر يعتقد ان كتابة هذا المشهد تفتقر الى

التلقائية ، ولكنه يشير الى أهميته فى خطة المسرحية . انه منطلق الفعل المضاد فى المسرحية ، فالجمهور بحاجة الى فسحة يلتقط فيها انفاسه ،

« واحتمال كون مالكولم ما يتهم نفسه به ، واحتمال كون مكدف جاسوسا لمكبث ، فينصرف الواحد بقرف عن الآخر ، وكون مكدف لا يقتنع بسهولة بالحقيقة ـ هذا كله ضرورى كقاعدة صلبة للسيطرة الخلقية التى ستكون لهذين الرجلين على بقية المسرح . فالامر باجمعه يجب ان يعطى حيزا ووزنا يتناسبان وخطورته »

ويمكن ايضا الدفاع عن المشهد باعتباره « مرآة للحكام » ـ بحثا فى التضاد بين الحكم الملكى الصحيح والطغيان وهو وثيق الصلة بمادة المسرحية . وبوسعة ان يرينا بوضوح كيف أن فساد حكم مكبث جعل حتى الاخيار يشتبهون فى نوايا الاخيار . ولعل المشهد ، كما يقترح الاستاذ نايتس ، يقوم مقام تعقيب الكورس :

« اننا نرى ان اتهام مالكولم نفسه أمر وارد . لقد توقف عن كونه شخصا . أبياته تردد وتضخم الشرور التى نسبت حتى الآن الى مكبث ، كأنه مرآة تعكس فيها مآسى اسكوتلندة . والنص على الشر يقويه التضاد مع الفضائل المقابلة . »

lxv يشكو الاستاذ تشارلتون من النقاد الذين يعاملون شخصيات شكسبير كأنها « رموز تشيكية فى ارابسك من الصور الشعرية الباطنية » ، او « مويجات ايقاعية ترتل فى طقس لونى . » ومع اننا قد نشك فى ان هذه العبارات تصف بالضبط ممارسات النقاد بعد برادلى ، فاننا ربما نوافق على القول بان مسرحيات شكسبير الشعرية انما هى مسرحيات للتمثيل ، وليست فقط قصائد للقراءة . ومن الناحية الاخرى يجب الحفاظ على التمييز بين الفن والحياة ، كما لم يحافظ عليه النقاد السيكولوجيون فى القرن ونصف القرن الاخيرين . لقد كتب شكسبير مسرحيات اتفق أنها قصائد ، وقصائد اتفق انها مسرحيات ـ وليس من السهل الحفاظ على توازن دقيق بين شقي هذا القول . ثم أننا ، فى أثناء تحليلنا احدى المآسي ، ميالون جدا الى تحجير مادة الاصل الحية ، وفرض معنى معاصر ، او اليزابيثي ، على مغزاها الاغرب « الخاصة » من الجمهور ، ايام شكسبير قد يكون بعيدا عن فهم كامل ،

فهم شكسبيرى ، لـ « مكبث » بقدر ما قد تكون تأملات آ . سى . برادلى. فالمسرحيات هي من الاتساع والتعقيد ما يمكننا من قول أشياء عنها تبدو متناقضة ، ولكنها تعبر عن وجه ما من الحقيقة . بوسعنا في الواقع أن ندعو **مكبث** اعظم المسرحيات « الاخلاقية » اذ نعي في الوقت نفسه أن شكسبير يتخطى جلال قصة نفس انسانية وهي في طريقها الى العذاب الملعون، وانه يرينا طاقة لاتقهر وهي تشتعل « في غابات الليل » ، والملائكة خيلها ، رواكض الفضاء الخفية ، « والشفقة كطفل وليد عار يمتطي الزوبعة » ، و « هيكل الاشياء المزعزعة » . والحياة الانسانية ، شمعة وجيزة يطفئها تراب الموت . بكل روعتها وشقائها ، وحتى بجرائمها ، وليس .

حكاية

يحكيها معتوة ، ملؤها الصخب والعنف

ولا تعنى اى شيء

نحن قد لا نتفق مع كامبل عندما تحدث عن **مكبث** وقال انها « أعظم كنز فى أدبنا الدرامى » ، او مع ميسفيلد ، الذى دعاها « اروع » مسرحيات شكسبير . غير أن فيها ولا شك روعة ذات غنى وتوتر غريبين نادرا ماضاهاها الشاعر ، كما ان فيها انجازا وتحكما فنيا ربما لم يفقهما الشاعر الا فى **الملك لير** .

* * *

مَكبث

تأليف : وليم شكسبير
ترجمة : جبرا ابراهيم جبرا
تحقيق وتقديم: كينيث ميوار

العنوان الاصلي للمسرحيه

THE ARDEN EDITION OF THE WORKS OF WILLIAM SHAKESPEARE

MACBETH

Edited by
KENNETH MUIR

LONDON
METHUEN & CO LTD
11 NEW FETTER LANE, LONDON EC4

شخصيات المسرحية

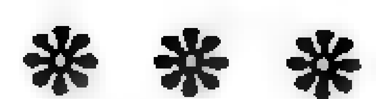
دنكن ، ملك اسكوتلنده	Duncan
دونالبين } ابنا الملك	Donalbain
مالكولم } ابنا الملك	Malcolm
مكبث	Macbeth
بانكـــوو	Banquo
مكـــدف	Macduff
لينوكس	Lenox
روص	Rosse
منتيث	Menteth
آنغس	Angus
كاثنيس	Cathness
فليانس ، ابن بانكوو	Fleance
سيوارد ، ايرل نورثمبرلاند ، قائد القوات الانكليزية	Siward
سيوارد الابن .	Young Siward
سيتون ، ضابط مرافق لمكبث	Seyton
صبي ، ابن مكدف	Boy, son to Macduff
طبيب انكليزى	An English Doctor
طبيب اسكوتلندى	A Scottish Doctor
جنـــدى	A Soldier

بـــواب	A Porter
شـــيخ	An old Man
ليدى مكدف	Lady Macduff
سيدة وصيفة ترافق ليدى مكبث	Gentlewoman
هكاته	Hecate
ثلاث ساحرات	Three Witches

لوردات ، سادة ضباط ، جنود ، قتلة ، مرافقون ، رسل .

شبح بانكوو ، وأطياف أخرى

المشـــهد : نهاية الفصـــل الرابع فى انكلترة ، وبقيـــة المسرحيـــة فى اســـكوتلنـــده .



الفصل الاول

المشهد الأول

مكان في العراء

رعد وبرق . تدخل ساحرات ثلاث (١)

ساحرة ١ : متى نلتقي ثانية نحن الثلاث
في رعود وبروق وأمطار كاللهاث ؟

ساحرة ٢ : حين يكف الهرج والمرج رعبا
ويمسي القتال خسرانا وكسبا .

ساحرة ٣ : ذلك قبل مغيب الشمس حاصل .

ساحرة ١ : اما المكان ؟

ساحرة ٢ : ففي القفراء ماثل .

ساحرة ٣ : حيث نلتقي بمكبث .

ساحرة ١ : قطّي الشهباء ، لبيك ! (٢)

---

(١) يعتقد البعض أن هذا المشهد دخيل على المسرحية ، وليس من قلم شكسبير . غير أن كولردج يرى غير ذلك ، ويقول « إن السبب الحقيقي لظهور أخوات القدر في المطلع هو عزف النغمة الأولى التي ستطغى على المسرحية كلها .» انها نغمة الشؤم .

(٢) لكل ساحرة قطة أو علجومة (ضرب من ضفادع الطين) هي رفيقتها وواسطتها في أعمالها السحرية . وكان المعتقد أن الساحرات لهن القدرة على حفظ الشياطين والعفاريت في أجسام القطط والعلاجيم .

ساحرة ٢ : علجومتي تنـادى !

ساحرة ٣ : لبيك - لبيك !

الثلاث معا : الجميل هو الدميم ، والدميم هو الجميل على الدوام
فهيا حوموا في حلكة من ضباب وقتام .

(يخـرجن)

المشهد الثاني

معسـكر

نفير من الداخل . يدخل الملك دنكن . مالكولم .
دونالبين . لينوكس ، مع مرافقين ، ويلتقون برائد
جـريح ينزف .

دنكـن : ماذاك الرجل المضرّج بالدم ؟ (٣) بوسعه اخبارنا .
كما يبـدو من سـوء حاله ، بأحدث
مراحـل العصيـان .

مالكولم : هذا هو الضابط الذى
قاوم الاسر . كما هو قمين
بالجندي الباسل الصلب . مرحبا بالصديق الشجاع !
أدل للملك بمـا تعرف عن المعمعة
كما كانت حين تركتها .

الرائـد : لقد ظلت بين بين :
كسباحين منهكين يتشبث كلاهما بالآخر
فيختنقان فنهما . والجائر مكدونالد

---

(٣) كلمة الدم أو الدماء ترد أكثر من مئة مرة في « مكبث » .

(وما اجدره بالتمرد ، اذ لتلك الغاية ١٠
راحت نذالات الطبيعة المتكاثرة
تنغل عليه) من جــزر الغرب يأتيه
مَدَدٌ من المشــاة والخيالة ،
وربة الحظ ابتسمت لعصيانه اللعين
وبانت كبغيّ تهوى متمردا . ولكن ضعفه ظل باديا .
لان مكبث الجريء (وما أحقه بهذا النعت)
يزدرى بربة الحظ ، وبسيفه المسلول الذى
يبخر الـدم منه لكثرة ماضرب ،
يشق طريقه ، وهو للشجاعة حبيبها ،
حتى يجـابه العبد . ٢٠
ولم يصافحه او يودعه حتى
قـدّه ، قدّاً من السرّة الى الشدقين ،
وغـرز رأسـه على شرفات قلعتنا .

دنكـن : يا لابن عمي الشجاع ! ياسيد المروءات ! (٤)

الرائد : وكما من حيث تبدأ الشمس ارتدادها (٥)
تنطلق العواصفُ المحطمةُ السفنَ والرعودُ الراعبة ،
هكذا من المصدر نفسه الذى يبدو الأمان قادما منه ،
يتصاعد الخطر . . . فانظر . يا ملك اسكتلندة ،
انظـر !
ما كادت العـدالة ، مسلحة بالبأس .
تُكره المشاة المنطنطين على تولية أدبارهم ٣٠

---

(٤) كان دنكن ومكبث حفيدي الملك مالكولم .

(٥) يقصد عودتها عند التعادل الربيعي .

حتى اهتبــل ســيد النرويج الفرصة ،
وبأسلحة مصقولة ومدد جــديد من الرجال
شرع بهجــوم ثان .

دنكن : او لم يفــزع هذا
قائدينا ، مكبث وبانكوو ؟

الرائد : بلى ؛
كما يُفزِع البغاثُ النسورَ ، او الأرنبُ الأسد .
واذا قلتُ الصدق ، فعليّ ان اعلمكم ان كليهما
كان كمدفع مشحون ببــارود مزدوج ،
فراحا يكرران الضرب على العدو مكرَّرا :
هل كانا يبغيان استحماما بالجراح الشاخبة ٤٠
ام إحيــاء لذكرى جلجلة ثانية ،
لست والله ادرى —
ولكنني وهنت ، وطعناتي تطلب العون .

دنكن : ما أجمل كلماتك بك ، كجراحك !
في كلتيهما مذاق الشرف — عليكم بتطبيبه .
(يخرج الرائد برفقة مساعدين)
يدخل روص وآنغس
من القــادم هنا ؟

مالكولم : الكريم أمــير روص .

لينوكس : يا للعجلة المطلة من عينيه ! هكذا يبــدو
من يريد قول اشياء غريبــة .

روص : عاش الملك !

دنكن : من اين انت قادم ايها الامير ؟

روص : من فايف ، ايها الملك العظيم .
حيث البيارق النرويجية كانت تهزأ من السماء ٥٠
وترفّ إخماداً لنار رَبْعنا . سيد النرويج نفسُه ،
ومعه اعــداد مريعــة
ويسنده ذلك الخائنُ الناكثُ عهدَه
أميرُ كودَر ، شرع في قتال مــرير .
الى ان جابهه عريس ربة الهيجاء(٦) . مكسوا بالحديد ،
بمثل ما لديه :
سيفاً لسيف . سلاحا متمردا لسلاح .
كابحاً إقــدامه الوقح . وختاما .
كان النصر حليفنا —

دنكن : يا للســعادة ! ٦٠

روص : وراح الآن
ســوينو . ملك النرويج ، يرجو التفاهم .
ولم نسمح له بدفن قتلاه
الى ان دفع لنا في جزيرة سانت كولم
عشرة آلاف دولار (٧) لاغراضنا العامة .

دنكن : لن يخونَ اميرُ كودَر بعد اليوم
مصالحَنا الداخلية — اذهب واعلن مصرعه

---

(٦) يقصد مكبث .

(٧) تم سك الدولار لأول مرة عام ١٥١٨ — أي بعد أحداث هذه المسرحيــة بحوالي خمسة قرون .
شكسبير يعيد هنا ذكر جزية دفعها في عصره لإنكلترا الملك كريستيان ، ملك النرويــج .

وبلقبه السابق حيّ مكبث .

روص : سأفعل .

دنكن : ماضيّعه كودر غدا كسباً للنبيل مكبث .

المشهد الثالث

قفراء

رعد . تدخل الساحرات الثلاث

ساحرة ١ : اين كنت يا أختاه ؟

ساحرة ٢ : اقتل الخنازير .

ساحرة ٣ : وانت يا اختاه ؟

ساحرة ١ : لقيت زوجة بحار والكستناء في حجرها
وهي تمضغ ، وتمضغ ، وتمضغ .
« أعطيني » قلت لها .
« انقلعي ، يا ساحرة ! »
صاحت الحيزبون المدللة .
زوجها الى حلب قد سافر ، وهو ربان «النمر» (٨) .
لكنني في غربال سأبحر الى مركبه .
وكجرذون بلا ذيل
سأفعل ، وأفعل ، وأفعل . . . (٩)

ساحرة ٢ : سأعطيك ريحا واحدة (١٠) . ١٠

(٨) كانت هذه تسمية محببة للكثير من المراكب في أيام شكسبير .

(٩) أي أنها ستتحول إلى جرذ لتدخل المركب ، وهناك ستفعل فعلها السحري بالربان .

(١٠) كان المعتقد أن الساحرات يبعن الرياح لمن يطلبها .

ساحرة ١ : لك شـــكري .

ساحرة ٣ : ومني اخـــرى واحـــدة .

ساحرة ١ : انا لديّ الاخريات ،
والموانىء التي تهب منها وعليها .
والاماكن التي تعرفها
في خرائط البحارة كلهـــا .
جفافَ القشِّ ســـأجففُهُ
من رأســـه حتى قـــدميه ،
والنومُ لن يعلقَ حتى بالهُدب من عينيهِ ٢٠
في حلكة الليل او وضح النهـــار .
ملعونا سيحيا ، بل طريدَ اللعنات .
ولسبع ليـــالٍ ، مضروبةٍ بتسعٍ تسعَ مرات .
سيصاب بالضمور ، والنحول ، والهزال :(١١)
ولئن عجزتُ عن إفقاده سفينتَه ،
جعلتُها العوبة للزوابع المزمجرات .
انظـــرا ما عندى .

ساحرة ٢ : أريني ، أريني .

ساحرة ١ : عندى إبهـــامُ ملاح
تحطمتْ عند عـــودته سفينتُه .
(صوت طبل من الداخل)

ساحرة ٣ : طبـــلٌ ، طبـــلُ ! ٣٠

---

(١١) كانت الساحرة تصنع دمية من شمع ، فتغرز فيهـــا الابر ، أو تذيبهـــا ببطء قرب نار منخفضة ، وكلما « تعذبت » الدمية أو ذابت ، تعذب وذاب الشخص المراد ايذاؤه بهذا السحر .

مكبثٌ القــادم !

كلهن معاً : اخواتُ القَدَر المسرعات
عــبر الاراضي والبحار
يدرن كذا في حلقـــات
يداً بيـــد .
لكِ ثلاثٌ ، ولي ثلاث (١٢)
واخرى ثلاثٌ تثلّث الثلاث . . .
كفى ! فالرقية استوت !
يدخل مكبث وبانكوو

مكبث : يوما دميما وجميلا كهذا ما رأيت قط .

بانكـــوو : ما المسافة الى فورس ؟ — ما هؤلاء
الذاويات المشعّثات بلبوسهن ، ٤٠
لا يشبهن اهــل الارض ،
ولكنهن عليها ؟ أأحياء انتن ؟ أو كائنات
يجوز للانس سؤالكن ؟(١٣) يبدو انكن تفهمنني ،
اذ تضع كل منكن اصبعها المشققة
على شفتيهاالجلديتين : لابد أنكن نســاء
ولكنْ لحاكُنّ تمنعني عن تأويلِكُنّ كذلك .

مكبث : انطقن — إن استطعتن ! من أنتن ؟

ساحرة ١ : ســلاما يامكبث ، ســلاما يا أمير غلامس !

ساحرة ٢ : ســلاما يامكبث ، ســلاما يا أمير كودر !

---

(١٢) كانت الساحرات يؤثرن الاعداد الفردية ، ولا سيما مكررات الثلاثة .

(١٣) كان المفروض أن الأرواح لا تتكلم إلا إذا خوطبت أولا .

ساحرة ٣ : ســلاما يامكبث ، يا ملكا فيما بعد !

بانكــوو : سيدى الكريم ، أراك تُجفل ، وتبدو خائفا ٥٠
من امــورٍ جميلٌ سمعُها ؟ — ألا حلّفتكن ،
أمن خلق الخيال انتنّ ، أم أنتن حقا
ماتُبدين في ظاهركن ؟ زميلي النبيلُ
تحيينه بمــا أُنعِم للتو عليه ، وبالتنبؤ الكبير
بنُبْلٍ وشيك ، وبأمل في المُلْك ،
حتى لهو مشدوه مما سمع : اما معي فلا تتكلمن .
إن يكن بمقدوركن التمعن في بذور الزمن
فتعرفن ايها سينمو ، وايها لا ،
حدّثني — انا الذى لا أرجو منكن معروفا ٦٠
ولا أرهب منكن كراهية .

ساحرة ١ : ســلاما !

ساحرة ٢ : ســلاما !

ساحرة ٣ : ســلاما !

ساحرة ١ : اقل شــأنا من مكبث ، وأعظم .

ساحرة ٢ : اقل منه سعادة ، ولكن اسعد بكثير .

ساحرة ٣ : ســتلد الملوك ، وإن يَفُتْكَ انت المُلْك .
ولذا ، ســلاما ، يا مكبث ، ويا بانكوو !

ساحرة ١ : يابانكوو ويامكبث ، سلاما ، سلاما !

مكبث : مكانَكُنّ ، ياناقصات النطق ! أخبرني بالمزيد ٧٠
انا اعلم انني الآن ، بموت ساينل ، أمير غلامس .

ولكن كيف امسيتُ اميرَ كودَر ؟ اميرُ كودر في
قيد الحيـــاة .
سيدٌ متنعم . (١٤) وأن اجعل في منظور الصدق
صيرورتي مَلِكاً ، بعيدٌ بُعْدَ كوني اميرَ كودرْ .
من اين لكن هذا العلمُ الغريب ؟ ولمـــاذا
تقفن سيرنا في هذه الفلاة الممطرة بالصواعق
بهذه التحيات النبوية ؟ تكلمن ! آمركن !
(تتلاشى الساحرات)

بانكوو : للأرض فقاقيع ، كما للمـــاء ،
وهؤلاء منها — اين تلاشين ؟ ٨٠

مكبث : في الهواء . وذاك الذى بدا مجسدا
ذاب كنفخة في الريح . ليتهن تريثن !

بانكوو : هل كانت هنا كيانات كالتي نتحدث عنها ،
ام اننا التقمنا جذور المجانين (١٥) التي
تجعل من العقل أســيرا ؟

مكبث : أبناؤك سيصبحون ملوكا . . .

بانكوو : وانت ستصبح ملكا . . .

مكبث : وامير كودر ايضا ، الم يقلن ذلك ؟

---

(١٤) يبدو أن مكبث لم يعلم بتآمر أمير كودر مع الغزاة إلا بعد المعركة .

(١٥) أي الجذور التي تحدث الجنون . كان يعتقد أن هناك أنواعاً من النباتات تذهب بالعقل عندما كل أو يشرب ماؤها المغلي ، وتجعل العين ترى ما لا تراه عين العـــاقل .

بانكوو : بل بالنغمة ذاتها ، والكلمات . . . من هنا ؟

يدخل روص وآنغس

روص : اشــد ماسعد الملك ، يامكبث ،
بأنبــاء نجاحك . وعندما اطلّع على ٩٠
مغامرتك بشخصك في حرب المتمردين ،
تصارعت دهشته مع مدائحه ،
ايدهش لنفسه أم يمدحك أنت : واذا اسكته ذلك ،
واستعرض بقية ذلك النهار بالذات
فوجدك في صفوف النرويجي الضخمة ،
غير خائف ما كنت تصنع انت بنفسك —
صُوَراً للردى عجيبةً وكالبَرَدِ الغزير
جاء الرسول مع الرسول ، وكل منهم يحمل
المدح لك لدفاعك العظيم عن مملكته ؛
ليصبه بين يديه .

انغس : لقد أرســلنا
لنُهديك الشكر من سيدنا الملك ، ١٠٠
لنرافقك الى حضرته وحسب ،
لا لنجــزيك .

روص : وعــربونا لتكريمٍ منه اكبر ،
امرني ان القبك ، نيابةً عنه ، « سيرَ كودر » .
وها إني بهذا اللقب المضاف احييك ، ايها الامــير الكريم ،
لانه الان لك .

بانكوو : ماذا ! أينطق الشيطان بالصدق ؟

مكبث : اميرُ كودر حيٌّ يُرزق . لماذا تلبسونني أردية مستعارة ؟ (١٦)

آنغس : ذاك الذى كان اميرا ، مازال حيا ،
ولكنه تحت حكم ثقيل يحمل تلك الحياة ١١٠
التي يستحق فقدانها . هل انضم
لرجال ملك النرويج ، ام انه أمد المتمرد
في الخفاء بالعون والفرصة ، ام انه مع كليهما
سعى في تدمير وطنه ، لست ادرى .
غير ان الخيانات العظمى التي اعترف بها وثبتت عليه
قلبت عليه احـوالـه .

مكبث : (جانبيا) غلامس ، وامير كودر :
والأعظم فيما بعد . (لروص وآنغس) شكرا
لاتعابكما . —
(لبانكوو) الا تأمل ان يصبح ابناؤك ملوكا
حين تجد ان اللواتي منحنني امارةَ كودر
وعدنهم بالمُلْك ؟

بانكوو : إن انتَ صدَّقت ذلك الصدق كله ، ١٢٠
ربما الهب فيك الامل في التاج ،
فضلا عن امارة كودر . ولكنه امر غريب :
فكثيرا ما تحدثنا وسائط الظلام بالحقائق
لتؤدي بنا أخيراً الى الاذى .
انها تكسب رضانا بتوافهَ صادقة ، لتخوننا

---

(١٦) هذه الصور الشعرية ستتكرر في خلال المسرحية كلها .

في اعمق الامـــور خطورة .
يا اولاد العم ، كلمة ، رجاء .

(يتنحي بروص وآنغس)

مكبث : (جانبيـــا) حقيقتان قيلتـــا
توطئتين مشرقتين للفصل المتنامي
حول الموضوع الملكي ـ شكرا ، ايها السيدان ـ ١٣٠
(جانبيـــا) هذا الخطاب الخارق للطبيعة
لا هو بالشر ، ولا هو بالخير :
فان يكن شرا ، لمـــاذا يمنحني عربونا بالنجاح ،
بادئا بحقيقة صادقة ؟ انا امير كودر :
فان يكن خيرا ، لماذا أراني أستسلم لذلك الإيحاء الذى
صورته الراعبة(١٧) يتتصب لها شعرى
وتجعل قلبي المستكين يقرع اضلاعي ،
شذوذا عن طبيعتي ؟ ان مواضع الخوف الراهنة
لأخفُّ وقعا من التخيلات المرعبة .
وإن فكري الذى ليس القتلُ فيه الا متخيّلا
ليزلزل كياني الموحد انســانا
حتّى ليختنق الفعل في التكهن ، ١٤٠
وما من حقيقي الا الذى ليس بالحقيقي . (١٨)

بانكوو : انظر كيف وقف مشدوها زميلنا .

---

(١٧) أي صورته التي يتخيلها وهو يقتل دنكن . تمثل هذه الأبيات لحظة مولـــد الشر في نفس مكبث . فهو ربما ساورته من قبل هواجس الطموح ، أو حتى هواجس القتل ، غير أنه الآن يشعر لأول مرة حقيقة القتل وهي تـــداهمه بهولهـــا .

(١٨) هذه أمثولة المسرحية : . . الحقيقة والوهم يتبادلان الأمكنة (نايت) .

مكبث : (جانبيـا) ان كان للحظ ان يجعلني ملكا ، فللحظ
ان يتوجني
دونما حـراك مني .

بانكوو : تأتيه القاب التكريم الجديدة
كثيابنا الغريبة ، فلا تلصق بهيكلها
الا بعون من الاستعمال .

مكبث : (جانبيـا) مهما حدث
فان اعسر الايام يخرقها الزمن والساعة .

بانكوو : ايها الكريم مكبث ، نحن في انتظار لطفكم .

مكبث : امنحوني عفوكم ! دماغي المتبلد قد أثير ١٥٠
بأمور منسية . ايها الفاضلان ، اتعابكما
سُجِّلت حيث سأقلب الصفحات كل يوم
لاقرأها — هيا بنا الى الملك —
(لبانكوو) فكر بالذى صادفنا . وحين يتسع الوقت ،
وقد وَزَنَتْهُ الفترة اللاحقة ، دعنا نَبُح
كل بمـا في قلبه للاخر ، بحرية .

بانكوو : مع عظيم سروري .

مكبث : وحتى ذلك الحين ، كفى — ايها الصحب ، هيا .

المشهد الرابع (١٩)

فورس . غـرفة في القصر

نفير . يدخل دنكن ، مالكولم ، دونالبين ، لينوكس ومرافقون

(١٩) « يوحي هذا المشهد بالنظام الطبيعي الذي سينتهك عما قريب . إنه يؤكد على العلاقات السوية ، والروابط النبيلة والنظام السياسي المستقر » (نايتس) .

دنكن : هل نُفّذ الاعدام بكودر ؟ ام ان
المكلفين بالامر لم يعودوا بعد ؟

مالكولم : مـولاى ،
لم يعودوا بعد . الاانني تحدثت
مع رجل رآه يموت ، فاخبرني
انه اعترف بخياناته بصراحة كبرى ،
والتمس العفو من جلالتكم ، وأبدى
عميق الندم . لم يَلِقْ به شيءٌ
في حياته مثل مغادرته لها : لقد مات
كمـن لَقّنَ نفسـه الموت ،
ليقذف عنه بأعـز ما يملك ١٠
وكأنه تافـه بخس .

دنكن : ليس ثمـة فـنٌ به
نكتشف بنية العقل في ملامح الوجه : (٢٠)
لقد كان سـيدا أقمت عليه
ثقـة مطلقـة —
يدخل مكبث ، بانكوو ، روص ، وآنغس
الا أهـلا ، يا ابنَ عمي الكريم !
كانت خطيئةُ عقوقي حتى الآن
ثقيلةً علي . لقد سبقتنا بمـدى بعيد
فغدا اسرعُ الثواب جناحاً أبطـأَ
من ان يلحق بك : ليتك كنت اقل استحقاقا

(٢٠) تشتد المفارقة الساخرة في هذا القول بدخول مكبث في الحـال .

فيتعادلَ عندي الشكرُ والجـــزاء !

ولم يبق لي إلاّ أن اقول ٢٠

إنك اكثرُ أهلاً لأكثرَ مما يستطيع الكلُّ جزاءك .

مكبث : ما انا مدين به من خدمة وولاء

اذ اؤديهما ، هو الجزاء . دَوْرُ جلالتكم

هو تَلَقِّي واجباتِنا : وواجباتُنا

هي ازاء عرشكم ودولتكم ، اولادِكم وخَدَمِكم

وهي تؤدى كما ينبغي لها ان تؤدى ، بفعل كل شيء

يضمن سلامةَ حبنا وإكرامنا لكم .

دنكن : مرحبا بك هنا .

بدأت أزرعُك ، وسأجهد

في جعلك مليئا بالنمو . ــ بانكوو النبيل ،

ليس استحقاقك بأقل ، ولن يكون

اقل ذيوعا ، دعني اعانقك ٣٠

وأضمك الى قلبي .

بانكوو : اذا نموْتُ هناك ،

فالحصاد حصادك .

دنكن : افراحي الكثيرة

تطيش بوفرتها ، فتحاول ان تتخفى

في قطرات من الحزن . ــ ايها الابناء ، والاقرباء

والامراء ،

وأنتم أقرب الناسِ منازلَ إليّ ، اعلموا

أننا اولينا وراثتنا

ابنا البكر مالكولم ، الذى نلقبه منذ هذه الساعة

أمير كمبرلاند (٢١) . وهذا التكريم
لن نجعله له وحده ، يتيما ،
بل سنجعل شارات النبل تتألق كالنجوم ٤٠
على كل ذي جدارة . — من هنا سنذهب الى انفرنيس
ولتتوثق الروابط بيننا !

مكبث : اما البقية فجهد ، لاعليكم به .
ساكون انا الرسول ، فأفرّح
سَمْعَ زوجتي بمقدمكم .
ولذا ، فاني بخضوع استأذنكم .

دنكن : مأأنبلك ياكودر !

مكبث : (جانبيا) (٢٢) امير كمبرلاند ! — تلك عتبة
عليّ ان اكبو عليها ، او أطفرَ فوقها ،
لانها في طريقي. ايتها النجوم، اخفي نيرانك! ٥٠
لاتدعي النور يرى رغائبي السوداء العميقة .
فَلْتَغْضُضّ العينُ عن اليد ، ولكن فليقعْ
ماتخشى العينُ أن تراه حين يقع !
(يخرج)

دنكن : صدقت ، يابانكوو : انه جد شجاع —
بمدائحه أقيمت نفسى .

---

(٢١) حامل هذا اللقب يكـــون ولياً للعرش .

(٢٢) يعتقد البعض أن إفصاح مكبث عن نواياه في عبارة جانبية في مكان محرج ، كما هنا ، يدل على أن يداً غير يد شكسبير عبثت بالنص ، لأن شاعرنا أبـــرع من أن يأتي مثل هذه السذاجة . غير أن الشعر هنا شكسبيري بصوره ، و التضاد بين العين واليـــد يرد في عدة مواضع من المسرحية .

إنها وليمة لى . لنذهب في إثره ،
وقد سبقنا بهمة ليهيء استقبالنا :
انه ابن عم مامثلُهُ ابن عم .

(نفير . يخرجون)

المشهد الخامس

انفرنيس — غرفة في قلعة مكبث تدخل الليدى مكبث وهى تقرأ رسالة

الليدى مكبث : « لقيننى يوم النجاح ، وقدعلمت وفق أتم الاستفسار أن لديهن مايربو على معرفة البشر . وعندما تحرقت لسؤالهن المزيد ، حوّلن انفسهن الى هواء تلاشين فيه . وفيما انا واقف مشدوها بتعجبي ، جاء رسل من الملك حيوني بـ « ياأمير كودر » ، وهو اللقب الذى حيتنى به قبل ذلك اخوات القدر واحلننى على الزمن الاتي بـ « سلاما ، يامن ستكون ملكا ! » ١٠ هذا ماأستنسبت اعلامك به (ياأعز رفيقة لى في العظمة) لئلا يضيع نصيبك من الفرح إن أنتِ بقيتِ تجهلين العظمة التى انت موعودة بها . ضميه الى قلبك ، ووداعا . »

امير غلامس أنت ، وكودر ، ولسوف تكون
ماوُعدْتَ به . — ولكننى اخشى طبعك :
انه أملأ مما ينبغى بحليب الانسانية ،
فلا يتشبث بأدني الطرق . أنت تريد العظمة ،
ولست خاليا من الطموح ، ولكنك خال

من الشر الذى لابد ان يصحبه . ماتريده شامخا ،
تريده قُدسيا ، لاتريد ان تغش في اللعب
ولكن تريد ان تكسب عن غير حق .
تريد ياغلامس العظيم ذاك الذى ٢٠
يصرخ بك أن « افعل كذا » إن اردته ،
ذاك الذى انت تخشى ان تفعله
لاالذى تتمنى لو انه لايفعل (٢٣) . اسرع إلى ،
فأصبّ حيويتى في اذنك ،
واطردَ بجرأة لساني
كل مايعوقك عن المستدير الذهبى (٢٤)
الذى يبدو أن القدَرَ والعوْن الخارق
كليهما قد توّجاك به .

يدخل رســـول

ماأخبارك ؟ ٣٠

رسول : الملك قادم هنا الليلة .

ليدى مكبث : جُننتَ فقلتَ ذلك .
اليس سيدك معه ؟ لو ان الامر كذلك
لاخبرني للتهيؤ .

رسول : عفوك ، ماقلت صحيح . اميرنا قادم ،
وقد سبقه احد زملائي

---

(٢٣) هذه الأبيات الأربعة المشهورة بما فيها من تعقيد في تركيبها ، في الأصـــل ، ولو أن معناها واضح .

(٢٤) أي التـــاج .

حتّى كاد يموت من انقطاع النفّس ، ولم يبق له منه
الا مايصوغ به رسالته .

ليدي‌مكبث : اسعفوه :

لقد جاء بتبأ عظيم . (يخرج الرسول)
أبحّ هو الغراب نفسه الذى
ينعمق عن دخول دنْكن المميتِ
تحت شرفات‌قلعتى .على بلك ايتها الارواح (٢٥) ٤٠
التى ترعى خطط القتل والدمار ، وانزعى جنسى
عنى هنا ،
واملأ ينى بأعتى القسوة من رأسى حتّى القدم ،
فأطفح بها ! أغلظى دمى ،
سدى المسرب والممر على كل رحمة ،
فلا يزورني من الطبيعة وازع من شفقة
يزحزح مأربي الرهيب ، او يقيم سلما بينه
وبين تحقيقه ! تعالى الى ثديي المرأة منى ،
وأبدلى حليبهما بعلقم ، ياوصيفات القتل ،
حيثما أنت بكياناتك التى لاترى ،
ترعين كل انتهاك للطبيعة ! تعال ايها الليل الكثيف ، ٥٠
وتسربل بأحلك مافي جهنم من دخان
لكي لاترَى مديتى الماضيةُ الجرْحَ من طعنتها ،
ولاتنفذَ السماءُ بعينها غطاءَ الظلام ،

---

(٢٥) يقول أحد الكتاب ممن ربما أطلع عليهم شكسبير ، أن هناك طبقة ثانيـــة من الشياطين تدعى بأرواح الانتقام ، وصانعة المذابح ، وهي التي « تلهب خواطر البشر للاغتصاب والنهب و القتل وشتى ضروب القسوة » .

فتصرخ : « كفى ، كفى ! »

(يدخل مكبث)

غلامس العظيم ، كودر الكريم !
واعظم من كليهما بما ستُحيّا به عن قريب !
رسائلك حملتني نشوةً إلى ماوراء
هذا الحاضر الذى لايَعلم ، فجعلتُ الآن أحسّ
بالمستقبل في اللحظة الراهنة .

مكبث : حبيبتى العزيزة ،
دنكن قادم هنا الليلة

ليدى مكبث : ومتى يذهب من هنا ؟

مكبث : غدا ، حسبما يقصد . ٦٠

ليدى مكبث : لا ، لن ترى شمسٌ ذلك الغد !
وجهُك ياأميرى ، كتاب ، للناس
ان يقرأوا فيه امورا غريبة . . . لكيما تخادع الزمان
اجعل محُيّاك في شَبه الزمان . احمل الترحيبَ في
عينك ،
في يدك ، في لسانك : إشبه الزهرةَ البريئة ،
ولكن كنْ الافعى التى تحتَها . صاحبنا القادم
يجب ان يُهيّأ له ، وعليك ان تضع
أمرَ هذه الليلةِ العظيمَ في إمرتي ،
وهو الذى طوال ليالينا وايامنا الآتية
سيجعل لنا مطلقَ الحكم والسؤددِ والسيادة. ٧٠

مكبث : سنقول المزيد .

ليدى مكبث : عليك فقط بصفاء المحيا .
فما يتغير الوجه ابدا الا فزعا .
ودع لى كلّ ماتبقّى .

المشهد السادس

إنقرنيس .. أمام القلعة

عازفو مزامير وحاملو مشاعل (٢٦) يدخل دنكن ، مالكولم ، دونالبين ، بانكوو ، لينوكس مكدف ، روص ، آنغس ، ومرافقون

دنكن : هذه القلعة بقعتها طيبة . فالهواء
بخفته وحلاوته يحبب نفسه
الى رهيفِ حواسّنا .

بانكوو : ضيفُ الصيف هذا ،
السنونو الذى يلازم المعابد ، يدللّ
بما يهواه من مأوى على أن أنسام السماء
غزليةُ الشميم هنا : فما نتوء ، او افريز ،
اودعامة ، او حجر زاوية ، الا ويجعل منه
هذا الطيرُ فراشهُ المعلّق ، ومهده الولود :
لقد لاحظت حيثما تكثر هذه الطيورُ تردُدَها
وتناسُلَها ،
يكون النسيم عليلا .

تدخل ليدى مكبث

دنكن : انظروا ، انظروا ! مضيّفتنا الكريمة . — ١٠

(٢٦) الشمس لم تغب بعد ، غير أن المشاعل حال غياب الشمس ستصبح ضرورية داخل القلعة ، ولو أن ضوء النهار ما زال باقياً في الخارج .

ان الحب الذى يتبعنا هو احيانا تعب لنا ،
ومع ذلك فانّا نحمده لانه الحب . وبذا أعلّمكِ
فكيف ترجين الله أن يجازينا على اتعابك
ويحمدَنا على همّك .

ليدى مكبث : كل خدمة منا
ولوادّيناها في كل جزء منها مرتين ، ثم مرتين
أخريين ،
تبقى أمرا بسيطا باهتا لقاء
تلك المكرمات العميقة العريضة التى
تسخون جلالتكم بها على بيتنا . فللمكرمات القديمة ،
وللمنح النبيلة التى اضفتموها اخيرا اليها ،
نبقى نُسّاكاً لكم . (٢٧)

دنكن : أين اميرُكودر ؟ ٢٠
رحنا نركض على عقبيه ، وفي النية
ان نكون نحن رسوله . لكنه فارس جيد ،
وحبه العظيم ، حادا كمهمازه ، حفّزه
لبلوغ داره قبلنا . ياربة البيت الحسناءَ النبيلة ،
نحن ضيفك الليلة .

ليدى مكبث : ان خدمكم أبدا ،
هم ، وأولادهم ، واموالهم ، عدّا وتعدادا ،
يتقدمون لكم للحساب وفق مشيئة جلالتكم ،
ليعيدوا إليكم ماهو ملكُ يديكم .

---

(٢٧) أي في صلاة دائمة لله من أجلكـــم .

دنكن : أعطيني يدك ،
وخذيني الى رب البيت مضيفي : عميقٌ حبنا له ،
ولسوف نستمر بأنعُمنا عليه .
ربةَ البيت ، اسمحي لي ! ٣٠

المشهد السابع

إنفرنيس . غرفة في القلعة

مزامير ومشاعل . يدخل رئيس الخدم وعدة خدم
يحملون اواني الطعام
ويعبرون خشبة المسرح .
ثم يدخل مكبث .

مكبث : لو انها تنتهي ، عندما تُفعل ، لكان المستحسن
أن تُفعل بسرعة : لو ان الاغتيال
بوسعه ان يعتقل النتيجة
ويقبضَ بلفظهِ الأنفاس النجاح ، لو ان هذه الضربة
هي الكل في الكَل ونهاية الكل — هنا ،
هنا وحسب ، على الساحل هذا ، على الضفة هذه
من الزمن ،
لجازفنا بالحياة الآخرة — ولكننا في هذه الحالات دوما
نتلقىّ الحكم هنا . فنحن انما نُصدر
إيعازاتٍ دمويةً ، واذا ما استوعبت عادت
لتعذيبٍ مبتدعها : فهذه العدالةُ المتوازنةُ اليدين ١٠
تقدّم عناصرَ كأسِنا المسمومةِ
لشفاهنا نحن . . . انه هنا في حِمىً مزدوج :

اولا ، لكوني قريبـــه وتابعَه ،
وكلاهما مانعٌ قوي للفعلة ، ثم لكوني مضيّفَه ،
علي ان اســـد الباب في وجه قاتله ،
لا ان أُشهر السكين بنفسي . ثم ان دنكن هذا
كان وديعا في تنفيذ صلاحياته ،
بريء اليد في منصبه الكبير ، بحيثُ أن فضائله
ستُرافع كملائكة مُلْسَنَةٍ بالابواق
ضدّ القطاعة اللعينة في مصرعه ، ٢٠
والشفقةَ كطفلٍ وليــد عارٍ
يمتطي الزوبعة ، او كملائكة السماء ، خيلُها
رواكضُ الفضاء الخفيّة ،
ستنفخ الفعلةَ الشنيعةَ في كل عين .
حتى تُغرقَ الريحَ بالدموع — لا حافز لي
يهمــز جانبي مأربي ســوى
طموح شاهق القفــز ، يبـــالغ بقفزته
فيهوي على الجانب الآخــر . (٢٨)
تدخل ليدى مكبث

هــه ! ما وراءك ؟

ليدى مكبث : كاد يفرغ من عشائه . لمـــاذا تركت الحجرة ؟

مكبث : هل ســأل عني ؟

ليدى مكبث : الا تعلم انه ســأل ٣٠

مكبث : لن نستمر في هذا الموضوع :

---

(٢٨) يصور طموحه كفارس يبالغ في علو قفزته عندما يأتي حصانه فيسقط عـــلى الجانب الآخـــر منه .

لقد اكرمني مؤخرا ، ولقد ابتعْتُ
آراءً ذهبيةً من شتّى الاناس
علي الآن ان ارتديها وهي في اقشب لمعانها ،
لا ان ألقي بها عني بهذه العجلة .

ليدى مكبث : امخمورا كان ذاك الاملُ الذى
البسته نفسك ؟ وهل غرق في النوم بعد ذلك ؟
وهل استيقظ الان ، مخطوف اللون شاحبا
لما قد فعل بملء حريته ؟ من الآنَ فصاعدا
هكذا سأعتبر حبك . هل يخيفك
ان تكون في فعلك وشجاعتك
ما أنت في التمنّي ؟ اتشتهي ان تنال
ذاك الذى تعتبره زينة الحياة ، (٢٩)
وتحيا جبانا في اعتبار نفسك ، ٤٠
جاعلا « لا أجرأ » تتبع « ياليتني »
كالقطة المسكينة في المثل الشائع ؟(٣٠)

مكبث : ارجوك ، كفى .
اني أجرأ على أي فعل يليق بانسان .
ومن يجرأ اكثر مني ، فهو ليس بانسان .

ليدى مكبث : اى وحش اذن كان
ذاك الذى جعلك تُعلمني بهذه المغامرة ؟(٣١)

---

(٢٩) أي التاج .

(٣٠) يقول المثل : « تشتهي القطة السمكة ، ولكنها لا تجرأ على تبليل أرجلها » .

(٣١) هذا يوحي بأن شكسبير في الأرجح حذف مشهداً يعلم فيه مكبث زوجته بنيته المبيتة . ولعل التصاعد الدرامي السريع هو الذي جعله يحذفه .

عندما جرأتَ على ذلك ، كنت حقا انسان ، رجلا .
وأن تصبحَ اكثر ممــا كنت ، فلأنت حينئذ 50
الرجلُ واكثر . . . . لا الزمان ولا المكان
كانا حينئذ ملائمين ، ورغم ذلك اردتَ اصطناع
كليهما .

وها هما قد صنعا نفسيهما ، وملاءمتهما الآنبالذات
تحطمك . لقد كنتُ يوما مرضعا ، واني لأعرف
مبلغَ الحنوِّ في حب الطفل الذى أُرضع :
لكنت ، وهو يبتسم في وجهي ،
انتزعت حلَمتي من لثته الطرية ،
وهشّمتُ دماغَه ، لو انني اقسمت ان افعل ذلك
كما اقسمت انت ان تفعل هذا .

مكبث : واذا أخفقنا ؟

ليدى مكبث : نحن نخفق ؟ ! 60
فقط شُدَّ شجاعتك حتّى نقطة ثباتّها ،
ولن نخفق . عندما يغيب في النوم دنكن
(وسفرته المضنية طيلة النهار لابدّ تدعوه
الى نوم عميق) ، سأضعضع انا
مرافقَيْ حجرته بالخمر والعربدة
حتّى تغدو الذاكرةُ ، حارســةُ الدماغ ،
مجــرد بُخار ، ومتَلَقىَّ العقلِ

محض امبيق(٣٢) . وعندما تكون الطبيعة منهما
غريقةً في نومة كنومة خنزير ، اشبهَ بالموت ،
هل ثمــة ما لانستطيع فعله ، انا وأنت ،
في دنكن وهو بلا حراسة ؟ هل ثمة ما لانتهم بهٔ ٧٠
حارسيه المخمورين ، فنحمّلهما تَبِعَةَ
غيلتنا الــكبرى ؟

مكبث : لاتلدي الا الذكور من الاولاد !
لأن معدنك الجسور يجب الا يصنع
شيئا الا الرجال . . . ألن يصدّقَ الجميع
عندما نلطخّ بالدم مرافقَيْه المأخوذين بالنوم
في حجرته ، ونستعملُ خنجريهما ،
أنهما هما الفاعلان ؟

ليدى مكبث : ومن يجــرأ على تصديق اى شيء آخر
عندما نجأر بالحزن والفجيعة
على مــوته ؟

مكبث : لقد صمّمت ، ولسوف اشــدّ
كلّ عضو في الجسد لهذه الفعلة الرهيبة . ٨٠
هيا ، واخدعي الزمان بأجمل المظاهر :
على الوجه الكذوب ان يُخفي ما يعلمُ القلبُ الكذوب

---

(٣٢) كان المشرحون القدامى يقسمون الدماغ إلى ثلاث مناطق ، ويجعلون الذاكرة في المنطقة الخلفية منها ، أي في المخ . فهي كحارس للمخ تخطر العقــل بأي هجوم . فإذا ما تحولت بالسكر إلى بخار ، فإن العقل الذي يجب أن تتقطر فيه خلاصة العملية الفكرية ، يتحول إلى امبيق يمتلىء بفقاقيع وأبخرة لسوائل غير مقطرة . الصورة مأخوذة عن العمليات الكيميائية التي نقلها الأوروبيون عن العرب في اسبانيا ، بما فيها تسمية الوعاء بالأمبيق ، وهي الكلمة العربية التي يستعملها شكسبير هنــا .

الفصل الثاني

المشهد الاول

إنفرنيس . فناء داخل القلعة

يدخل بانكوو ، وفليانس ، وبيده مشعل

بانكوو : ماهزيع الليل يابنى ؟

فليانس : لقد غاب القمر . . . لم اسمع الساعة .

بانكوو : وهو يغيب في الثانية عشرة .

فليانس : أتصور أن الساعة بعد ذلك ، سيدى .

بانكوو : هاك ، خذ سيفى . — السماء تتباخل .
فشموعها كلها مطفأة . — وخذ هذا ايضا (١) .
بي نعاس ثقيل كالرصاص ،
ومع هذا لم أستطع النوم : ياقوى الرحمة !
اكبحى فيَّ الخواطرَ اللعينة التى تستسلم
لها الطبيعةُ ساعةَ الهجوع . — اعطنى سيفى .
يدخل مكبث ، وخادم يحمل مشعلا .
من هناك ؟ ١٠

مكبث : صديق .

بانكوو : مولاى ! ألم ترتح بعد ؟ الملك أوى لفراشه .
كان سروره غير عادى ،

---

(١) على الأرجح ، حزامه والخنجر المحمول به .

فأرسل منحا سخية لخَدَمك .
وهذه الماسة يحييّ عقيلتك بها ،
داعيا اياها اكرم مضيّفة ، ثم انتهى
وهو في رضا لاحد له .

مكبث : لم نكن مهيأين ،
فجاءت ارادتنا عبدة للقصور
والا لكانت طليقة في سعيها .

بانكوو : كل شيء على مايرام .
حلمت ليلة البارحة بأخوات القَدَر الثلاث : ٢٠
اما لك فقد اظهرن بعض الصـــدق .

مكبث : انا لا أفكر بهن :
ومع ذلك ، عندما نلتمس ساعة معا ،
علينا بقضائها في الحديث حول ذلك الموضوع ،
إن سمحت لى بوقتك .

بانكوو : في اى وقت تشاء .

مكبث : ان انت التزمت بالاتفاق معى ، في حينه ،
اصابك شرف كبير .

بانكوو : مادمتُ لا أفقد شرفا
بمحاولتى الاستزادة منه ، بل أبقى الصدر منىّ
حرا أبدا وولائي ناصعا (٢) ،
فاني مستعد للمشورة .

---

(٢) يتعمد مكبث أن يجعل وعده لبانكوو مبهماً ، ويفهم منه بانكوو أنه يتحدث عن حالة موت دنكن موتاً طبيعياً ، فلا يقترف بانكوو ، بطلب المزيد مـــن الشرف ، فعلا يشين ولاءه .

مكبث : تصبح على خير ! ٣٠

بانكوو : شكرا سيدى . وانت كذلك .

(يخرج بانكوو وفليانس)

مكبث : (للخادم) اذهب واطلب من سيدتك ، عندما تهيىء شرابي ،
ان تقرع الجرس . واذهب الى فراشك .

(يخرج الخادم)

اخنجر هذا الذى أرى امامى
ومقبضه باتجاه يدى ؟ تعال ، دعني امسكك :
لم أنلْكَ ، ولكن مازلت اراك .
يارؤيةً قاتلة ، الستَ تستجيب
للحسّ ، كما للبصر ؟ ام انت محضُ خنجرٍ
من الذهن ، محضُ اختلاقٍ زائفٍ
صادر عن دماغ بالحمى مضطهدٍ ؟
مازلت اراك ، ملموسا شكلا ٤٠
كهذا الذى أستلّه الآن .
انك تقتادني في الطريق التى كنت ذاهبا فيها ،
وسلاحا مثلك كنت سأستخدم . —
أمست عيناى اضحوكة حواسى الاخرى ، (٣)
وهما لولا ذاك في قدرها جميعا : مازلت اراك ،
وعلى شفرتك ، ومقبضك ، قطرات دم ،
لم تكن من قبل . — ليس ثمة شىء كذا .

٣) هذا التناقض بين الحواس يرد ذكره عدة مرات في أثناء المسرحية .

انما الفعلة الدموية هي التي تتخذ شكلا
كهذا امام عينيّ . — في هذه الساعة تبدو الطبيعة ،
في نصف العالم ، ميّتة ، والاحلام الشريرة تخادع
النوم المُسَجّف : السحرة يحتفلون ٥٠
بطقوس « هكاتة » (٤) الكالحة و« الموت » الضامر
ايقظه حارسه الذئب الذي
ساعتُهُ هي عُواؤه ، فراح بخطىً متلصصة .
كخطى « طاركوين » الغاضبة ، يسرى نحو غايته(٥)
كالشبح . — ايتها الارض الصلبة الثابتة .
لا تسمعى خطاى ، وفي اى اتجاه تسير ، لئلا
تُفصح الحجارة نفسها عن مكاني ،
فتنال من هول الساعة ،
والهول يلائمها . — فيما انا اتوعد ، فانه يحيا : ٦٠
لاتهَبُ الالفاظُ حرارةَ الافعالِ إلا أبردَ النَفَس.

(جرس يقرع)

اني ذاهب ، واني لفاعلها : الجرس يدعوني .
لا تسمعْه يادنكن ، فهو ناقوسٌ

---

(٤) « هكاتة » هي ربة السحر والسحرة في العصور الكلاسيكية والوسطة . وكان المعتقد أن السحرة في طقوسهم يبتهلون إليها .

(٥) طاركوين ، أحد طغاة التاريخ الروماني القديم ، عاش في القرن السادس ق.م. تسلل ليلا إلى غرفة زوجة إبن عمه لوكريسيا وإغتصبها ، في غياب زوجها . فاستنجدت بزوجها وأبيها ، وعندما أتيا إليها أخبرتهما بما حدث وطالبتهما بالانتقام لها ، ثم إنتحرت . وقد أدا ذلك إلى حرب أهلية بين المدن الرومانية . و « إغتصاب لوكريسيا » من المواضيع التي اهتم بها الكثيرون من فناني وكتاب النهضة ، ولشكسبير قصيدة طويلة تحمل هذا العنوان .

يستدعيك الى السماء ، او جهنم !

(يخـرج)

المشهد الثانى

كما في المشهد السابق

تدخل ليدى مكبث

ليدى مكبث : ذاك الذى اسكرهما ، جرّأني :
والذى اطفأهما أجّج النار فيّ . — سمعاً ! — صمت !
البومة هى التى نعبت ، قارعة الناقوس للمحكومين بالمــوت ،
قارئة ارهب السلام (٦) . . . انه مشغول بها .
الابواب مُشَرَّعة ، والخادمان المتخمان
يهزآن من مسؤوليتهما بالشخير : في شرابهمـــا دسست مخدرا ،
حتى ليتنازعَ الموتُ والطبيعة حولهما .
أفي عداد الاحياء هما ام الاموات .

مكبث : (من الداخل) من هناك ؟ — من هناك ؟

ليدى مكبث : وا أسفاه ! أخشى انهما استيقظا ،
والفعلة ما انتهت . . . المحاولة ، لا الفعل ،
هي التي تُحبِطُنا — سمعا ! — هيأت خنجريهما ، ١٠
لابد ان يراهما — لو لم يكن في شَبَهِ أبي

---

(٦) في الليلة السابقة لتنفيذ الإعدام ، كان يرسل إلى المحكوم قارع ناقوس « يقرئه السلام » — أرهب سلام يسمعه إنسان .

وهو نائم ، لفعلتها أنا . — زوجي !
(يدخل مكبث)

مكبث : لقد فعلتها ! — هل سمعت صوتا ؟

ليدى مكبث : سمعت البومة تعيط ، والزيزان تصيح .(٧) ؟
الم تتكلم ؟

مكبث : متى ؟

ليدى مكبث : الآن .

مكبث : وأنا نازل ؟

ليدى مكبث : نعم .

مكبث : أصغي !
من يرقـــد في الحجرة الثانية ؟ ٢٠

ليدى مكبث : دونالبين .

مكبث : (ناظرا يديه) — هذا منظر بائس .

ليدى مكبث : سخيف منك ان تقول « منظر بائس » .

مكبث : احدهم ضحك في نومه ، وآخر صاح : اغتيال !
فأيقظ الواحد الاخر ، وقفت وسمعتهم .
غير انهم تلوا صلواتهم ، ثم تهيأوا
ثانية للنـــوم .

ليدى مكبث : هناك اثنان معا في الحجرة .(٨)

---

(٧) كان يعتقد أن صوت الزيزان في الليل ينذر بالموت .

(٨) تقصد مالكولم ودونالبين ، إبني الملك ، وليس الحارسين . والغريب أن ليدي مكبث لم تذكر من إبني الملك إلا الولد الأصغر .

مكبث : احدهما هتف : « رحمتك يارب ! » فأجاب
الاخر « آمين » .
كأنهما رأياني بيديَّ الجلادِ هاتين .
واذ اصغيتُ الى خوفهما ، عجزت عن قول «آمين»
عندما قالا : « رحمتك يارب ! »

ليدى مكبث : لا تتعمق في التفكير بذلك .

مكبث : ولكن لمَ لمْ أستطع ان الفظ كلمة « آمين » ؟ ٣٠
لقد كنتُ في اعظم الحاجة للرحمة ، وعصت
« آمين » في حلقي .

ليدى مكبث : هذه الافعال يجب الا نفكر بها
على غرار كهذا : والا فانها ستُجَنّننا .

مكبث : خُيِّل الي أنني سمعت صوتا يصرخ « ألا حُرِّم النوم
عليك !
مكبث يغتال النوم ! » — النومَ البريء ،
النومَ الذى يرتق قماشة الهم الممزقة ، (٩)
موتَ حياة كل يوم ، حمّامَ الجهد الاليم ،
باسمَ الأذهان في اذاها ، الطبقَ الثاني تقدمه الطبيعة
العظمى ، (١٠)
المغذّيَ الأكبرَ في وليمة الحياة ، —

---

(٩) الترجمة الدقيقة لهذا البيت يجب أن تكون : « النوم الذي يحوك قماشة الهم المتسلة » ، ويقصد شكسبير بذلك : قماشة النفس إذا نسلها الهم ، اعاد النوم حياكتها .

(١٠) يبدو أن الحلو كان في القدم هو الطبق الأول في العشاء ، يتلوه طبق اللحم (« المغذي الأكبر ») كطابق ثـان .

ليدى مكبث : ماذا تعني ؟

مكبث : بقي يصرخ لكل من في الدار : « الا حُرِّم النـــوم عليك ! » ٤٠

« غلامس قد قتل النوم ، ولذا فان كودر لن ينام بعد اليوم ، مكبث محرّمٌ عليه النوم ! »

ليدى مكبث : من الذى صرخ هكذا ؟ لا ، ايها الامير الكريم ،
ان قوتك النبيلة لترتخي حين تفكر
بالامور بذهن مريض . اذهب ، وعليك ببعض الماء ،
واغسل هذا الشاهد القـــذر عن يديك . —
لمـــاذا جئت بهذين الخنجرين من مكانهما ؟
يجب ان يوضعا هناك . اذهب ، خذهما ، ولطخ
الحارسين النائمين بالـــدم .

مكبث : لن اذهب مرة اخرى .
اني اخاف التفكير فيما فعلت .
ولا أجـــرأ على النظر ثانية اليه . ٥٠

ليدى مكبث : يا مُزَعْزَعَ التصميم !
اعطني الخنجرين . النائمون ، والموتى ،
إنْ هم الا صور مرسومة . وعينُ الطفولة وحدها
تخاف شيطانا مرسوما . . . اذا وجدته يدمى ،
ذَهَبْتُ وجهي الحارسين بدمه ،
لان الجُرْمَ يجب ان يبدو جرمهما .
(تخرج . قرع على البوابة في الداخل)

مكبث : اين ذاك القرع على الباب ؟ —

ماذا دهاني ، حتى صار كل صوت يرعبني ؟
أي يدين هنا ؟ هه ! انهما تقلعان عينيّ .(١١)
او هل تغسلُ بحارُ « نبتون »(١٢) العظيمةُ كلُّها
هذا الـــدمَ ...
عن يدي فتنظف ؟ لا ، بل إن يدي هذه
لسوف تضرّجُ البحارَ العارمة ، ٦٠
وتجعلُ الاخضرَ أحمرَ قانيـــا .
تدخل ثانية ليدى مكبث

ليدى مكبث : يداي بلونك ، غير انني أخجل
من احمل قلبا كالحا مثلك . (قرع على الباب)
اسمع قرعا على المدخل الجنوبي . فلننسحب الى حجرتنا
قليل من المـــاء يزيل عنا تبعة هذا العمل :
ما أهونه اذن ! ثبـــاتُك
قد هجرك . — (قرع) اسمع ! مزيد من القرع .
البس منامتك ، لئلا نُدعى اضطرارا ،
فينكشفَ أننـــا مستيقظان . لا تته
بمثل هذه الزراية في افكارك ! ٧٠

مكبث : عندما اعرف ما فعلت ، اتمنى لو انني لا أعـــرف
نفسي .

---

(١١) لا ريب أن في هذه العبارة صدى للعبارة الإنجيلية (متى ، ١٨ ، ٩) ، التي يقول فيها السيد المسيح : « إن عينك سببت لك الاثم فاقلعها ، والقهـــا عنك ، فخير لك أن تدخل الحياة وأنت أعور من أن يكون بك عينان وتلقى في نار جهنم » . لاحظ أن الإشارة إلى جهنم سترد بعد قليل في مشهد البواب .

(١٢) نبتون إلـــه البحـــار .

(قــرع)

ايقظ بقرعك البابَ دنكن ! ليتك تستطيع !

المشهد الثالث

المشــهد نفســه(١٣)

يدخــل بــواب

(قــرع من الداخل)

البواب : هذا دقٌ ، اى والله ! لوكان المرء بواب جهنم ، لكان عليه ان يكثر من ادارة المفتاح . (قرع) دق ، دق ، دق . منَ هناك ، باسم بعلزبوب ! — هنا مزارع شنق نفسه عندما توقع غلة وفيرة : (١٤) ادخل ، ياانتهازى الزمن ، واكثر من المناديل معك لانك هنا ستعرق لها . (قرع) دق ، دق . . . من هناك ، باسم الشيطان الآخــر ؟ — هنــا والله

(١٣) « مشهد البواب » هذا ، كما يسمى هذا المشهد في النقد الشكسبيري ، موضوع لكتابات وتأويلات كثيرة . منهم من قال إنه ضروري لأنـه يعطي مكبث وزوجته مجالا لغسل أيديهما وإرتداء ثياب النوم . ومنهم من قال مـع كولردج أنه مشهد كتبه قلم غير قلم شكسبير ولكن بموافقته . ومنهـم من يرى أنه شكسبيري جداً بمعانيه الضمنية وكناياته وأنه قد يكون هنا للترويح الكوميدي المألوف في لحظات المأساة العنيفة ، غير أنه أيضاً يصور القلعة وكأنها جحيم بما فيها من شياطين ، ويصبح البواب « بـواب جهنم » كما يرد في المسرحيات القروسطية الدينية .

(١٤) لأن الأسعار حينئذ ستنخفض كثيراً .

ذولسانين(١٥) يستطيع ان يقسم في كلتا الكفتين ضد
كلتاالكفتين،وقد اقترفمايكفى من خيانة من اجل
الله ، ولكنه لم يستطع التكلم باللسانين لرب السماء :
ادخل ، ياذا اللسانين ! (قرع .) دق ، دق ، دق
من هناك ؟ هنا والله خياط انكليزى ، جاء هنا لانه
سرق سروالا فرنسيا (١٦).ادخل ياخياط،هنا ١٠
لك ان تسخّن مكواك وتشوى عرُاك .

(قرع .) دق ، دق . . . لاهدوء ابدا ! من انت ؟

---

(١٥) في عام ١٦٠٦ أقيمت قضية مشهورة على الأب اليسوعي غارنيت ، الذي اتهم بأنه كان ضالعاً في « مؤامرة البارود » التي استهدفت نسف البرلمان الإنكليز وقد قيل عنه ، لبراعته الكلامية ، أنه يتكلم بلسانين ، أي يقول أقوالا تحمل معنيين متناقضين لخدمة غرضه . وبعد أن أعدم الأب اليسوعي بتهمة الخيانة العظمى ، جرى كلام كثير ولمدة طويلة حول هذا النوع من المراوغة اللفظية equivocation وأدخل العديد من الكتاب إشارات إليها فيما يكتبون . وهنا واحدة منها . وقد أعترف غارنيت بأن هذا النوع من الكلام بالنقيضين مبرر إذا كان هدفه نبيلا ، وهو مقاومة الكنيسة الكاثوليكية إضطهاد الدولة ، قائلا إذا كان القانون جائراً فإن خرقه لا يعتبر خيانة . من المهم أن نلاحظ هنا التوازي بين غارنيت ، ومكبث ، إذ أن مكبث أيضاً جعل يتكلم بلسانين .

(١٦) الخياط في الكتابات الإنكليزية القديمة موضوع تندر كثير . وهو يتهم عادة بسرقة القماش . والسروال الفرنسي ، الذي كان أهل « الموضة » من الخياطين يقلدون به فرنسا ، كان موضوعاً آخر للتندر عن الاليزابيثيين . وهو عادة فضفاض . يبدو أن المعنى هنا هو أن « الموضة » الفرنسية تغيرت فجأة ، وغدا السروال ذا طرز ضيق ، فسرق الخياط ما زاد لديه من قماش ، غير أنه ضبط الآن « بالجرم المشهود » . والمنطوي من هذا كله هو أن المزارع ، وذا اللسانين ، والخياط ، مآلهم إلى جهنم لا لخطاياهم وحسب ، بل لمغالاتهم في الثقة حينما يذنبون .

ولكن هذا المكان ابرد من ان يكون جهنم (١٧) . .
حسنى بوابا شيطانا : لقد خطر لى ان أدخل اناسا
من كل حرفة ، يطرقون درب الزهور المؤدى الى
المحرقة الابدية . (قرع .) حالا ، حالا . . . رجاء
تذكروا البواب .

(يفتح الباب) ٢٠

يدخل مكدف ولينوكس

مكدف : هل تأخرت جدا ياصاح في الذهاب الى الفراش ،
فتأخرت هكذا في القيام ؟

البواب : والله ياسيدى بقينا في لهو حتى صياح الديك الثاني
والشراب ياسيدى يثير اشياء ثلاثة .

مكدف : وماالاشياء الثلاثة التى يثيرها الشراب خاصة ؟

البواب : انها والله ياسيدى : احمرار الانف ، والنعاس ،
والبول ، اما الفحش ، ياسيدى فالشراب يثيره
ويخمده : فهو يثير الشهوة ، ولكنه يقضى على
الاداء . ولذا . فان الشراب الكثير يمكن ان يقال
انه يخاطب الفحش بلسانين : يُسَوِّيه ويفسده ،
يهيجه ، ويكبحه ؟ يغريه ، ويحُبطه ، ينهضه ، ولا
ولاينهضه : وختاما ، يخادعه فينوّمه ، واذ يبطحه ، ٣٠
يتركه .

---

(١٧) هل كان يعلم شكسبير أن دانتي ، في « الكوميديا الالهية » وضع الذين يخونون بلدهم وضيوفهم وأقرباءهم وأصدقاءهم ، في الحلقة التاسعة من الجحيم ، وهي الحلقة المتجمدة ! وكل هذه الخيانات تنطبق على مكبث .

مكدف : يخيل الى ان الشراب بطحك هذه الليلة .

البواب : اى والله ياسيدى ، من حنجرتي . غير انني كافأته
على بطحته . ولما كنت ، كما اعتقد ، اقوى منه ،
ولو انه رفع ساقَىّ احيانا ، فقد تزحزحت وقذفت

مكدف : هل سيدك ناهض ؟ ٤٠

يدخل مكبث

قرعنا قد أيقظه . هاهو قادم .

لينوكس : صباح الخير ، سيدى النبيل !

مكبث : صباح الخير لكليكما !

مكدف : ايها الامير الكريم ، هل الملك ناهض ؟

مكبث : لا ، بعد .

مكدف : لقد امرني ان اراجعه مبكرا :
وقد كادت الساعة تفوتنى .

مكبث : سآخذك اليه .

مكدف : انا أدرى ان في هذا ازعاجا مفرحا لك ،
ولكنه ازعاج ، رغم ذاك .

مكبث : الجهد الذى يسرّنا يداوى الوجع .
هذا هو الباب .

مكدف : سأتجرأ وادخل عليه ،
لانه واجبي المحدد . ٥٠

(يخرج مكدف)

لينوكس : أيرحل الملك اليوم ؟

مكبث : اجل . ــ لقد عين ذاك .

لينوكس : كانت الليلة هائجة : ففي المكان حيث مكثنا ،
قوضَت الريحُ المداخن . ويقولون
إن الناس سمعوا نواحا في الهواء، وزعقات موت غريبة
وراح طير الظلام ينعب طوال الليل ، (١٨)
متنبّئاً بفوضى رهيبة ، وأحداث مضطربة ،
يلدها الزمن الفاجع مجدّدا . والبعض يقول
إن الارض حُمّت ، وزُلزِلت .

مكبث : كانت ليلة فظّة . ٦٠

لينوكس : ذاكرتي الشابة لاتعى ليلة مثلها .

يدخل مكدف ثانية

مكدف : يالك من هول ! يالك من هول !
لاالقلب له ان يتصورك ولااللسان ان يسميك !

مكبث ولينوكس : مالامر ؟

مكدف : لقد صنعت الفوضى الآن رائعتها !
لقد انتهك القتل الحرام عنوة
هيكلَ الممسوح بزيت الرب(١٩) ، وسرق منه
حياة البنيان !

---

(١٨) طير الظلام هو البوم . شكسبير يوحي هنا بإنطلاق قوي الزوبعة والدمار ، كقوى شيطانية شريرة ، لتطغى على قلعة مكبث ، والعالم المحيط بهـا .

(١٩) الإشارة إلى أن الملك هو مشح بزيت الله ، تعود إلى العبارة الواردة في سفر صموئيل الأول ، ١٤ ، ١٠ : « الممسوح بزيت الرب » ، والإشارة إلى الهيكل وحياته ، تعود إلى رسالة القديس بولس الثانية إلى أهل كورنثس ، ٦ ، ١٦ : « إنكم هيكل الله الحي » . شكسبير يضغط الفكرتين معـاً ، ليصور الهول في مقتل امرىء هو ملك وإنسان معاً .

مكبث : ماهذا الذى تقول ؟ حياة ماذا ؟

لينوكس : اتقصد صاحب الجلالة ؟

مكدف : اقتربوا من الحجرة ، وحطموا ابصاركم ٧٠
بمرأى مدوسا جديدة (٢٠) . — لاتطلبا الى الكلام
انظروا ، ثم تكلما انتما . —

(يخرج مكبث ولينوكس)

افيقوا ! افيقوا !
اقرعوا جرس النذير . — جريمة وخيانة !
بانكوو ، ودونالبين ! مالكولم ! افيقوا !
انفضوا عنكم ناعم النوم هذا ، مزيف الموت ،
وحدقوا في الموت نفسه ! — انهضوا ، وانظروا
صورة يوم القيامة الكبرى ! — مالكولم ، بانكوو !
قوموا كما من قبوركم ، وسيروا كالاطياف ،
لتشاهدوا هذا الهول !

(جرس يقرع)

تدخل ليدى مكبث

ليدى مكبث : ماالذى جرى
حتى راح هذا الصوت المرعب يستنفر
نائمي البيت للتفاوض ؟ تكلم ، تكلم !

مكدف : سيدتي الرقيقة ،
ليس لك ان تسمعي ماأستطيع قوله . ٨٠

---

(٢٠) مدوساً في الأساطير الاغريقية إحدى أخوات رعب ثلاث ، شعورهن افاع ، ولهن أجنحة ومخالب ، وأنياب . ومن كان ينظر إلى مدوساً ، تحول في الحال إلى حجر .

سرده في اذن امرأة
لسوف يقتل حيث يقع .

يدخل بانكوو

يابانكوو ! بانكوو !
سيدنا مليكنا قد قتل !

ليدي مكبث : ياويلتاه !
ماذا ! أفي دارنا ؟

بانكوو : فظيع ، اينما كان .
عزيزى مكدف ، ارجوك ، ناقض نفسك ،
غيرّ كلامك .

مكبث ولينوكس يدخلان ثانية

مكبث : لو متّ قبل هذا الطارىء بساعة ،
لكنت قد عشت زمانا مباركا . فمنذ اللحظة ٩٠
هذه لم يبق ماهو جادّ في المصير البشرى .
كل شيء ألهْية : علوّ السمعة مضى ، والحسْن مات
ونفدت خمر الحياة ، ولم تبق الا الحثالة
يتباهى بها قبو الأرض هذا .

يدخل مالكولم ودونالبين

دونالبين : ماذا دهاكم ؟

مكبث : انت الذى دُهيت ، ولاتعلم .
ينبوع دمك ، مصدره ، رأسه ،
قد سُدّ ، منبعه الاصلى قد سُدّ .

مكدف : ابوك الملك قد قتل .

مالكولم : آه ! من قتلـــه ؟

لينوكس : اللذان يحرسان حجرته فعلاها ، فيما يبدو .
فالأيدي والوجهان منهما كانت كلها ملطخة بالدم . ١٠٠
وكذلك خنجراهما ، وقد وجدناهما غير ممسوحين
على وسادتيهما : راحا يحملقان ، وقد طار رشدهما ،
ولا يؤتمنان على حياة انسان .

مكبث : آه ، ومع ذلك فانني نادم على هوَجي ،
اذ قتلتهما .

مكدف : لم فعلت ذلك ؟

مكبث : ومن يقدر ان يكون حكيما ومنذهلا ، معتدلا وهائجا ،
مواليـــا وحياديا ، كلها في آن معا ؟ لا أحد .
اندفاع حبي العنيف
تخطّى العقل الذى اراد أن يوقفه. — هنا رقد دنكن ،
فضّي إهابه موشّى بذهبي دَمه . ١١٠
وطعناته الفاغرة اشبه بثغرة في الطبيعة
ينفذ منها الخراب والدمار : وهناك القاتلان .
وخنجراهما غارقان في لون مهنتهما ،
يكسوهما النجيع بلا حياء . من يستطيع الاحجام عندها ،
وله قلب يحب ، وفي قلبه ذاك
جـــرأة على اعلان حبه ؟

ليدى مكبث : اسعفوني من هنا !

مكدف : اعتنـــوا بالسيدة . (٢١)

---

(٢١) يغمى على الليدي مكبث – فعلا ، أو تظاهراً . ويجري الحوار الجانبي التالي بينما يسعفهـــا المرافقون والخدم .

مالكولم : (جانبيا لاخيه دونالبين) لمـــاذا نمسك اللسان ونحن
أحق الجميع بهذه القضية ؟

دونالبين : (جانبيا لمالكوام) ما الذى نقوله
هنا ، حيث مصيرنا ، مخفيـــاً في خرُم مخرز ، ١٢٠
قد ينطلق ويمسك بتلابيبنا ؟ لنرحل :
دموعنا لم تقطر بعد .

مالكولم : (جانبيا لدونالبين) ولا حزننا العميق
بدأ يتحرك .

بانكوو : اعتنوا بالسيدة . (تحمل ليدى مكبث الى الخارج)
وعندما نكون قد اخفينا ضعفنا العاري
الذى انمـــا يشتد بالتعرّض(٢٢) ، لنجتمعْ ،
ونحقق في هذه الفعلة الدامية الشنيعة
لنعرفَ المزيد . المخاوف والشكوك تهـــزّنا :
اني اقف في يد الله العظمى : ومن هناك
اصارع خطة مكتومة
ملؤها الحقـــد والخيانة .

مكدف : وهكذا انا . ١٣٠

الجميع : وهكذا نحن جميعا .

مكبث : دعونا نرتدي بسرعة ما يليق بالرجال ،
ونجتمع في القاعة معـــا .

---

(٢٢) من الصور الكثيرة المستمدة من الملابس في هذه المسرحية . ضعف المرء يشتد إذا بقي معرضاً ، كالجسد العاري . يقصد بالضعف الحزن الشديد الـــذي يجعلهم يـــذرفون الدمـــوع .

الجميع : موافقون .

(يخرج الجميع سوى مالكولم ودونالبين)

مالكولم : ماذا ستفعل ؟ لن نجتمع معهم .
ما أسهلها مَهَمَّةً على الخائن
ان يُبدي حزنا لايشعر به ! سأذهب الى انكلترا .

دونالبين : وانا الى ارلنده : تفريق مصيرينا
أدعى لسلامتنا كلينا . فحيثما نحن ،
ستكمن الخناجر في بسمات الرجال : وأقربهم دمـا
الينـا ،
اقربهم الى إدمائنـا .

مالكولم : هذا السهم القاتل الذى أُطلقَ ١٤٠
لم يقع بعد ، واسلمُ السبل لنـا
تجنبُّ الهدف . اذن الى الخيل !
دعنا من مجاملات الوداع ،
ولنغادر خلسة . اذا ما الرأفة انعدمت
كان في الخلسة ما يبررها حين تسارق نفسها .

(يخـرجان)

المشهد الرابع (٢٣)

خارج القلعـة

يدخل روص وشـيخ

الشـيخ : ستين سـنة وعشرا ، اذكر جيدا .

---

(٢٣) هذا المشهد يلعب دور الكورس . وبإشاراته إلى النذر الرهيبة يؤكد على أن في مقتل دنكن خروجاً على سنن الطبيعة ، ثم يتحدث عن نجاح مخططات مكبث ، ويوحي إلينـا بمروءة مكدف .

في هذا الردح من الزمن رأيت
ساعات مخيفات ، وغرائبَ مذهلات ، غير ان هذه
الليلــةً الليـــلاء
أتفهت كل ماعرفته فيما مضى .

روص : ايها الاب الكريم ،
انك ترى السموات ، وقد اضطربت بفعل الانسان ،
تهدد مسرحه المُدَمّى : اننا حسب الساعةفي النهار ،
غير ان الليل المظلم يختق مصباح السماء المضنَى :
اسلطان الليل هو ، ام عار النهار ،
ان يقبر الظلامُ وجهَ الأرض
حين ينبغي للنور ان يُقَبِّلَه ؟

الشـــيخ : شـــذوذ عن الطبيعة ١٠
كالفعلة التي فُعلت . يوم الثلاثاء المـــاضي
اذ راح صقر يحلق الى شامخ عليائه ،
انقض عليه بومٌ بحجم الفأر ، وقتله .

روص : وخيول دنكن (أمـــر عجيب ومؤكد)
وهي الجميلة السريعة ، حبيبة نسلها ،
استحالت بطبيعتها الى حُصُنٍ هائجة ، وكسرت
معالفها وانطلقت ،
تقارع الطاعة ، كأنها تريد
إعلان الحرب على البشر .

الشـــيخ : يقال إنها أكل بعضُها بعضا .

روص : اى والله ، وأنا واقف مأخـــوذا
انظر اليهـــا .

يدخل مكدف

هذا مكدف الكريم قادم . ٢٠

كيف يجرى العالم الان ، ياسيدى ؟

مكدف : ألا ترى ؟

روص : هل عرفتم من الذى اقترف هذه الفعلة الاكثر من دامية ؟

مكدف : الرجلان اللذان صرعهما مكبث .

روص : واعجباه !

وما النفع الذى قد يطمعان فيه ؟

مكدف : كانا مدفوعين .

مالكولم ودونالبين ، ابنـا الملك الاثنان ،

تسللا وهـربا . الامر الذى يجعلهما

موضع الشبهة فيما حدث .

روص : خروج على الطبيعة أبدا .

يا طموحا مفرطا ، تلتهم

حتى ما يمدك بحياتك ! — فالارجح اذن ان الملكية

ستقع لمكبث . ٣٠

مكدف : لقد أعلن ملكا ، وذهب الى « سكون » (٢٤)

لكيما يتـوج .

---

(٢٤) « سكون » هي المدينة الملكية القديمة التي كانت في الأغلب عاصمة مملكة « البكت » القديمة وهي على بعد ميلين شمالي « بيرث » في اسكوتلنده . وفيها « حجر المصير » الذي كان ملوك اسكوتلنده يجلسون عليه عندما يتوجون ، وكان المعتقد أنه وسادة يعقوب التي يرد ذكرها في التوراة . وقد سرقه أدوارد الأول عام ١٢٩٦ من كنيسة وستمنستر بلندن .

روص : وأين جثمان دنكن ؟

مكدف : حملوه الى كولم كيل ،
حيث أضرحة اسـلافه .
انها حارسـة عظامه .

روص : اتذهب الى « سكون » ؟

مكدف : لا يا ابن العم . بل الى فايف .

روص : حسنا ، سأذهب انا اليها .

مكدف : قد ترى هناك اشياء يحسن صنعها ، وداعا ! —
لئلا تلائمنا اردیتنا القديمة اكثر من الجديدة !

روص : (للشيخ) وداعا ، ايها الاب .

الشـيخ : رافقتك بركة الله ، ورافقت كل من ٤٠
يجعل من الشر خيرا ، ومن الاعداء أصدقاء !

(يخرجون)

* * *

الفصل الثالث

المشهد الاول

فورس غرفة في القصر

يدخل بانكوو (١)

بانكوو : تحققت لك الان كلها : فأنت الملك ، وكـودر ،
وغلامس .
كما وَعَدَتْ نسوة القَدَر . وأخشى
انك لعبت لعبة جدّ غادرة من اجلها . ولكنه قيل
إنها لن تستمر في خَلَفِك ،
بل انا الذى سأكون الاصل والوالد
لملوك كثيرين . فاذا صدر عنهن اى صدق
(واقوالهن عليك يا مكبث قد اشرقت)
اذن ، قياسا على الحقائق التى تأكدت عليك .
افلا يجوز ان يَكُنَّ مَوْحى النبؤة لى ايضا .
ويُنهضن في نفسى الامل ؟ ولكن ، صمتا ، كفى.
١٠

(١) في كتاب المؤرخ هولنشيد ، الذي إقتبس عنه شكسبير قصة المسرحية ، نجد أن بانكوو هو شريك مكبث في مقتل دنكن . غير أن بانكوو كان سلف الملك جيمز الأول ، الذي اعتلى عرش إنكلترا، واسكوتلندا ، موحدتين ، قبل كتابة المسرحية ببضع سنوات ، فكان على شكسبير أن يعامل سلف الملك باحترام ، ولأسباب درامية صرفة كان المستحسن أن يجعل مكبث وبانكوو شخصيتين متقابلتين متضادتين ، ولا يعطي مكبث وزوجته أي شريك . ومع ذلك فإن كلام بانكوو هنا يوحي بأنه ضالع في الجريمة لأنه ، بسبب من طموحه ، أبقى سراً أمر الساحرات مع مكبث ولم يفضح ما جرى بينهما .

صدح أبواق . يدخل مكبث ملكا ، ليدى مكبث ملكة ،
لينوكس ، روص ، لوردات ، ومرافقون .

مكبث : هيهنا ضيفا الاكبر !

ليدى مكبث : لو كان قد نسى .
لكان غيابه كفجوة في وليمتنا الكبرى ،
وغير لائق أبدا .

مكبث : سيدى . اننا الليلة نقيم عشاء رسميا ،
وأرجو حضورك .

بانكوو : فلتأمروني ، رفعتكم ،
فواجباتي موثوقة بكم الى الابد
برباط لايُفصم .

مكبث : اذاهب انت بعد ظهر اليوم ؟

بانكوو : نعم ، مولاى الكريم .

مكبث : لَكُنّا نود حُسْنَ مشورتكم ٢٠
(وهى التى كانت دوما جادة ونافعة)
في مجلس اليوم . ولكن سنرضى بيوم غد .
اتذهب بعيدا ؟

بانكوو : على بعد مايملأ الزمن ، ياMولاى ،
بين هذه الساعة والعشاء . واذا لم يُحسن حصاني الركض ،
فلابدّ لى من ان استعير من الليل
ساعة ظلام او اثنتين .

مكبث : لا تفوتنّك وليمتُنا .

بانكوو : قطعا لا ، يامولاى .

مكبث : سمعنا ان ابنى عمنا المجرمين يقيمان
في انكلتره ، وفي ارلنده ، ولا يعترفان ٣٠
بقتل ابيهما بقسوة ، ويملآن من يصغى اليهما
تلفيقات غريبة . ولكن لنرجىء ذلك الى يوم غد ،
حين سيكون لدينا ، الى هذا ، من قضايا الدولة
مايحتاجنا معا . اسرع الى حصانك : وداعا .
حتى عودتك في الليل . ايذهب فليانس معك ؟

بانكوو : نعم ، مولاى الكريم . وقتنا يستدعينا .

مكبث : ارجو لحصانيكما سرعةَ الانطلاق ، وثباتَ الحوافر
وليهنأ كل منكما على صهوة جواده .
استودعك الله .

(يخرج بانكوو)

ليكن كل رجل سيد وقته ٤٠
حتى السابعة هذا المساء .
ولكي نزيد من حلاوة الترحاب بالحفل
سنختلى بانفسنا حتى ساعة العشاء :
وحتى ذلك الحين ، كان الله معكم .

(يخرج الجميع ، سوى مكبث وخادم)

ياهذا ، كلمة معك .
هل ذانك الرجلان في انتظار فراغنا ؟

خادم : نعم يامولاى ،

خارج بوابة القصر .

مكبث : احضرهما امامنـــا .

(يخرج الخادم)

أن نكون هكذا ليس بشيء ، انما ان نكون هكذا
ونحن آمنون : (٢) ٥٠
مخاوفنا من بانكوو
عميقة الوخز ، وفي طبعه الخليق بالملوك
يسود ما يجب ان اخشاه . انه يجرأ على الكثير ؛
وهو الى معدن ذهنه المقدام
يتمتع بحكمة ترشد شجاعته
الى الفعل بأمان . ليس ثمة من اخشاه
الاه ، وملاكي الحارس ازاءه مهين ،
كما كان ملاك انطونيو ، على مايقال ، ازاء قيصر .
لقد عنّف « الاخوات » .
عندما قلّدنني مَلِكاً اول مرة ؛
وامرهن بمخاطبته . وعندها ، كالانبياء ،
حيينه ابا لسلالة من الملوك .
تاجا عاقرا وضعن على رأسي ،
وصولجانا عقيما في قبضتي ، ٦٠
لكيما يُنتزَعَ منها بيد من غير ماسلالة ،
فلايخلفني ولد لي . ان يكن الامر هكذا ،
فأنا ما لوثتُ ذهني الا لذرية بانكوو !

---

(٢) أي : أن يكون المرء ملكاً بالإسم ليس بشيء ، إنما الشيء هو أن يكـــون ملكاً و هو آمـــن .

من اجلهم قتلتُ دنكن النبيل ،
ووضعت الاحقاد في كأس سلامي ،
من اجلهم فقط ، وجوهرتي الخالدة (٣)
سلمتها عدو البشر جميعا ،
لكيما اجعلهم ملوكا ، بزرَ بانكوو ملوكا !
رفضا مني لذلك ، تعال ايها القَدَرُ الى الحلبة ،
واطلب نزالي حتّى الرمق الاخير !
من هناك ؟
يدخل الخادم ثانية ومعه قاتلان
والآن ، اذهب الى الباب ، وامكث هناك حتّى
ندعـوك .

(يخرج الخادم)

امس تحدثنا معا ، اليس كذلك ؟

قاتل ١ : بلى ، ياصاحب الجلالة .

مكبث : حسنا . هل تأملتما فيما قلته لكما ؟
اتعلمان انه كان هو الذى ، في زمن مضى ،
اخفض من قدركما ، في حين وضعتما الظِنة (٤)
فيّ أنا البرىء ؟ وهذا ما أثبتُّه لكم
في اجتماعنا الاخير ، وتتبعت معكما البرهان ،
كيف انكما خُدعتما ، وأُحبطتما ، ومن هم الوسائط
ومن عمل معهم ، وغير ذلك من الامور التي

---

(٣) أي روحه الخالدة سلمها للشيطان .

(٤) يبدو من سياق الحوار هنا أن « القاتلين » في الأصل إثنان من الضباط عوقبا يوماً على سوء تصرفهما .

بوسعها ان تقول حتى لمن لايملك من الروح ٨٠
الا نصفها ، ومن العقل الا المختل :
« هذا مافعلـــه بانكوو » .

قاتل ١ : وضّحتَ لنـــا ذلك .

مكبث : اجل ، ثم انتقلت الى الامر الذى
هو الغرض من اجتماعنا هذا الثاني . هل تجدان
الصبر ســـائدا في الطبع منكما
فتستطيعان اغفال هذا ؟ هل لُقّنتما الانجيل
فأردتما الصلاة لهذا الرجل الطيب ، ونسله ،(٥)
هذا الرجل الذى احنت يده ظهوركم للقبر ،
وأحوجت اولادكم للتسوّل حتى الابد ؟

قاتل ١ : رجال نحن ، يامولاى .

مكبث : نعم ، في كتاب الدليل انتم رجال .
فالسلوقي ، وكلب الصيد ، والهجين ، والجرو ،
وكلب المـــاء ، وشبيه الذئب ،
تدعى « كلابا » كلّها . اما الملف الثمين
فيميز بين السريع ، والبطيء ، والمرهف ،
وحارس المنزل ، والمطارد ، كل
حسب الموهبة التي جعلتها الطبيعة المعطاة
مرصّعةً فيه . وبهذا يكتسب
صفة خاصة ، اضافة الى القائمة

---

(٥) الإشارة إلى إنجيل متى ٥ ، ٤٤ : « أحبوا أعداءكم . باركوا لاعنيكم . أحسنوا إلى الذيـــن يكرهونكم ، وصلوا من أجـــل الذين يؤذونكم ويضطهدونكـــم » .

التي تدرج الكلاب كلها سواسية . وهكذا الرجال ..؟
فالآن ان كانت لكما منزلة في صفكما
ليست في احط مراتب الرجولة ، اخبراني بها .
ولسوف اجعل في الصدر منكما مهمة
يقضي تنفيذها على عدوكما ،
ويشدكما الى القلب والحب منا ،
فقد باتت الصحة منا في مرض بحياته ،
ولتكونن بموته في احسن حال .

قاتل ٢ : انني امرؤ يا مولاي
اغضبته كلمات الدنيا وضرباتها الدنيئة ،
فما عدت آبه ماذا افعل
لأكيد للدنيا .

قاتل ١ : وانا امرؤ آخر
انهكته النكبات ، وقارعته الايام ،
فجعلتُ حياتي رهن اي مجازفة ،
أصلحُها بها او أتخلّص منها .

مكبث : كلاكما يعلم
ان بانكوو كان عدوكما .

قاتل ٢ : صدقت ، سيدي .

مكبث : وهو عدوي ايضا . وعلى مقربة دامية مني
حتى لتطعنني كل دقيقة من كينونته
في حشاشتي : ومع ان بوسعي
ان اكنسه عن ناظري بقوة سافرة ،
وآمر ارادتي بالمصادقة عليها ، فان علي الا افعل ذلك

من أجل أصدقاء معينين هم اصدقاء لي وله معا ، ١٢٠
لا يمكنني التخلي عن حبهم ، بل سأبكي سقوطه
وانا الذى صرعته : ومن هنا
فاني اطلب ودكما ومساعدتكما ،
حاجبا الامر عن اعين العموم
لاسباب خطيرة شتّى .

قاتل ٢ : لسوف نؤدى يا مولاى
ما تأمروننا به .

قاتل ١ : حتّى ولو ان حياتنا —

مكبث : الحيوية تتوهج من خلالكما : في غضون الساعة
هذه ، على الاكثر ، سأشير عليكما اين تزرعان
نفسيكما ،
وأعلمكما بالساعة المثلى ،
بل باللحظة عينها . لانها يجب ان تُفعل الليلة ،
وعلى مبعدة ما من القصر ، فالمحسوب دائما
انني بحاجة الى ما يبرّئني :
ولكي لاتبقى في العملية عاهة او عيب ،
فان ابنه فليانس ، الذى يرافقه ،
والذى يهمني غيابه
بقدر غياب ابيه ، يجب ان يلقى معه مصير
تلك الساعة السوداء . . . قرّرا على انفراد ،
سآتيكما بعد قليل .

قاتل ٢ : لقد قررنا يامولاى

مكبث : سأدعوكما حالا . انتظرا في الداخل . ـ

(يخرج القاتلان)

خُتِمَ الأمر ! واذا كانت روحك الطائرة يابانكوو ١٤٠
ستلقى السماء ، فعليها بالبحث عنها هذه الليلة .

(يخـــرج)

المشهد الثانى

فورس . غـــرفة اخـــرى

تدخل ليدى مكبث وخـــادم

ليدى مكبث : هلْ غادر بانكوو البلاط ؟

خادم : نعم ، سيدتي ، وسيعود الليلة ثانية .

ليدى مكبث : قل للملك انني في انتظار فراغه
لبضع كلمات معـــه .

خادم : سأفعل ، سيدتي .

(يخـــرج)

ليدى مكبث : حيثما تتحقّقْ منا الأُمنية ولا يتحققِ الرضا ،
نَكُنْ لاشيئا كسبنا ، وانفقنا كل شيء :
انه لاسلم لنا ان نكون ما نُحَطِّم
من ان نقيم بتحطيم الآخرين في فرح مليء بالرِّيَب :
يدخل مكبث
مالي اراك يامولاى تعزل نفسك وحيداً ،
جاعلا من أبأس الخيالات رفاقا لك ،
محتضناً تلك الخواطر التي كان عليها ان تموت ١٠

مع الذين تتردد هي عنهم ؟ كل ما استعصى على العلاج
يجب ان ينأى عن الفكر : ماصار قد صار .

مكبث : لقد جرحنا الافعى ، ولم نقتلها .
لسوف تلتئم ، وتكون ما كانت ، بينما يبقى
حقدنا المسكين في خطر من نابها الاصلي .
ولكن ألا فلينفصم هيكل الاشياء ،
ولتضطرب هذه الدنيـا والآخرة ،
قبل ان نقتات طعامنا خوفا ، وننـام
في كرب من هذه الاحلام الرهيبة
التي تزلزلنا كل ليلة . خير لنا ان نكون مع الموتى
الذين ، كسباً لسلامنا ، ارسلناهم لسلام ابدي ،
من ان نرقد على عذاب النفس
في اختبال لا يقر . دنكن في قبره .
انه بعد نوبات حُمّى الحياة في نومة عميقة .
الخيانة فعلت اسوأ فعلها : لا الفولاذ ، ولا السم ،
لا الحقد الاهلي ولا الجيش الاجنبي
بقادر ان يمسـه بعد !

ليدي مكبث : هيا ، مولاى الكريم ،
لتنبسط أسارير وجهك المكفهرة ،
وكن مشرقا ضحوكا بين ضيوفك الليلة .

مكبث : سأكون ، ياحبيبتي . وارجو ان تكوني كذلك انت
ايضا . ٣٠
وجّهي همّك نحو بانكوو :
هبيه الصدارة ، عينا ولسانا معا .

نحن لن نسلم مادمنا
نُكْرَه على غسل شرفنا بسيول النفاق هذه .
وجعل وجوهنا اقنعة لقلوبنا ،
لتُخفي حقيقتها .

ليدى مكبث : يجب ان تكف عن ذلك !

مكبث : آه ، مليء بالعقارب ذهني . زوجتي العزيزة !
انت تعلمين ان بانكوو وابنه فليانس في قيد الحياة .

ليدى مكبث : ولكنّ عَقْدَ الحياة فيهما ليس بالأبديّ .

مكبث : ثمة عزاء بعد . منهاجمتهما ممكنة .
فامرحي . . . قبل ان ينطلق الوطواط في طيرانه
بين الاروقة ، وقبل ان تدعو « هكاتة » السوداء ٤٠
خنفساء الحراشف لتقرع بطنينها الناعس
جرس الليل المتثائب . ستُفعل
فعلة مخيفة النبرة .

ليدى مكبث : **وما هـــي ؟**

مكبث : كوني بريئة من العلم بها ، فرختي الحبيبة .
الى ان تهتفي لها . تعال ياليل ، يامُغمِضَ العيون ،
واعصب العين الحنون من النهار الشفيق
وبيدك الخفية الدامية
إلْغِ ، ومزّق قِطَعًا . ذلك العَقْد العظيم (٦)
الذى يبقيني في شحوب !
اخذ الضوء يكثف . والغراب ٥٠

---

(٦) أي العقد الذي بموجبه يمتلك بانكوو وإبنه فليانس الحياة من الطبيعة .

يُطلق الجناح نحو غابة العقبان .
طيبات النهار جعلت تتهدل وتتناعس .
وعملاء الليل السود راحوا ينشطون للفريسة .
أتعجبين لكلماتي ؟ هدّئي روعك ،
كل ما بالشر يبدأ . انما بالشر يقوّى .
اذن ، أرجوكِ . هيا معى .

(يخرجـــان)

المشهد الثالث

فورس . حديقة . فيها طريق يوّدى إلى القصر

يدخل ثلاثة قتلة

قاتل ١ : ولكن من أمرك بالانضمام الينا ؟

قاتل ٣ : مكبث .(٧)

قاتل ٢ : لاحاجة بنا الى الريبة فيه . مادام يعيّن لنا
وظيفتنا . ومهمتنا .
وفق التعليمات الدقيقة .

قاتل ١ : اذن . قف معنـــا .
مازال الغرب يومض بخيوط من نهار :
والمسافر المتأخر يعجّل من سيره الآن .
ليبلغ الخان مبكرا . وقريبا أخذ يدنـــو
موضوع كميننا .

قاتل ٣ : أصغيا ! اسمع خيلا .

---

(٧) مكبث ، كأي طاغية ، لا يثق في أحـــد ، فيرسل قاتلا ثالثاً ليتجسس عـــل الرجلين اللذين اختارهما لتنفيذ جريمتــــه .

بانكوو : (من الداخل) اعطونا ضياء ، ياقوم !

قاتل ٢ : اذن انه هو . اما الآخرون
المدرجون في قائمة المدعوين ١٠
فقد سبق ان وصلوا القصر .

قاتل ١ : خيله طليقة .

قاتل ٣ : لحوالى الميل . ولكن ذلك من دأبه .
كغيره من الرجال ، فهم من هنا حتى بوابة القصر
يسيرون على القـــدم .
يدخل بانكوو وفليانس ومعه مشعل

قاتل ٢ : ضياء ، ضياء !

قاتل ٣ : انه هــو !

قاتل ١ : تهـــيئوا

بانكوو : ستمطر الليلـــة .

قاتل ١ : ولتنهمــر !

(القاتل الاول يطفىء المشعل .
بينما يهجم الآخران على بانكوو)

بانكوو : آه خيانة ! اهرب يا فليانس . اهرب . اهرب !
لعلك تنتقم . — ايها العبد !
(يموت بانكوو . ويهرب فليانس)

قاتل ٣ : من أطفأ المشعل ؟

قاتل ١ : ألم تكن هى الطريقة ؟

قاتل ٣ : واحد وقع فقط . الابن هرب .

قاتل ٢ : لقد اضعنا النصف الأفضل من مهمتنا .

قاتل ١ : آ ، لنذهب ٢٠
ونخبر عن مدى ما أنجز .

(يخرجـــون)

المشهد الرابع

قاعة فخمة في القصر

وليمة مهيأة . يدخل مكبث . ليدى مكبث ،
روص . لينوكس . لوردات . ومرافقون

مكبث : انكم تعرفون مراتبكم . فاجلسوا . . . بدءًا
ومنتهى . من قراره قلبي أرحب بكم .

لوردات : شكرا لجلالتكم .

مكبث : ونحن سنخالط الحفل
لنقوم بدور رب البيت المتواضع .
ربة البيت تلزم عرشها . ولكن اذ يحين الاوان
سنطلب اليها الترحيب بكم .

ليدى مكبث : اعلنها عني . سيدى . لصحبنا جميعا ،
لان قلبي يتكلم — أنهم هنا على الرحب والسعة .
يدخل القاتل الاول . عند الباب

مكبث : انظرى . انهم يقابلونك بالشكر من قلوبهم .
الجانبان متساويان كلاهما : هنا سأجلس انـــا في
الوســط . ١٠
كونوا احرارا في المرح . . . لحظة : وسنشرب نخبا

لكل من على المـــائدة .

(يذهب الى الباب)

على وجهك دم .

قاتل : اذن فهو دم بانكوو .

مكبث : عليك من الخارج ، ولا فيه من الداخـــل .
هل اجهزت عليه ؟

قاتل : مولاى ، قُطع عنقـــه .
انا الذى قطعتـــه .

مكبث : انك ابرع من قطع العنق .
ولكنْ بارعٌ ايضا من فعل ذاك بفليانس .
فان كنت انت ، فانك الذى لا يُضاهَى .

قاتـــل : مولاي صاحب الجلالة . . . فليانس هرب .

مكبث : اذن عادت نوبتي من جديد والاّ لكنت في افضـــل
حال ، ٢٠
سليما كالرخام ، ثابتـــا كالصخر ،
حـــرا طليقا كالهواء المحيط بي .
اما الآن ، فاني محشور ، محصور ، محتَبَس ، تكبّلني
لَجوجُ المخاوف والشكوك . — ولكنّ بانكووسليم ؟

قاتـــل : نعم ، مولاى الكريم ، سليم مقيم في خندق ،
وفي رأســـه حُفرت عشرون طعنةً
اصغرُها موتٌ للطبيعة .

مكبث : اشـــكر لك ذلك . —
هناك ترقد الافعى الكبرى . اما الافعى التي هربت

فمن شيمتها ان تولّد السمّ مع الزمن ،
وإن تكن الآن بلا انياب .ـاخرج ، وغداً ٣٠
نتباحث معـاً ثانية .

(يخـرج القاتل)

ليدى مكبث : مولاى صاحب الجلالة ،
إنك لاتجود بالبشاشة : وما الوليمة الا بيع وشراء
ان لم تؤكد مرة بعْد مرة ، وهي جارية ،
بانك بالترحاب تُقيمها . خيرُ ما يأكل المـرة ،
في بيتـه .
اما خارجَ البيت ، فتوابلُ الطعامِ الاحتفاءُ ـ
واللقـاءُ بدونه لاطعم له .

مكبث : مذكرّتي العَذْبة ! ـ
هنيئا مريئـا ايها الصحب ،
وصحةً للجميع !

لينوكس : هلا تفضلتم بالجلوس جلالتكم ؟

مكبث : لكان فخر بلادنا الآن تحت هذا السقف
لو ان شخص بانكوو الكريم حاضر بيننا . ٤٠
يدخل شبح بانكوو ، ويجلس في مكان مكبث
وانا شديد العُتْبي عليه لعدم لطفه ،
اكثرُ مني عطفاً لطارىء ربما قد حل به .

روص : غيابه ، ياسيدى ،
يوقع اللوم على وعده . هلا آنَسْتمونا
جلالتكم بالجلوس معنا ؟

مكبث : المائدة ملأى .

لينوكس : (مشيرا الى الكرسي الذى جلس فيه بانكوو) هنا مكان مخصص ،سيدى .

مكبث : أين ؟

لينوكس : هنا ، مولاى الكريم . ما الذى يثيركم ؟

مكبث : من منكم فعل هذا ؟(٨)

لوردات : ما هو ، يامولاى ؟

مكبث : لن تقدر ان تقول ، انا الذى فعلتُها . لا تهزّ لي بخصلاتك الدامية . ٥٠

روص : ايها السادة ، انهضوا . جلالته متوعك .

ليدى مكبث : اجلسوا ، ايها الصحب الكرام . كثيرا ما يكون مولاى هكذا ،

منذ شبابه : ارجوكم . ابقوا في مقاعدكم .
تدوم النوبة برهة ، وبسرعة الخاطر
يعود ثانية الى صحته . إن تركزّوا عليه ،
تسيئوا اليه وتُطيلوا معاناتَه .
كُلوا ، ولا تنظروا اليه . — أرجلٌ انت ؟

مكبث : نعم ، رجل ميسور ، يجرؤ على النظر الى ماقد يُرعب الشيطان .

ليدى مكبث : اوه ! كلام هائل !
إنْ هذا إلاّ رسمٌ من خوفك : ٦٠

---

(٨) أي : من منكم قتل بانكوو !

إنه الخنجر المسلول في الفضاء الذى ، قلت ،
انه اقتادك الى دنكن. اوه! هذه الانتفاضات والجَمَلات
زَيْفٌ إزاء الخوف الحقيقي ، وهي قد تليق
بحكاية امرأة قرب نار الشتاء .
ترويها عن جدّتها . يا للعيب !
لماذا تشنّج قسماتِ وجهك هكذا ؟ حاصل الامر
انك انما تنظر الى مقعد .

مكبث : ارجوك . انظرى هناك !
عايني ، أبصري ، ماذا تقولين ؟ —
وما همني ؟ إن تَهزُزْ رأسك ، تكلم ايضا ! —
ان كان لا بد للنواويس والقبور ان تعيد
الذين ندفنهم الينا ، فلتكن اضرحتُنا
حواصلَ الحدآت . (٩)

(يختفي الشبح)

ليدى مكبث : ماذا ! أفقدت رجولتك حُمْقاً ؟

مكبث : ان كنتُ واقفا هنا ، فقد رأيته .

ليدى مكبث : خسئت ! عيب !

مكبث : لقد سُفك الدم قبل اليوم ، في العصور الغابرة ،
قبل ان تُبْرىء الشرائعُ الانسانيةُ المجتمع
ومنذ ذلك الحين ايضا اقتُرفت جرائم
أرعبُ من ان تسمعَها أُذُن : لقد جاء زمن
كان المرء فيه ، اذا انسفح مخه ، يموت ،

---

(٩) أي : لكيما تمنع الأجساد من العودة من القبور ، علينا أن نطعمها للحدات .

وفي ذلك نهاية له . غير أنهم اليوم يقومون ثانية
وفي رؤوسهم عشرون جرحا قاتلا ،
ويدفعوننا عن مقاعدنا . . . وهذا اغرب حتى
من جريمة كهـــذه .

ليدى مكبث : مولاى الكريم ،
صحبك الاشراف يتوقعونك .

مكبث : والله نسيت . —
لاتأخذنكم الخواطر بي ، صحبي الكرام .
إن بي عـــلةً غريبة ، هي لاشيء
للذين يعرفونني . — اعطني خمرا : املأ الكأس . —
اني أشرب نخب فرح الذين على مائدتي كلها ،
ونخب صديقنا العزيز بانكوو ، الذى نفتقده .
يا ليته كان هنا !
يدخل الشبح ثانية
لكم جميعا ، وله ، نحن في ظمأ ، ٩٠
وليشرب الكل للكل !

لوردات : واجباتنا ، وعهدٌ علينا !

مكبث : اذهب ! اغرب عن بصري ! فلتُخْفِكَ الارض !
عظامك لانخاع فيها ، ودمك جامد .
لا إدراك في تينك العينين
اللتين تحملق بهما . . .

ليدى مكبث : اعتبروا هذا ، ايها الشيوخ الافاضل ،
امـــرا معتادا ، ليس الا .
ولو انه يُفسد متعة الساعة .

مكبث : ما يجسر امرؤ عليه ، أجسر عليه انا :
ادنُ دُنَوَّ الدبِّ الروسي الخشن ،
او الكركدنَّ المسلح ، او النمر الهرقاني ،(١٠)
اتخذ لك اى شكل الا ذاك ، فلن تصيب
اعصابي الراسخةَ رِعْدَةً واحدة : او ، عد الى
الحياة ،
واطلب نزالي في الصحراء بسيفك ،
فان حويتُ عندها رعدة ، أعلن أنني
دميةُ طفلة ... عنّي بك ، ايها الظل المريع !
ايها الهـزء الوهمي ، عنّي بك ! —
(يختفي الشبح)
أف ، هكذا . . . الآن وقد تلاشى ،
فاني رجل من جديد . . . ارجوكم ، استكينوا .

ليدى مكبث : طردتَ المرح ، وفضضت الاجتماع
بالعجيب من سـوء السيطرة والنظام .

مكبث : ايمكن ان توجد اشياء كهذه
تعبر بنـا كسحابة صيف ، ١١٠
دون ان تذهلنا ؟ انك تجعلينني اندهش
حتى لطبعي انا ،
عندما أُبصر الآن انَّ بوسعك رؤيةَ مشاهدَ كهذه ،
وتحتفظين بياقوت خدّيك الطبيعي ،
بينما يَبْيَضّ ياقوتُ خدّيَّ فـزعا .

---

(١٠) نسبة إلى هرقانيا ، جنوب شرقي بحر قزوين .

روص : أية مشاهد ، يامولاى ؟

ليدى مكبث : ارجوكم ، لا تتكلموا . انه يتطور من سيىء الى اسوأ ،
والسؤال يغضبه . . . في الحال ، ليلة سعيدة .
لاتتمسكوا بأصول مغادرتكم ،
بل اذهبوا في الحال .

لينوكس : ليلة سعيدة ، وعافى الله جلالته !

ليدى مكبث : ليلة سعيدة لكم جميعا ! ١٢٠

(يخرج اللوردات والمرافقون)

مكبث : لابد لمصرعه من دم ، كما يقولون . الدم يطلب الدم :
لقد سمعنا ان الحجارة تتحرك ، والأشجار تنطلق ،
وان العِرافة ، والاستدلال بالعلاقات ، يكشفان
عن طريق العقاعق ، والحدآت ، والغربان ،
اعمق القتلة سرا وتكتما . — ما هزيع الليل ؟

ليدى مكبث : يكاد يصارع الفجر .

مكبث : ماذا تقولين في مكدف ، وهو يتمنع بشخصه
على امـــرنا العظيم ؟

ليدى مكبث : هل طلبته ، ياسيدى ؟

مكبث : سمعت ذلك صدفة . ولكنني سأطلبه .
ليس ثمـــة واحد منهم الا وجعلت في منزله
خادما مأجورا لي . ساذهب غدا
(ومبكرا سأذهب) الى اخوات القـــدر :
لسوف استنطقهن المزيد . فقد عزمت الان على
معرفة أســوأ الامور بأســـوأ الوسائل . ولصالحي

سيعنو كل سبب . . . لقد خطوت في الدم
بعيدا ، فحتى لو لم اخض المزيد
لكان النكوص مرهقاً كما المضيّ .
في رأسي امور غريبة ستنتقل الى يدى ،
لابد من فعلها قبل ان ينظر فيها احد .

ليدى مكبث : بك حاجة للنوم ، ملح كل طبيعة . ١٤٠

مكبث : هيا بنا الى النوم . ماتوهيم نفسي الغريبُ إلاّ
فزع المستجدّ الذى تعوزه شـدة المراس :
مازلنـا بعدُ فتيّين في الفعل .

(يخـرجان)

المشهد الخامس(١١)

القفـراء

رعد . تدخل الساحرات الثلاث ، ويلتقين بهكاتة .

الساحرة ١ : هه ، ما الأمر يا هكاتة ؟ تبدين مغضبة .

هكاتة : الست معذورة ، وانتن الشمطاوات
المتجرّئات الوقحات ؟ كيف جسرتن
على التعاطي والتعامل مع مكبث
بالألغاز وقضـايا الموت

---

(١١) هذا المشهد ، في الأرجح ، مقحم على النص الشكسبيري ، وهو من الإضافات التي كانت تستهدف إمتاع الجمهور بما تهيئه من فرصة للفرجة ، والغناء ، والرقص . والمعتقد أن المشاهد التي تظهر فيها هكاتة في هـذه المسرحية ، اقحمها أفراد من الإدارة المسؤولة عن الفرقة التي كان شكسبير يكتب لها مسرحياته .

وانا ، سـيدةُ رُقاكم ،
والمبتكرةُ السرية لكل أذاكم ،
لم أدْعَ قطُّ الى القيام بدوري
او ابراز الروعة في فنكنّ وفنّي
والاسـوأ ان مافعلتن كلّه   ١٠
كان لابن ضال عنيد ،
حقودٍ حنيق ، كغيره
ليس يهوى الا لمــآربه ، دونكن .
اصلحن امركن الآن : هيا
وفي وهــدة آكرون (١٢)
قابلنني في الصباح . انه هناك
سيأتي ليســأل عن مصيره .
هيئن الاواني والرُّقى
ولوازمَ السحر وغيرَها .
اني في الهواء لراحلة ، وسأقضي الليلة   ٢٠
لغاية مدمــرّة وقاتلة .
فعلة كبرى لابد تُقضَى قبل الظهيرة . . .
عَلِقَتْ على الركن من القمر
قطرةٌ من بخار عميقة الاثر (١٣)
سألقفُها قبل ان تدرك الارض :
فاذا قُطِّرت بسحريٍّ الحيل

(١٢) نهر في الجحيم .

(١٣) كان القدامى يعتقدون أن هذه قطرة من زبد يسقطها القمر على أعشاب أو أجسام معينة بمفعول السحر القوي .

استحضرت عفاريت ملأى بالألاعيب
تَجُرُّهُ بعنيف خداعها
الى الحيرة والتخبط .
سيزدري القـــدر ويستخف بالموت ،
ولسوف يعلو بآماله ٣٠
على الحكمة ، والنعمة ، والفزع .
وكلكن يعلم ان الغلو بالثقة
هو العـــدو الأكبر للبشر .

(اغنية من الداخل : « تعالي ، تعالي . . . »)
سسمعا ! يدعونني ... جنيّي الصغيرة (انظرن !)
جلست في سحابة غمام ، بانتظارى . . .

(تخـــرج) (١٤)

المشهد السادس

مكان ما من اسكوتلنده
يدخل لينوكس ولورد آخـــر

لينوكس : ماقلته ســـابقا ينسجم مع افكارك ،
ولها ان تسترسل في التأويل . كل ما اقول هو
ان الامور قد صُرّفت على نحو غريب . دنكن الطيب
عطف عليه مكبث : واذا هو والله يموت .
وبانكوو الشجاع تأخـــر في دربه ،
وهذا ، لك ان تقول (ان شئت) إن فليانس قتله ،

---

(١٤) كانت هكاتة ترفع في « عربة مسرحية » تعلو بها البكرات ، ثم تخفيهـــا الستائر الفضفاضة .

لان فليانس قد هرب . على الرجال الا يتأخروا
في الدروب .
ومن له الا ان يفكر بوحشية أن
يقتل مالكولم ودونالبين
اباهما الطيب ؟ يا للحقيقة اللعينة ! ١٠
لشد ما أحزنت مكبث ! الم يذهب على الفور ،
في غضبة موالية ، ويمزقْ المجرمين الاثنين
وقد استعبدهما الشراب ، واسترقّهما النوم ؟
الم يكن ذالك نبلا منه ؟ بلى ، وحكمة ايضا .
لان ما من فؤاد حي وكان سيغضب
لو سمع الرجلين ينكران . ولذا فاني اقول
إنه دبر الامور كلها خير تدبير . واني لاحسب
لو انه تمكن من وضع ولدَيْ دنكن خلف رتاجه
(لا سمح الله بذلك !) ، لوجدا
ما معنى ان يقتل المرء أباه . وهكذا فليانس .
ولكن كفى ! — فمكدَفَ من صريح كلماته ،
ولانه اخفق
في حضور وليمة المغتصب الطاغية ، سمعت
انه يعيش مغضوبا عليه . هل تعلم ، سيدى ،
اين يقيم ؟

لورد : ان ابن دنكن الذى
يمنع عنه هذا الطاغية حق ميلاده
يقيم في البلاط الانكليزى ، ويلقى
من الملك التقي ادوارد كل حسنى

بحيث ان حقد الدهـــر لاينـــال
من علو منزلته . . . الى هناك يمم مكدف وجهه
ليرجو الملك الورع ، نيـــابة عنه ،
ان يستنخي أمير نور ثمبرلند، والمحارب سيوارد. ٣٠
عسى اننا بمساعدة هؤلاء (وببركته تعالى
تأييدا للعملية) نعود لموائدنا بالطعام ،
ولليالينـــا بالنـــوم ،
وندفع عن ولائمنا ومآدبنا الخناجر الدامية .
ونقوم بولائنا مخلصين ، ونتلقىّ التكريم احرارا ،
ممـــا نحن في توقٍ اليه . . . وهذا النبأ
قد أثار حفيظة الملك جدا . حتّى
راح يستعد لمحاولة حربية .

لينوكس : هل أرسل في طلب مكدف ؟

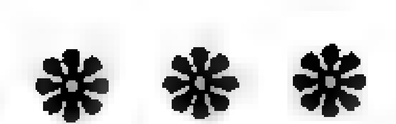
لـــورد : اجل، واذ رد باقتضاب حازم «سيدى، ارفض» ٤٠
ادار الرسول المكفهر ظهره ،
وهمهم ، كأنه يقول : « ستندم على الزمن الذى
جشمني هذا الجواب » .

لينوكس : وذاك اغلب الظن
سيوصيه بالحـــذر ، والبقاء بعيدا
ما تُمكّنه حكمته . الا ليت ملاكا طاهرا
يطير الى بلاط انكلتره ، ويكشف

عن رسالة مكدف قبل وصوله ، لعل بركةُ عاجلة
تنزلُ قريبـــا على هذا البلد الذى يشقى
تحت قبضته اللعينة !

لـــورد : ســـأشفعه بصلواتي .

(يخــرجان)



الفصل الرابع

المشهد الاول

منزل في فورس . في الوسط قِدْر كبيرة تغلي رعد . تدخل الساحرات الثلاث

ساحرة ١ : ثلاثاً ماءت القطة المخططة .

ساحرة ٢ : ثلاثا ، ومرة أنّ الخنزير .

ساحرة ٣ : البوم يصيح : آن الاوان ، آن الاوان .(١)

ساحرة ١ : دوروا حول القدر دوروا
وارموا الحشى المسموم فيها . —
هاتي علجومة قد رقدت تحت الحجر
واحداً وثلاثين يوما بلياليها
تتصفد بالزعاف ، واجعليها
في الحلّة المسحورة — فيها
ستغور الآن حالا وتمورُ .

معا : ياكدح ، ياويل ، ياثبور ، ٢٠
هلبي يانارنا ، قِدْرنا سوف تفورُ .

ساحرة ٢ : شرحةٌ من أفعى آسنة
في الحانة فوّروها ،
صوف خشّاف ،

---

(١) ثمة إشارات إلى نعيب البوم قبل مصرع كل من دنكن ، وبانكوو ، وليدي مكبث .

عين زحــــاف
عوّروهـــا ،
واصبعٌ من ضفدعٍ آمنـــة ،
لســـانُ كلب ،
ومن حلق ثعبان شطيرة
وزُباني من دودة حسيرة ،
ومن عَظاةِ رجلُها تلكَ الكبيرة ،
وجناح بويمـــة من السواهى
لرقية تدهـــو الدواهى
في حساء من جهنم يرغو ويثورُ .

معـــا : ياكدح ، ياويل ، ياثبورُ ،
لهبى يانارنا ، قِدْرنا سوف تفـــورُ .

ساحرة ٣ : حراشفُ تنّينٍ هـــذه ،
وانيابُ ذيبٍ ،
ومومياءُ ساحرةٍ كالقنطريبِ ،
ومن قِرْشةٍ ضاريه
بأجاجها جـــارية
حوصلة مع المعـــدة .
وجذورُ شوكرانِ
اجتُثّت في الظـــلامِ ،
مرارةُ معْزى ، عساليجُ طقسوس
انتزعناها معا عند الخسوفِ ،
كبد كافرٍ يهـــودى
وشـــفتا تترىٍ

وأنف تركي افندى
واصبعُ طفلٍ خنيق بالولادة
وضعته في خندق أمهُ القوّادة —
هيا كثفى الطبخة ، انضجيهـــا !
وأمعاء نمـــر اضيفيهـــا
لعناصر قدرنا وهى تمـــور .

معـــا : ياكدح ، ياويل ، ياثبـــورُ ،
لهلبي يانارنا ، قدرنا سوف تفور .

ساحرة ٢ : بدم السعدان آنا برّدوهـــا :
الرُّقْيةُ صارت . . . هوّدوهـــا . . .

تدخل هكاتة ، والساحرات الثلاث الاخريات(٢)

هكاتة : آه أحسنتنّ ! انا أثني عليكن . ٤٠
الربح ربحـــى ، وربحكـــن :
عـــدن للقدر وغنّـــين ،
درن حولهـــا في حلقـــة ،
صحن كالجـــن وغنـــين
يتـِم السحرُ في أشيائكن .
(موسيقى ، واغنية « ارواحنا السوداء هيا ، الخ »)
(تخرج هكاتة والساحرات الثلاث الاخريات)

ساحرة ٢ : في ابهامى وخزٌ — انه لدليلُ
على شيء قادم ، ملؤه شروبيلُ . —

---

(٢) هذا المقطع أيضاً في الأرجح مقحم على النص الشكسبيري . ليس للساحرات الثلاث « الآخريات » من ضرورة هنا ، اللهم إلا لزيادة عدد المغنيـــات في نهايته . من عادة المخرجين أن يهملوا هؤلاء الساحرات الإضافيات . ويستأنف النص الشكسبيري في قول الساحرة ٢ التالي .

افتحي يا اقفـــالُ
لكل من يقرع !
يدخـــل مكبث

مكبث : ما بالكن ياشُمْطَ الخَفاء والسوادِ وجُنّة الليل !
ما الذى تفعلن ؟

الساحرات معا : فعلاً لايُسمّى .

مكبث : استحلفكن بالذى تحترفنه (٣) ٥٠
كيفما يكن سبيلكن لمعرفته ، اجبننى :
حتّى وان تطلقن الرياح ، وتجعلنها تقارع (٤)
الكنائس ، حتّى وإن تحطّمِ الامواجُ الراغيـــة
السفن وتبتلعْها ،
حتّى وان تُضربْ حبةُ القمح في السنبلة ، وتُقتلَعِ
الاشجار ،
وتتهاوَ القلاعُ على رؤوس قاطنيها ،
حتّى وان تَحنِ القصورُ والاهرام
رووسَها على أُسُسِها ، وتتمازجْ
خزائنُ بذور الطبيعة كلها في خليط كبير ، (٥)
الى ان يُتخَمُ الدمارٌ بالدمار ، اجبننى ٦٠
عما سأسأل .

---

(٣) أي السحر الأسود ، أو السحر الحرام .

(٤) كان ثمة من يعتقد أن الزوابع والثلوج والبروق والرعود تنطلق من السماء
لا بأمر من الله ، بل بحيل من السحرة !

(٥) وبذا تنتهي البذور إلى العقم أو إلى إنتاج كل ما هو وحشي ودغل . يروق
لمكبث أن يرى خراب العالم إلى الأبد إذا لم يتحقق له ما يريد !

ساحرة ١ : تكلـــم .

ساحرة ٢ : اطلـــب .

ساحرة ٣ : سنجيب .

ساحرة ١ : وقل ان كنت تؤثر السماع من افواهنا
او اسيادنا ؟

مكبث : ادعينهم ! اجعلنى أراهـــم بعينى .

ساحرة ١ : صبوا دم خنزيرة قد لهمت
صغارها التسعة ،
والقُـــوا في اللهيب
شحما افرزتـــه
مشنقة القتلـــة .

الساحرات معا: عاليا او سافلا ، تقـــدم
واكشف بارعا عن نفسك ومهمتك .

(رعد . الطيف الاول : رأس مسلح (٦))

مكبث : قل لى ، ياقـــوة مجهولة ، — (٧)

الساحرة ١ : يعلم ما بفكرك :

---

(٦) يقول ولسون نايت عن الأطياف الثلاثة التي تظهر هنا بالتوالي ، إن الترتيب التي تظهر فيه مهم لأن الرموز تتكامل بمعانيها : « الدمار العنيف ، وهو نفسه يدمر ، آلام الميلاد الدامي الذي يجهد لإيجاد قوة تصحح وضعاً مبتلى بالشر ، الولادة القادمة الرائعة متوجة بالملكية » . الرأس يرمز إلى رأس مكبث مقطوعاً ، والطفل الدامي يرمز إلى مكدف وقد انتزع قبل أوانــه من رحم أمه ، والطفل الأخير يرمز إلى مالكولم الذي أمر جنوده بقطـــع الأغصان وحملها أمامهم في زحفهم على قلعة مكبث .

(٧) الرأس المسلح هو رأس مكبث . لاحظ المفارقة في قول مكبث .

اسمع مايقول ، وشيئا انت لاتقل .

طيف ١ : مكبث ! مكبث ! مكبث ! من مكدف خذ الحذر ، احذر امير فايف . — اصرفوني . — كفى . . . (٨)

(ينزل)

مكبث : مهما تكن ، فشكرا لتنبيهك الطيّبِ لى .
لقد اصبت في تخمين ما اخشاه . — ولكن ، كلمة اخــرى . . .

ساحرة ١ : يرفض الأوامر . هنا آخــر
اشدُّ فعلا من الاول .

(رعد . الطيف الثاني : طفل دام .)

طيف ٢ : مكبث ! مكبث ! مكبث ! —

مكبث : لو كانت لى آذان ثلاث ، لاصغيت لك .

طيف ٢ : كن دمويا ، جسورا ، جازما : واسخر
من قوة الانسان ، فما من وليد لامرأة
سيؤذى مكبث . ٨٠

(ينزل)

مكبث : اذن ، عش يامكدف : فيم خشيتى منك ؟
ولكنى ساجعل الحِرْز حِرزين ،
واستكتبُ القَدَر تعهدا : لا ، لن تعيش ، (٩)

---

(٨) لأنه في عـــذاب .

(٩) مكبث لا يعلم أن مكدف ليس في عداد من هم وليدون لامرأة ، فيطمئن إلى أن مكدف لن يؤذيه . ولكنه سيجعل الحرز حرزين ، بأن يقتل مكدف ، فيجعل القدر بذلك يتعهد بأن أحداً لن يؤذيه ، فيكون إطمئنانه مزدوجاً .

لكيما اقول للخوف الشاحب القلب انه يكذب ،
وانام رغم جلجلة الرعود .
(رعد . الطيف الثالث : طفل متوّج في يده شجرة)
ماهذا الذي
ينبجس وكأنه نســل الملوك ،
ويلبس على جبينه الطفلي
دائرةَ الســؤدد وقمتَه ؟

الساحرات معا : أصْغِ ، ولا تتكلم اليه .

طيف ٣ : كن هصورا ، متكبرا ، ولا يهمنك
من يتشكى ، من يتذمر ، او اين يلتقي المتآمرون :
مكبث لن يُقهر ابدا حتّى
تزحف عليه غابة بيرنام العظيمة
الى قلعة دنسينان العالية .

(ينزل)

مكبث : وذلك لن يكون .
من يستطيع زحزحة الغاب ، او أمر الشجرة
بأن تقلع جذرها المشدود بالتّراب ؟ يانذائرَ عــذبةً
طيبــة !
ايها الموتى المتمردون ابدا لن تقوموا ، حتّى تتحرك
غابة بيرنام ! ومكبث رفيعَ المقام سيحيا
أجلَ الطبيعة ، واهبا أنفاســه
للزمن وما اعتاده الناس من موت . ــ ولكن قلبي ١٠٠
يخفق لمعرفة امر واحد : اخبرني (ان كان لفنكن

ان يعلم) ، هل ستحكم ذرية بانكوو أبدا
في هــذه المملكة ؟

معــا : معرفة المزيد لا تطلبها !

مكبث : بل أُصر ! ان تحرمني هذا
الا حلت بكن لعنة ابدية ! أعلمني . —
لمــاذا تفور تلك القدر ؟ ما هذه الموسيقى ؟

(مــزامير)

ساحرة ١ : عرض !

ساحرة ٢ : عرض!

ساحرة ٣ : عرض !

معــا : اعرضوا لعينيه ، وقلبه افجعوا ،
كالظلال تعالوا ، وكالظلال ارجعوا .
عرض يتقدم فيه ثمانية ملوك ، آخرهم
يحمل مــرآة بيده ، يتبعهم بانكوو

مكبث : ما اشبهك ببانكوو ! فلتسقط !
تاجك يسفع مقلتيّ : وشعرك
ايها الجبين الاخر المطوق بالذهب ، كالاول . —
والثالث كسابقه . — يا اقــذر الشمطاوات !
فيم تُريني هذا ؟ ورابع ؟ — ياعينيّ ، انتفضا !
ماذا ! اسيمتد الخط حتى يوم القيامة ؟
وآخر بعد ؟ — اسابع ؟ لن ارى المزيد .
وهذا ثامن يظهر ، يحمل مــرآة
تريني العديد المزيد . . . وبعضا ارى ١٢٠

يحمل كرتين اثنتين وصوالج ثلاثة .(١٠)
يا للمنظر الرهيب ! — أرى الآن الصدق في هذا كله :
لان بانكوو ، بشعره المشعث المدمى ، يبتسم لي ،
ويشير اليهم بأنهم ذريته . . . ها ! أهكذا الأمر ؟

ساحرة ١ : اجل مولاي ، هكذا الامر كله . ولكن لماذا
يقف مكبث مبهوتا هكذا ؟
هيّا بنا نشرح صدره
ونعرض له اجمل إمتاعنا .
سأسحر الهواء فيعزف ،
ونرقص اغرب رقصاتنا ،
عسى الملك العظيم هذا يقول لطفا ١٣٠
ان واجباتنا كفء لترحابه .
(موسيقى . ترقص الساحرات ، ثم يختفين)

مكبث : اين هن ؟ تلاشين ؟ — فلتبق هذه الساعة الذميمة
ملعونة ابدا في تقويم الزمن !
ادخل ، انت الذى في الخارج هناك !
(يدخل لينوكس)

لينوكس : ما مشيئة جلالتكم ؟

مكبث : هل رأيت اخوات القدر ؟

---

(١٠) تشير الكرتان إلى التتويج المزدوج الذي حلي به الملك جيمز الأول ، عند توحيد اسكوتلنده وإنكلتره ، في « سكون » (باسكوتلنده) وويستمنستر (بلندن) ، عام ١٦٠٣ . أما الصوالج الثلاثة فتشير إلى الصولجانيين المستعملين في التتويج الإنكليزي ، والصولجان المستعمل في التتويج الاسكوتلندي .

لينوكس : لا يامولاى .

مكبث : الم يمــررن بك ؟

لينوكس : قطعا لا ، يامولاى .

مكبث : موبوء هو الهواء الذى يمتطينه ،
ومِلعون كل من فيهن يثق ! ــ سمعت
خبب حصان . من الذى جاء هنا ؟

لينوكس : اثنان او ثلاثة ، يامولاى ، يحملون لك رسالة
بأن مكدف قد هــرب الى انكلتره .

مكبث : هــرب الى انكلتره ؟

لينوكس : نعم ، مولاى ، الكريم .

مكبث : (جانبيا) أيها الزمن ، إنك تستبق افعالي الرهيبة .
الغاية الخثيثة لا يلحق أحدٌ بها
اذا ما الفعل رافقها . منذ اللحظة هذه ،
سيكون اولُ خاطر في قلبي
اولَ ما في يدي . وفي هذه الساعة بالذات
لكيما اتوج كل فكر لي بفعل : لن افكر الا لأنفّذ .
قلعة مكدف سأفاجئها ، 150
وأصادر فايف ، وأعطي حد السيف
زوجته ، واطفاله ، وكلَّ روح شقية
هي من صلبه . لن اتفاخر كالأحمق . .
هذا الفعل سأفعله ، قبل ان يبرد العزم .
كفى مشاهد ! ــ اين هم هؤلاء السادة ؟
هيا ، خذني اليهم .

(يخرجان)

المشهد الثاني

فايف . غرفة في قلعة مكدف

تدخل ليدى مكدف ، وابنها ، وروص

ليدى مكدف : ما الذى فعل ممـــا يستوجب هربه من البلد ؟

روص : عليك بالصبر ، سيدتي .

ليدى مكدف : هو لم يصبر قط :
كان هربه جنونا . عندما لاتجعل منا افعالنا
خونة ، فان مخاوفنا تجعلنا كذلك .

روص : انت لا تدرين
اخوفه ام حكمته هي الدافع .

ليدى مكدف : حكمته ! ان يترك زوجته ، ان يترك اطفاله .
وقصره ، وكل ما يملك ، في مكان
يهرب هو منه ؟ انه لا يحبنا .
فهو تعوزه اللمسة الطبيعية . فالبغاث المسكين ،(١١)
اصغر العصافير كلها ، حين تكون ١٠
فراخه في العش ، يقارع البوم .
الكل هو الخوف ، واللاشىء هو الحب . (١٢)
وما اقل الحكمة حين يكون الهرب
خارجا على كل عقل .

---

(١١) في الأصل : « الصعو » ، وهو طائر صغير جداً .

(١٢) قارن ما جاء في « رسالة القديس يوحنا الأولى » ٤ ، ١٨ : « لا خوف في المحبة ، بل المحبة الكاملة تنفي الخوف إلى خارج ، لأن الخوف له عذاب ، والخائف غير كامل في المحبة » .

روص : يا ابنة عمي العزيزة ،
ارجوك ، اضبطي نفسك . اما زوجك ،
فانه نبيل ، وحكيم ، ومدرك ، ويعرف جيدا
نوبات المواسم . لا أجرأ على قول المزيد :
غير ان الزمان قاسٍ عندما نكون خونة
ونحن لا نعلم ، عندما نمسك بالاشاعة
مما نخاف ، ونحن لانعلم ما نخاف ،
بل على بحر هائج عنيف نطفو
في كل اتجاه ، ونتحرك — اسمحي لي بالذهاب :
لن اطيل غيابي ، بل سأعود ثانية .
الامور ، في اسوأ الاحوال ، ستكف ، اوتصعد
الى ما كانت عليه من قبل . — ابنة عمي الجميلة ،
بركات الله عليك !

ليدي مكدف : (مشيرة الى ابنها) له أب ، ولكنه بغير أب .

روص : شديد الحماقة انا ، واذا اطلت المكوث
فانني سأشين نفسي ، واحرجك . (١٣)
استأذنك في الحال . . .

(يخرج)

ليدي مكدف : ولدي ، ابوك مات : ٣٠
فما الذي ستفعل الان ؟ كيف تعيش ؟

الابن : كما تعيش العصافير .

ليدي مكدف : ماذا ، اعلى الديدان والذباب ؟

---

(١٣) أي بالبكاء .

الابن : أعني بما احصل عليه ، مثلها .

ليدى مكدف : ايها العصفور المسكين ! لن تخشى الشبكة ، اوالدبق ، لا الفخ ، ولا المصيدة .

الابن : ولِمَ أخشاها يا أماه ؟
انها لا توضع للعصافير المسكينة .
وأبي لم يمت ، رغم كل ماتقولين .

ليدى مكدف : بلى ، لقد مات . ما الذى ستفعل بلا أب ؟

الابن : بل ما الذى ستفعلين انت بلا زوج ؟

ليدى مكدف : بوسعى ان اشترى عشرين زوجا في اى سوق .

الابن : اذن تشتريهم لتبيعيهم من جديد .

ليدى مكدف : تتكلم بكل ذكائك .
وهو حقا ذكاء كاف لمن في سنك .

الابن : هل كان ابي خائنا ، يا أماه .

ليدى مكدف : اجـــل .

الابن : من هو الخائن ؟

ليدى مكدف : هو الذى يُقسم ويكذب .

الابن : وهل كل من يفعل ذلك خائن ؟

ليدى مكدف : كل من يفعل ذلك خائن ويجب ان يشنق . ٥٠

الابن : وهل يجب أن يشنق كل الذين يقسمون ويكذبون ؟

ليدى مكدف : كل واحد منهم .

الابن : ومن يجب ان يشنقهم ؟

ليدى مكدف : الرجال الشرفاء .

الابن : اذن فالكذابون والمقسمون حمقى . لان هناك من الكذابين والمقسمين مايكفي للتغلب على الشرفاء ، وشنقهم .

ليدى مكدف : آه ، كان الله في عونك ، ياقردى المسكين ! ما الذى ستفعل بلا أب ؟

الابن : لو كان قد مات ، لبكيت انت عليه . واذا لم تبكي عليه ، فان ذلك دليل طيب على انني قريبا ساحظى بأب جـــديد .

ليدى مكدف : ثرثارى المسكين ، ما اعذب كلامك !

يدخل رســـول

رســـول : السلام عليك ، ايتها السيدة الحسناء ! انا غير معروف لديك ،
ولو ان منزلتك النبيلة معروفة تمـــاما لدى .
اخشى ان خطرا مايدنو حثيثا منك .
فان تأخذى بنصيحة رجل متواضع ،
لا تتواجدى هنا . ارحلي ، مع صغارك .
احسب انني مغال في الوحشية ، اذ ارعبك هكذا .
اما ان افعل ماهو اسوأ فهو القسوة الشنيعة . ٧٠
وهي التي تكاد تُلمّ بك . حفظتك السماء !
لا أجـــرأ على البقاء اكثر .

(يخـــرج)

ليدى مكدف : أين أهرب ؟
لم أسيء الى احد . ولكنني اذكر الان
انني في هذا العالم الارضي حيث الاساءة
كثيرا ما تُمتدح ، وفعل الخير يُعتبر احيانا
حماقة خطرة . فيم اذن ، وا اسفاه !
أدفع عني دفاع المرأة
اذ أقول ، لم أسيء الى أحد ؟
ما هذه الوجوه ؟
يدخل قتلة

قاتل : اين زوجك ؟

ليدى مكدف : ارجو ، الا يكون في مكان خلا من القدسية
فيستطيع رجل مثلك ان يلقاه

قاتل : انه خائن .

الابن : تكذب ، ياانذلا غليظ الشعر !

قاتل : هاك ، يابيضة ! (يطعنه)
يافرخ الخيانة !

الابن : قتلني . اماه .
أرجوك ، اهربي !

(يموت)

(تخرج ليدى مكدف وهي تصيح « قتلة ! »
والقتلة يلحقون بها) .

المشهد الثالث (١٤)

انكلتره . غرفة في قصر الملك

يدخل مالكولم ومكدف

مالكولم : لنبحث عن ظل بائس مهجور ، وهناك
فلنفرغ بكاء ما في الصدر الحزين منا .

مكدف : بل أحرى منـــا
ان نقبض السيف القاتل بشدة ، وككرام الرجال
نصمد في الدفاع عن مسقط رأسنا الجريح . في كل
صباح جـــديد
تنوح ارامـــل جديدات ، ويزعق ايتـــام جـــدد ،
وويلات جديدة
تصفع وجه السماء ، فترجّع السماء
كأنها تشعر مع اسكوتلنده ، صارخة
ألفاظ حـــزن ممـــاثلة .

مالكولم : ما أصدّق ، ســـأندبه .
وما اعرف ، سأصدقه . وما استطيع تقويمه
حين اجد الزمن المواتي ، سأقوّمه . ١٠
ما حدثتني به ، قد يكون كما قلت ، ربما .
هذا الطاغية الذى مجرد اسمه يَبْثُر اللسان منا ،

---

(١٤) يقول نايتس : « إرتياب مالكولم ، وإستمراره طويلا في إمتحان مكدف ، يؤكدان تزعزع الثقة الذيإنتشر عن الشر المركزي في المسرحية . ولكـن الغرض الرئيسي من هذا المشهد قد لا يبين واضحاً إذا لم ندرك أنه يؤدي وظيفة الكورس ، إذ في الحوار بين الشخصين يتم النص الصريح على تفاقم الشر الذي سببه مكبث » .

كان يُحسب يوما شريفا : لقد احببتَه أنت جدا ،
وهو لم يمسّك بعد . انا في مقتبل العمر ، ولعل ثمة شيئا
قد تستحقه منه عن طريقي ، والحكمة هي
ان تضحّي بحمل بريء ، ضعيف ، مسكين ،
لترضية إلهٍ غضوب .

مكدف : أنا لست بخائن .

مالكولم : ولكن مكبث خائن .
والشيمة الكريمة الفاضلة قد تنثني
بأمر ملكي . غير انني استمحيك المغفرة :
ما انت عليه لن تستطيع افكاري تحويله .
الملائكة مازالت تشع ، ولو ان اشدها اشعاعا قد سقط . (١٥)
فلئن تلبس الدمائم سيماء الجمال
فلا بد للجميل ان يبدو جميلا .(١٦)

مكدف : لقد ضيعتَ آمالي .

مالكولم : ربما حيث وجدت انا شكوكي :
لماذا غادرتَ بغير حمايةٍ زوجتَك وولدك
(وفيهما اعز الدوافع وأقوى روابط الحب)

---

(١٥) إبليس رئيس الملائكة سقط ، حين تمرد على الله .

(١٦) يريد أن يقول : « مظهرك الفاضل ليس دليلا على أنك خائن. لأن الفضيلة لا بد لها أن تبدو في مظهرها الفاضل ، رغم أن الشر الدميم قد يزيف مظهره بسيماء الجمال . فالشيطان الذي كان يشع قد سقط ، ولكن الملائكة مازالت على إشعاعها » .

دونما وداع ؟ — أرجوك ،
لاتجعل من شبهاتي لوثة لشرفك . ،
بل مأمنا لي انا : قد تكون صادقا حقا ٣٠
مهما ظننت .

مكدف : انزف ، انزف ، ايها الوطن المسكين !
ايها الطغيان الكبير ، وطّد أسُسَك ،
لان الفضيلة لاتجرأ على كبحك ! تمتع بمغانم ظلمك ،
فحقك قد ثبت ! — وداعا ، يامولاى .
لن اكون الوغد الذى تظن
حتى لو أُعطيتُ كلَّ ما في قبضة الطاغية من مكان ،
والشرقَ الغنيَّ إضافةً اليه .

مالكولم : لا تنجرِحْ كرامتك .
إني لا أتحدث عن خوف مطلق منك .
اعتقد ان بلدنا ينـوء تحت النير .
انه يبكي ، انه ينزف . وفي كل يوم جديد
يضاف جرح عميق ، الى جروحه . واعتقد كذلك
أن ثمـة أيدٍ ما سترتفع دفاعا عن حقي .
وهنا يعرض علي ملك انكلتره الكريم
بضعة آلاف من الرجال . ولكن ، رغم هذا كله .
عندما أطأ رأس الطاغية بقدمي ،
او ارفعه بسيفي ، فان بلدى المسكين
سيُبتلى برذائل اكثر ممـا سبق .
وتزداد معاناته ، وبطرق شتى اكثر من اى وقت مضى ،
على يد الذى سيخلفه .

مكدف : ومن سيكون ؟

مالكولم : إياى أعني ، وفي نفسي اعرف أن ٥٠
جزئيات الرذيلة كلها قد طُعِّمَتْ ،
فاذا ما تفتحتْ ، فان مكبث على ســواده
سيبدو نقيا كالثلج ، وسترى فيه
الدولة البائســةُ حَمَلاً ، حين يقاس
بَسوْءاتي التى لاحدود لهـا . (١٧)

مكدف : في جحافل جهنم الرهيبة نفسها
لن يجيء شيطان اشد لعنة
بشروره ليبزْ مكبث .

مالكولم : أُسلّم جدلا بانه دمــوى ،
شهواني ، جشع ، غدار ، مخادع ،
عجول ، حقود ، فيه خلة من كل خطيئة
يمكن ان تسمى . اما انا فلا قرار ، لاقرار ،
لفجورى : لا زوجاتكم ، ولا بناتكم ،
لا عذاراكم ، ولا ثيباتكم ، بقادرات ان يملأن
بئر شبقى . ورغبتى
لسوف تتخطى كل عائق عفيف
يحول دون شهوتي . فالافضل ان يحكم مكبث
من ان يحكم رجل مثلى .

مكدف : الافراط الذى لايحــد ،

---

(١٧) هنا يسترسل مالكولم فينسب إلى نفسه كل الشرور التي هي ، بالطبع ، شرور الطاغية ، والتي يجعلها شكسبير نقيض الصفات التي يجب أن يتحلى بهـــا الحاكم العـــادل .

طغيان في طبيعة المرء ، وهو كثيرا ما سبب
فراغ العرش السعيد قبل آوانه ،
وسقوط العديد من الملوك . ومع ذلك ، لاتخشَ
ان تأخذ لنفسك ماهو حقك : ٧٠
لك ان تتمتع في الخفاء بملذاتك بوفر عريض ،
وتبدو مع ذلك باردا — وتخادع الزمن .
ولدينا مايكفي من نساء راضيات . . . يستحيل
ان يكون فيك ذلك العقاب الذى يلتهم العديد
ممن سيكرسون انفسهم للمجـــد
حين يجدونك ميالا لا لتهامهم .

مالكولم : والى هذا ، ثمـــة يتنامى
في مزاجي الشيّىء التركيب جـــدا
جشع لا يشبع ، بحيث انني ، ان كنت ملكا ،
سأقضي على النبلاء طمعا في اراضيهم ،
وسأطمع في مجوهرات هذا ، ودار ذاك ،
وحصولى على المزيد سيغدو مشهيا
لا سترادة نهمى ، وسأختلق
الخصام دونما حق مع ذوى الطيبة والولاء ،
مدمرا اياهم من اجل اموالهم .

مكدف : هذا الجشع
اعمق بعدا ، وينمو بجذر اشدّ دمارا ،
من شبقٍ كصيف عابر . (١٨) ولقد كان دوما
هو السيف الذى قتل ملوكنا . ومع ذلك ، لاتخف .

---

(١٨) مع « الشتاء » من عمر المرء ، يتلاشى الشبق ، أما الجشع فيبقى .

في اسكوتلنده من الوفرة ما يفي بشهوتك
حتّى من محض املاكك انت . وهذه كلها محمولة
إن هي وازَنَتها حَسَنَاتٌ اخرى . ٩٠

مالكولم : ولكن لاحسنات لى : فالحسنات القمينة بالملك ،
كالعدالة ، والصدق ، والاعتدال ، والاتزان ،
والكرم ، والمثابرة ، والرحمة ، والتواضع ،
والحنو ، والصبر ، والشجاعة ، والجَلَد —
لامذاق فيّ لهـا . غير انني اعجّ
بتقاسيم كل جريمـة ،
أودى كلا منها بطرق عديدة . . . بل انني ، لـو
كان لى السلطان ،
لصببت حليب الوفاق العذب في الجحيم ،
وقذفت سلام الكون الى الشغب ، وفصمت
كل وحـدة على الارض .

مكدف : وا بلداه ! واسكوتلنده ! ١٠٠

مالكولم : ايصلح رجل كهذا للحكم ؟ تكلّم .
أنا كما وصفت .

مكدف : ايصلح للحكم ؟
لا ، ليس يصلح حتّى للحياة . — يا أمة شقية !
متى ، وقد استبد بك طاغية لاحق له ، صوبجانـه
الـدم ،
متى سترين ايام صفائك مرة اخرى ،
مادام خليفة عرشك الأحَقّ
يقف متهما نفسه طالبا الحجر عليها ،

ويشنّع محتده ؟ — كان ابوك
ملكا قديسا : والملكة التى حملتك
كانت تموت كل يوم تعيشه
على ركبتيها اكثر منها على قدميها .
الوداع !
هذه الشرور التى تعددها بحق نفسك
هى التى نفتنى من اسكوتلنده . — آه ياصدرى ،
هنا ينتهى أملك !

مالكولم : مكدف ، لوعتك النبيلة هذه ،
وليدة الامانة ، محت من نفسى
كل ريبة سوداء ، وصالحت بين أفكارى
وبين صدقك وشرفك . فالشيطاني مكبث
حاول بالعديد من هذه المكائد ان يكسبنى ١٢٠
ليوقعنى في قبضته ، والحكمة الرصينة تصدّني
عن العجلة المغالية في التصديق . ولكن الا حكم الله
في عليائه بينى وبينك ! فاني في هذه اللحظة بالذات
اجعل نفسى رهن توجيهك ،
وانقض ذمّى لنفسى . اني هنا انكر
اللوثات والسيّئات التى نسبتها الى نفسى ،
فهى غريبة عن طبعى . فانا حتّى الآن
لم تعرفنى امرأة ، لم احنث بيمين قط ،
أكاد لا أطمع حتّى في ما هو مُلْكُ يدى ،
ولم انقض يوما عهدى لاحد : اني لن اخون
الشيطان لزميله ، وسرورى بالصدق

لا يقل عن سروري بالحياة . وأول مانطقت زورا
كان هذا الذى اتهمت به نفسى . . . اما الذى هـــو
فعلا انا

فهو لك ولبلدى المسكين ان يأمره :
والى هناك ، في الواقع ، قبل قدومك هنا ،
يستعد للتوجه شيخنا سيوارد ،
على رأس عشرة آلاف محارب كامل الأهبة .
والآن ، سنذهب معا . الا جعل الله فرصة النجاح
بحجم صراعنا المشروع . لماذا أنت صامت ؟

مكدف : ما اصعب التوفيق
بين امور كهذه افرحتني وغاظتني معا !
(يدخل طبيب)

مالكولم : حسنا . المزيد قريبا .
(للطبيب) هل الملك قادم ، أرجوك ؟ (١٩) ١٤٠

طبيب : اجل ، سيدى . هناك جماعة من التعساء
ينتظرون منه الشفاء . داؤهم قد أعيا
اعظم محاولات الطب ، غير انهم ، حين يلمسهم —
وقد حبا الله يده بالقدسية —
يبرأون في الحال .

---

(١٩) يرى البعض أن هذا المقطع (من دخول الطبيب حتى دخول روص) أقحمه شكسبير ، على الأرجح ، ارضاء للملك الأول ، ولو أن قدسية الملك هنـــا ، دراميا ، تقابل شرانية مكبث ، وتهيىء الهدوء الذي سيتبعه الخبر الفاجـــع الذي يأتي به روص . يذكر المؤرخ هولينشد أنه كان من المعتقد أن الملك « أدوارد المعرف » فيه شيء من روح النبوة ، وقدرة على شفاء المصابين بمرض يسمى « مقام الملك » ، وأن بعض هذه القدرة أورثها خلفاءه من ملوك إنكلترة .

مالكولم : شكرا ، ايها الطبيب . (يخرج الطبيب)

مكدف : ما المرض الذى بعينيه ؟

مالكولم : انه يسمى « بالسقام » :

عمل معجز حقا لهذا الملك الصالح

شاهدته منذ مكوثي هنا في انكلتره

يقوم به . كيف يضرع الى السماء ، ١٥٠

ذلك امر هو اعلم به . غير ان اناسا غريبي العلل ،

كلهم اورام وقروح ترثي لها العين ،

وتيأس منها الجراحة ، يُبرئهم ،

بأن يقلّدهم دينارا ذهبا حول العنق

يشفعه بالصلوات والأدعية . ويقال

إنه سيورث الملوك الذين يخلفونه

بركة الشفاء هذه . والى هذه القدرة الغريبة

فانه يملك موهبة سماوية للنبوة ،

وثمـة بركات شتى تحيط بعرشـه

وتفصح عن امتلائه بنعمة الله .

(يدخل روص)

مكدف : انظر من القادم هنا . ١٦٠

مالكولم : انه مواطني . ولكنني لا أعرفه .

مكدف : ابن عمي الكريم ، مرحبا بك هنا .

مالكولم : الآن عرفته ! الا عجّل الله بازالة

الموانع التي تجعل منا غرباء !

روص : مولاى ، آمين .

مكدف : هل اسكوتلنده على ما كانت عليه ؟

روص : أسفي على البلد المسكين !
يكاد يفزع من معرفة نفسه . ليس لنا
ان ندعوه أرضَنا الام ، بل قبرَنا . حيث لا شيء
أبدا يبتسم ، الا الذى لايعرف شيئا .
حيث الحسرات ، والحشرجات ، والزعقات التي
تمزق الهواء ،
تنطلق ، ولا تلاحَظ . حيث عنيف الحزن يبدو
وكأنه بلاء مبتذل : فناقوس الموتى
يكاد لا يسأل احد لمن يُقرع ، وحياة الطيبين
تقضي قبل الأزاهير التي في قبعاتهم ،(٢٠)
اذ هم يموتون قبل ان يأخذهم المرض .

مكدف : يا للوصف ،
أدق ، وأصدق ، من ان يُحتمل !

مالكولم : وما احدثُ الفواجع ؟

روص : اذا رويتَ الفاجعة بعد ساعة ، استسخفوك —
فكل دقيقة حبلى بجـــديدة .

مكدف : كيف حال زوجتي ؟

روص : والله ، لابأس .

مكدف : واولادى جميعا ؟

روص : لابأس ، ايضا .

مكدف : لم يقتحم الطاغية عليهم سلامهم ؟

---

(٢٠) جزء من الزي الاسكوتلندي التقليدي ، قبعة فيها زهرة جبلية .

روص : لا ، فقد كانوا في سلام عندما غادرتهم .

مكدف : لا تتباخل في كلامك . كيف الامور ؟ ١٨٠

روص : عندما جئت هنا لأنقل النبأ الذي
حملته عبئا ثقيلا ، جرت شائعة
تقول ان العديد من كرام الناس قد اعلنوا العصيان .
وقد كان الشاهد عليها ، لكي اصدقها ،
اني رأيت جيش الطاغية يتحرك .
ساعة العون هي الان . (لمالكولم) عينك في اسكوتلندة
لسوف تخلق الجند ، وتجعل نساءنا يحاربن
لكي يخلعن عنهن آلامهن المرعبة .

مالكولم : فليكن عـــزاؤهم
اننا قادمون هناك . ملك انكلتره الكريم
اعارنا سيوارد الباسل ، وعشرة آلاف رجل . ١٩٠
ولن يعلن العـــالم المسيحي
عن جندي افضل او اكثر مراســـا .

روص : ليتني استطيع الاجابة على
هذا العزاء بعزاء مماثل ! ولكنّ بي كلماتٍ
تود لو تنطلق عويلا في الفضاء القفر
حيث لن يُمسك بها سَمْعُ انسان .

مكدف : ما مفادها ؟
القضية العامة ؟ ام حـــزن خاص
موئله صـــدر واحد ؟

روص : ما من نفس شريفة

الا ولها فيه حصة من اسى ، ولو ان معظمه
يخصك انت .

مكدف : إن يَخُصَّني انا ،
فلا تحجبْهُ عني . أفضِ به اليَّ بسرعة . ٢٠٠

روص : لا تدع اذنيك تحتقران لساني الى الابد
لانه سيسمعهما افجع صوت
سمعاه أبدا .

مكدف : هـه ! حـزرته !

روص : قلعتك فوجئت ، وزوجتك وأطفالك
بوحشية ذُبحوا : اما ان اروى كيف ،
فانه يعني ان اضيف الى مصرع هؤلاء الظباء
مصرعك انت .

مالكولم : يا رحمة السماء !
ماذا يارجل ! لاتنزل قبعتك على جبهتك :
هب الحزن كلمات . فالفجيعة التي لا تنطق
انما تهامس القلب الفائض ، وتأمره بان يتحطم .

مكدف : واولادى ايضا ؟

روص : زوجتك ، واولادك ، وخدمك ، وكل من
عثروا عليهم .

مكدف : وانا غائب !
زوجتي قتلت ايضا ؟

روص : كما قلت .

مالكولم : لك العـــزاء
لنجعل من انتقامنا العظيم دواء
يشفي هذا الحزن القاتل .

مكدف : لا اولاد له . ـــ اطفالي الجميلون كلهم ؟
هل قلت كلهم ؟ ـــ يا حدأة الجحيم ! ـــ كلهم ؟
ماذا ، افراخي الجميلون كلهم ، وأمهم ،
بانقضاضة عاتية واحدة ؟

مالكولم : قارِعْها كرجل .

مكدف : ســأفعل . ٢٢٠
ولكنني اشعر ايضا كرجل .
وهل لي الا ان اتذكر ما كان لي ـــ
ما كان أثمن ما في الحياة لي . ـــ هل أبصرت السماء ذلك
ورفضت ان تدفع عنهم ؟ ـــ ايها الخاطيء مكدف !
مصرعهم جميعا من اجلك . انا اللا شيء ،
لا لآثامهم ، بل لآثامي انا ،
وقعت المجزرة على ارواحهم : أراحتهم السماء الآن !

مالكولم : ليكن هذا حجر المسن لسيفك . دع الحزن
ينقلب الى غضب . لا تثلم القلب ، بل هج غضبه .

مكدف : آه ، لكان بوسعي ان العب دور المرأة بعينيّ ٢٣٠
ودور المتبجح بلساني . ـــ ولكن ، ايتها الســـماء
الخيّرة ،(٢١)

---

(٢١) كان في عهد شكسبير قانون يمنع الممثلين من إساءة إستعمال إسم الجلالة ، أو إسم المسيح ، أو الروح القدس، كما يمنعهم من ذكر هذه الأسماء بصحبة مـا

اختصرى كل تأخير ! جيئيني
بهذا الابليس الاسكوتلندي وجها لوجه معي ،
ضعيه في مدى السيف مني ، فاذا نجا
سامحته السماء هو ايضا !

مالكولم : هذه نقمة الرحال .
هيا بنا الى الملك . جيشنا جاهز .
مابنا حاجة الا للاستئذان .
مكبث حان قطافه ، والقوى العلوية
ترتدى سـلاحها .
تقبل من البشر ما تستطيع .
طويل" هو الليل الذى لن يطلع النهار عليه .

(يخرجون)

--

" - يوحي بالتفكه أو الاثم . الكلمة الشكسبيرية هنا ، على الارجح ، هي « الله » في الأصل ، غير أن الممثلين استبدلوها بكلمة السماء ، خوفاً من عقاب القانون ، كانت الغرامة عشرة جنيهات عن كل مرة يقع فيها ذكر الله في مثل الحالات المنصوص عليهـا .

الفصل الخامس

المشهد الاول

دنسينان . غرفة في القلعة

يدخل طبيب علاج وسيدة وصيفة

طبيب : لقد سهرتُ ليلتين معك ، ولا استطيع ان اتبين اى صدق فيما اخبرتني . متى كانت آخر مرة مشت فيها؟

سيدة : منذ ان ذهب جلالته الى الميدان ، رأيتها تنهض من فراشها ، تلقي بمنامتها على جسمها(١) ، تفتح خزانتها ، تخرج ورقة ، تطويها (٢) ، تكتب عليها ، تقرأها ، وبعد ذلك تختمها ، ثم تعود ثانية الى الفراش : هذا كله وهي في نوم عميق جدا .

طبيب : انه لخلل كبير في البدن ، ان يتلقى فائدة النوم ، وفي الوقت نفسه يؤدى افعال اليقظة ! في هذا الاضطراب السباتي ، فيما عدا مشيها والحركات الفعلية الأخرى ، ما الذى في اى وقت سمعتها تقول ؟ ١٠

سيدة : امور ياسيدى لن اخبر عنها .

طبيب : لك ان تخبريني انا ، بل من الضرورى جدا ان تفعلي .

---

(١) في المسرحية أكثر من إشارة تدل على أن مكبث وزوجته ينامان في الفراش عاريين . ويبدو أنها كانت عادة شائعة .

(٢) أي تطوى الحاشية منها لتحدث فيها هامشاً .

سـيدة : لا أنت ، ولا غيرك ، دون ان يكون لدى شـاهد يثبت ما اقول .

تدخل ليدى مكبث ، بيدها شمعة

انظر ! ها هي مقبلة . هذا هو غرارها بالضبط . وهي وحقِّ حياتي نائمة نوما عميقا . راقبها . إخفِ نفسك .

طبيب : من اين لها ذلك النور ؟

سـيدة : انه موجود بقربها . فهي تجعل نورا بجانبها باستمرار . انه أمْرٌ منها .

طبيب : اترين ، عيناها مفتوحتان .

سـيدة : نعم ، ولكن حسهما مغلق .

طبيب : ما الذى تفعله الان ؟ انظرى كيف تفرك يديها .

سـيدة : من عادتها ان تفعل هذا ، وتبدو أنها تغسل يديها . وجدتها احيانا تفعل هذا لربع ساعة .

ليدى مكبث : مازالت هنا بقعة . ٣٠

طبيب : اسمعي ! انها تتكلم . سأدوّن ما يبدر عنها . لأدعم ذاكرتي دعما أقوى .

ليدى مكبث : زولي ، ايتها البقعة اللعينة ! أقول ، زولي ! — واحدة ، اثنتان (٣) : هه ، اذن حان الوقت لفعلها. — جهنم مظلمة . — عيب ، مولاى ، عيب ! أجنديٌّ ومذعور ؟ — لمَ نخشى من يعرفها ، حين لن يكون

---

(٣) ليدي مكبث تتخيل أنها تسمع الساعة تدق .

ثمة من يستدعي سلطتنا للحساب ؟ — ولكن من كان يظن ان هذا الشيخ فيه هذا الدم الكثير ؟

طبيب : هل انتبهت لذلك ؟

ليدي مكبث : امير فايف كانت له زوجة : اين هي الان ؟ — ماذا ، ألن تنظف أبداً هاتان اليدان ؟ — كفى ، يامولاى ، كفى : انك تفسد كل شيء بانتفاضك هذا . ٤٠

طبيب : واه ! علمت ما يجب الا تعلميه !(٤)

سيدة : لقد نطقت مايجب الا تنطق ، انا واثقة . والله اعلم بما هي تعلم .

ليدي مكبث : هنا مازالت رائحة الدم : عطور بلاد العرب كلها (٥) لن يُطَيِّب هذه اليد الصغيرة .
آه ! آه ! آه !

طبيب : يالها من تنهدة ! القلب مشحون ومثقل .

سيدة : لا أريد قلبا كهذا في صدرى ، ولو أُعطيتُ رفعة الجسم كله .

طبيب : طيب ، طيب ، طيب .

سيدة : نرجو الله ان الامر كذلك ، سيدى .

طبيب : هذا المرض لايدركه فني : ومع ذلك فقد عرفت اناسا يمشون في نومهم ، ماتوا طاهرين في فراشهم .

---

(٤) هذه الكلمات ليست موجهة للسيدة الوصيفة .

(٥) كانت بلاد العرب في الآداب الغربية ، منذ عهد الاغريق ، تعتبر بلاد البخور ، وبالتالي بلاد الطيب والعطور .

ليدى مكبث : اغسل يديك ، البس منامتك . لاتبدُ شاحبا هكذا . — اقولها لك ثانية ، بانكوو قد دُفن : لن يستطيع الخروج من قـــبره .

طبيب : أحتى هكذا ؟ ٦٠

ليدى مكبث : الى الفراش ، الى الفراش : هناك قرع على الباب . تعال ، تعال ، تعال ، تعال ، اعطني يدك . ماصُنع لايمكن ان يُنقَض صُنْعُه . الى الفراش ، الى الفراش الى الفراش .

(تخــرج)

طبيب : هل ستذهب الآن الى فراشها ؟

ســيدة : مباشرة .

طبيب : يدور بين الناس تهامس ذميم . الافعال الشاذة

انما تولّد الشواذّ من الهموم : والاذهان اذا وُبئت

اطلقت لوسائدها الصماء اسرارها .

ان بها حاجة الى الكاهن اكثر منها الطبيب . —

الا غفر الله لنا جميعا ! اعتني بها .

ابعدى عنها كل وسائل الاذى ،

وأبقيها دوما تحت ناظريك . تصبحين على خير .

ذهني شــوشته ، وأدهشت بصرى .

افكـر ، ولكن لا أجــرؤ على الكلام .

ســيدة : تصبح على خير ، ايها الطبيب الكريم .

المشهد الثانى

الريف قرب دنســينان .

يدخل ، مع الطبول والبيارق ، منتيث ، كاثنيس ، آنغس ، لينوكس ، وجنود .

منتيث : الجيش الانجليزى قريب ، يقوده قُدُماً مالكولم ، وخاله سيوارد ، ومكدف الشهم .
الانتقام يشتعل فيهم ، لان قضاياهم العزيزة
تثير حتّى اشـــباه الموتى
الى حومة الـــدم والنفير المحموم .

آنغس : سيكون افضلُ لقائنا بهم قرب غابة بيرنام :
أنهم في ذلك الطريق قادمون .

كاثنيس : من يعلم ايرافق دونالبين أخاه ؟

لينوكس : لاشك ياسيدى انه لايرافقه . عندى قائمة
باسماء السادة كلهم : هناك ابن سيوارد ،
وفتية عديدون لم يخشنوا بعد ، يعلنون الآن
اول رجولتهم .

منتيث : وما الذى يفعله الطاغية ؟ ١٠

كاثنيس : لقد عزّز تحصين دنسينان العظيمة .
البعض يقول انه قـــد جُن ، والبعض ممن هم اقـــل كراهية له ،
يسميّ ذلك هوجا شجاعا . ولكن المؤكد
هو انه عاجـــز عن حصر أمرهِ المتفاقم
ضمن نطاق السيطرة .

آنغس : انه يشعر الآن
ان جرائمه الخفية لاصقة بيديه .

في كل دقيقة ثورة تعيب عليه نكثه العهد .
والذين يأمرهم لا يتحركون سوى بالامر ،
لاعن حب . انه يشعر الآن ان لقبه
فضفاض عليه ، كرداء عملاق
على لص قـــزم . ٢٠

منتيث : ومن اذن يلوم
احاسيسه المعتقلة ان هي ثارت وانتفضت
لأنها في دخيلته . وكل مافي دخيلته
يشجب نفســـه ؟

كاثنيس : حسنا . فلنبدأ الزحف .
لنعطيَ الولاء حيث يستحق الولاء .
لنلتقِ بطبيب الامة المريضة ،
ونسكبْ معه تطهيرا وشفاء للوطن
كل قطرة فينـــا .

لينوكس : او مايكفى
لسقى زهرة الشفاء الملكية ، واغراق الدغـــل .
ولنتّجه بزحفنا صوب بيرنام .

(يخرجون في مسيرة)

المشهد الثالث

دنسينان . غرفة في القلعة
يدخل مكبث وطبيب ، ومرافقون

مكبث : لا تأتنى بأى تقرير بعد . فليهربوا جميعا . (٦)

---

(٦) يقصد الأمـــــراء .

الى ان تنتقل بيرنام الى دنسينان ،
لن يخالجنى الفزع . ومن هذا الصبى مالكولم ؟
الم يولد من امرأة ؟ الارواح التى تعرف
عقابيل البشر كلها . قالت لى جهرا :
« لا تخف يامكبث . مامن رجل ولدته امرأة
سيتغلب يوما عليك . » — اذن ، فاهربوا يا أمــراء
خونــة ،
وخالطوا الا بيقوريين الانكليز (٧)
فلا العقل الذى يحكمنى . ولا القلب الذى أحمل ،
سيذوى شكا ، او يرتعد هلعــا . ١٠

يدخل خــادم

سَخَطك الشيطانُ عبداً أسود ،ياوغداً حليبيَّ الوجه!
من اين لك سحنة الاوزة هذه ؟

خادم : هناك عشرة آلاف —

مكبث : اوزة ، يانــذل ؟

خادم : جندى . ياسيدى .

مكبث : اذهب ، وخِزْ وجهك، وموّهْ خوفَك بالاحمر ،
ياولدا زنبقيَّ الكبد . (٨) اى جنود ، يامهرج ؟
موتا لروحك ! خدّاك بلــون الخام
يلقّنان الفزع . اى جنود . ياوجها من لَبَن ؟

---

(٧) يقول المؤرخ هولينشيد : « لم يــكن الاسكوتلنديون فيما مضى يعرفون أو يفهمون الأطعمة الفاخرة أو التخمة المعربدة . . . هذه الكماليات دخلت القطــــر مع الإنكليز . . . . » .

(٨) الكبد الزنبقية البياض من إشارات الجبن .

خادم : الجيش الانكليزى ، لطفـــا .

مكبث : أغرب بوجهك عنى ! (يخرج الخـــادم)

سيتون ! — ييتئس قلبي

عندما ارى — سيتون ! — هذه الواقعةُ ٢٠

سوف تبهجنى ابدا ، او تطيح بي الآن .

حسبي من العمر ما رأيت : طريق حياتي

يهبط بي الى الذبول : الى اصفرار اوراق الشجر .

وما ينبغي ان يقترن بالشيخوخة

من تكريمٍ ، وحبٍ ، وطاعةٍ ، والأصدقاءُ زرافاتٌ ،

عليّ الاّ اتوقعه ، بل اتوقعً عوضا عنه

اللعنات ، لاجَهْوَرية ، بل عميقةً ، والتكـــــريمَ

شفهيا ، والنّفَسَ

مما يود القلب المسكين لو ينكره ، ولا يجرأ .

سيتون ! —

يدخل سيتون

سيتون : ماذا ترغبون جلالتكم ؟

مكبث : هل من جديد ؟ ٣٠

سيتون : كل ماجاء في الأخبار ، يامولاى ، قد تأكد .

مكبث : سأقاتل ، الى ان يُجَرَّدَ لحمى عن عظمى .

اعطني درعى .

سيتون : لم يحن الوقت له بعد .

مكبث : سألبسه .

ارسلوا المزيد من الفرسان ، امشطوا القطر كلـــه .

اشنقوا كل من يتحدث عن الخوف . اعطني درعي.
كيف حال مريضتك ، ياطبيب ؟ (٩)

طبيب : مولاي ، انها ليست مريضة
بقدر ما هي مضطربة بالاخيلة المنهالة عليها ،
والتي تحجب عنها الراحـــة .

مكبث : اشفها من ذلك .
اما بوسعك ان تداوي ذهنا عليلا ، ٤٠
ان تقتلع من الذاكرة حزنا مجذّرا ،
ان تمحو الهموم المدونة في الدمـــاغ ،
وبترياق نسياني عذب
تنظّفَ الصدر المكتظّ من ذلك الحشو الخطر
الذي ينوء بوقرة القلب ؟

طبيب : في حالة كهذه على المريض
ان يداوي نفسه .

مكبث : ارم الدواء للكلاب . اني ارفضه . —
تعال ، البسّني درعي . اعطني صولجاني . —
سيتون ، اصدر الاوامر — ياطبيب ،الأمراء يهربون
مني . —
هيا ، يارجل . اسرع . — إن يكـــن في مقدورك
ياطبيب ، ٥٠
ان تفحصَ أورام بلادي ، وتشخّصَ علتها ،
وتطهّرَها عودةً الى عنفوان الصحة ،

---

(٩) في النص يدخل الطبيب في بداية هذا المشهد . ولكن الأفضل تأخير دخولـه حتى هذه النقطة ، لأن ليس له ما يفعله أو يقوله في القسم الأول من المشهد .

أهتفْ لك حتّى الصدى الذى
سيهتفُ من جديد . ــ اسحبها ، يارجل . ــ
اى راوند . اى سنا . (١٠) اى عقّارٍ مُسْهِل ،
بوسعه اخراج هؤلاء الانكليزْ من هنا ؟ ــ هل سمعت
بهــم ؟

طبيب : نعم يامولاى . استعدادك الملكى
يجعلنا نسمع ببعض الامــور .

مكبث : جيء به خلفى (١١) . ــ
لن اخاف المــوت والتهلكة
حتّى تأتي غابة بيرنام الى دنسينان . ٦٠

(يخــرج)

طبيب : (جانبيا) لوكنت بعيدا وعلى مدى السلامة مــــن
دنسينان
لما اجتذبنى هنا مغنمٌ مرةً اخرى .

(يخرج الطبيب وسيتون)

المشهد الرابع

الريف قرب دنسينان . غابة في مدى البصر
يدخل مع الطبول والبيارق ، مالكولم ، الشيخ
سيوارد وابنه ، مكدف . منتيث كاثنيس ، أنغس ،
لينوكس ، روص ، وجنود . في مسيرة

مالكولم : ياأولاد العم ، ارجو ان قد دنت الأيام

---

(١٠) نباتات لهما مفعول المسهل .

(١١) يقصد بذلك بعضاً من سلاحه .

التى ستكون فيها حجراتنا آمنة سالمـــة .

منتيث : لانشك في ذلك قطعا .

سيوارد : اية غابة هذه التى امامنا ؟

منتيث : غابة بيرنام .

مالكولم : ليقطعْ كل جندى له غصنا ،
ويحملْه امامه : بهذا سنغطى
على عدد جيشنا ، ونجعل المستطلعين
يخطئون في تقريرهم عنـــا .

جندى : ســتنفذ الامــر .

سيوارد : لانعلم الا ان الطاغية الواثق من نفسه
مازال مقيما في دنسينان ، وسيسمح لنا
بحصارها .

مالكولم : هذا امــله الاكبر . ١٠
لان الكبار والصغار ، حيثما وجدوا
فرصة للخروج ، تمــردوا عليه .
ولا يخدمه الا المغلوبون على أمرهم ،
والذين قلوبهم غائبة كذلك .

مكدف : لنترك حكمنا الصحيح
الى ان تبين النتيجة الفعلية ، ولْنَتَحَلَّ
بالجندية المجدّة .

سيّوارد : قريب هو الوقت الذى
سيعلمنا ، بعد النهاية الفاصـــلة ،
ما نقول ألنـــا هذا اليوم ام علينا .

فالتكهنات لاتروي الا آمالا غير مؤكدة ،
اما النتيجة المؤكدة فلن تحسِمَها الا الضربات .
وباتجاهها فلندفع الحرب !   ٢٠

(يخرجون ، في مسيرة)

المشهد الخامس

دنسينان . داخل القلعـــة

يدخل ، مع الطبول والبيارق ، مكبث . سيتون ، وجنود

مكبث : علِّقوا راياتنا على الأسوار الخارجية .
مازالت الصيحة هي : « انهم قادمون ! » قوة قلعتنا
ستضحك هـــزءا من الحصار . فليبقوا هنا
الى ان تلتهمهم المجاعة والحمى .
لو لم يُمَدُّوا بقوات هي قواتنـــا
لقابلناهم بالتحدّي ، لحيةً للحية ،
ورددناهم مهزومين الى بيوتهم . ماهذا الصوت ؟

(صراخ نساء من الداخل)

سيتون : انه صراخ النساء ، مولاي الكريم . (يخرج)

مكبث : لقد كدت أنسى طعم المخاوف .
مـــرّ بي زمن كانت حواسي فيه تجمد
إن انا سمعت زعقةً في الليل وكانت فروة رأسي   ١٠
عند سماعي قصـــةً مرعبة تثـــار وتتحرك .
كأن فيها حياة . لقد أُطعِمْتُ الوانا من الرعب حتى
شبعت :

والهول الذى تعوّدَتْه افكارى القاتلة
لن يستطيع ان يجفلني بعدُ ، مرة واحدة .

(يدخل سيتون ثانيــة)

فيم كانت الصرخة تلك ؟

سيتون : الملكة ، يامولاى ، قد ماتت .

مكبث : لكان حَرِيّا ان تموت فيما بعد :(١٢)
ولكان ثمــة وقت لكلمة كهذه . (١٣)
غدا ، وغدا ، وغدا ،
وكلُّ غدٍ يزحف بهذه الخطى الحقيرة يوما إثْرَيوم ،
حتى المقطع الاخير من الزمن المكتوب . ٢٠
وكل أماسينا قد أنارت للحمقى المساكين
الطريق الى الموت والتراب . الا انطفيء ، ياشمعةً
وجيزة !
ما الحياة الا ظل يمشي ، ممثل مسكين
يتبختر ويستشيط ساعته على المسرح ،
ثم لايسمعه احــد : انها حكاية
يحكيها معتوه ، ملؤها الصخب والعنف ،
ولا تعني أى شيء .

يدخـــل رســـول

---

(١٢) العبارة في الأصل توحي على الأقل بمعنيين إثنين : « كان لا بد لها أن تموت يوماً ما » ، و « كان الأفضل لو تأجل موتها إلى ساعة أفضل من هذه ، لو عاشت حتى تلك الساعة لكان ثمة وقت أشد ملاءمة لكلمة كهذه . » تعدد المعاني في العبارة الواحدة من ميزات شعر شكسبير .

(١٣) أي : « الملكة قد ماتت » .

جئتَ لتعمل لسانك . قِصّتَك ، بسرعة !

رسول : مولاى الكريم ، ٣٠
علىّ ان اخبر بما رأيت
ولكننى لا اعرف كيف اخبر .

مكبث : طيب . تكلم ، يارجـــل .

رسول : فيما كنت اقوم بحراستى على التل .
ارسلت بصرى الى بيرنام ، وفي الحال خُيِّلَ إلى
ان الغابة بدأت تتحرك .

مكبث : كذاب ، وعبد !

رسول : سلط علىّ غضبك ، ان لم يكن الامر كذلك .
لك ان تراها قادمة على مدى اميال ثلاثة .
اقول إنها أجمة تتحرك .

مكبث : ان كنت كاذبا فيما تقول
ستُعلّقُ حيّا على اقرب شجرة ،
الى ان ينكمش جلدك جوعا . وان كنت صادقا ، ٤٠
لن يهمنى لو انت فعلت بي ذلك . —
اني لأجرّ عنان العزم (١٤) ، وأبـــدأ
اشك في كلام الشيطان بلسانين
اذ يكذب كالصدق : « لاتخف ، حتى تأتي
غابة بيرنام الى دنسينان . — » وها غابة بيرنام
تأتي صوب دنسينان . — تسلحـــوا ، تسلحـــوا ،
واخرجوا !

---

(١٤) أي : « ما عدت قادراً على ترك العنان على الغارب لثقتي وعزيمتي » .

فاذا بدا هذا الذى يؤيده ،
لامهرب ثمة من هنا ، لا ولا مكوث كذلك .
بدأت أسأم الشمس ،
واود لو ان هيكل الكون الان يتحطم .
اقرعوا جرس الانذار ! — ياريح هبي ، ويامخلعة أقبلى !
لنموتن ، في الاقل ، والعدة على ظهورنا . ٥٠

(يخرجون)

المشهد السادس

دنسينان ، سهل أمام القلعة
يدخل ، مع الطبول والبيارق ، مالكولم ، الشيخ سيوارد مكدف ، الخ ، وأفراد جيشهم وهم يحملون الأغصان

مالكولم : والآن ، كفى قربا . القوا عنكم سُتُرَكُم الشجرية ،
وابرزوا كما انتم . — خالى العزيز ، انت
مع ابنك النبيل ، ابن خالى ،
ستقود قلب جيشنا الاول : ونحن ومكدف الكريم
سنأخذ على عواتقنا فعل ماتبقى ،
حسب خطتنا .

سيوارد : استودعكم الله . —
لنلقَ جيش الطاغية الليلة ،
ولننهزم ان نحن لم نحسن القتال !

مكدف : لتنطق ابواقنا كلها ! مُدّوها جميعا بالنَّفَس —
هذه الرسل الصاخبة بالردى والدم !

المشهد السابع

دنسينان . موقع آخر من السهل

يدخـــل مكبث

مكبث : لقد اوثقوني بخشبة : فلا استطيع الهرب :
وعليّ كالدب ان اقاتل حتى نهاية الجولة . (١٥)
من ذاك الذى لم تلده امرأة ؟ رجل كذاك
عليّ أن اهاب ، دون ســـواه .
يدخل سيوارد الابن

سيوارد الابن : ما اسمك ؟

مكبث : سترتعب ان سمعته .

سيوارد : أبدا ، حتى لو دعوتَ نفسك باسمٍ ألْهبَ
من أى اسم في الجحيم .

مكبث : اسمى مكبث .

سيوارد : ليس للشيطان نفسه ان ينطق اسما
أكْرهَ منه لاذني .

مكبث : لا ، ولا أرعبَ منه .

سيوارد : تكذب ، ايها الطاغية المقيت : وبسيفى ١٠
سأبرهن على اكذوبتك .

(يتقاتلان ، ويسقط سيوارد الابن قتيلا)

---

(١٥) كان من ألعاب الناس في عهد شكسبير لعبة « تعذيب الدب » ، وذلك بأن يوثق دب بسارية ، ويعطى بعض المجال بطول من الحبل الذي يربطه بالسارية ، وتطلق عليه الكلاب . فيدور ويدور بالحبل حول السارية إلى أن ينتهي مجاله . وكانت اللعبة في « جولات » — كالملاكمة أو المصارعة اليوم .

مكبث : لقد ولدتك امرأة . —

غير ان السيوفَ أَبْسِمُ لها ، والسلاح اضحك منه هزءا ،

اذا اشهرها رجل هو وليد امرأة .

(يخرج)

نفير . يدخل مكدف

مكدف : الجلبة اسمعها من هناك . — ايها الطاغية ، ارنا وجهك .

ان انت قُتلت بضربة من غير سيفى

لن تبارحنى ابدا اشباح زوجتى واولادى .

لا أقدر ان اضرب المشاة البائسين . الذين أُجِّروا

لحمل رماحهم : إمّا أنت . يامكبث .

أو أننى سأغمد سيفى عاطلا ثانية . ٢٠

لم تنلْ ضربةٌ من شفرته .

لابد انك هناك . . .

هذه الضوضاء الكبيرة تنبىء

عن شخص كبير . . . دعينى ياربة الحظ ألقاه !

واكثرَ من ذلك لن التمس .

(يخرج)

يدخل مالكولم والشيخ سيوارد

سيوارد : من هنا ، يامولاى . — القلعة استسلمت بغير عنف .

جماعة الطاغية على الجانبين تقاتل .

والامراء النبلاء يُبدون بسالة في الحرب .

يكاد اليومُ يعلن بنفسه انه لك ،
ولم يبقَ الا القليل .

مالكولم : لقد التقينا اعداءً
يضربون معنا .

سيوارد : سيدى ، ادخل القلعـــة .

(يخرجان . نفير)

المشهد الثامن

موقع آخر من ساحة القتال

يدخل مكبث

مكبث : لمـــاذا عليّ ان العبَ دورَ الاحمـــق الرومـــاني ،
وأمـــوتَ (١٦)
على سيفى انا ؟ مادمت أرى أحياء ، فان الجروح .
تبدو أليَـقَ بهم .

يدخـــل مكدف

مكدف : استدر ، ياكلب الجحيم ، استدر !

مكبث : من دون الرجال جميعهم تجنبتك انت :
ولكن عد ، فان نفسى مثقلة جدا
بدماء أهلك

مكدف : لاكلمات عندى :
إنما صوتي بسيفى ، يانذلا دمويا
تعجز الالفاظ عن وصفك !

---

(١٦) أمثال كاتو ، وبروتس ، وأنطونيو . كان الروماني إذا أدرك أنه قد هزم ، يلقى بنفسه على سيفه ، وينتحر .

(يتقاتلان)

مكبث : انت تضيّع جهدك :
ان كان بوسعك ان تقطع بسيفك الماضي
هواءً لايُقْطع ، استطعتَ نزف دمي . ١٠
إهْوِ بشفرتك على هامات تنجرح ،
اما انا فأحمل حياة مسحورة ، لن تستسلم
لرجل ولدته امرأة .

مكدف : فلتيأس من سحرك ،
ودع الملاك الذى رحت تخدمه (١٧)
يخبرك بان مكدف من رحم امه
انتُزع قبل آوانه .

مكبث : ملعون ذلك اللسان الذى يخبرني بهذا ،
لانه زعزع العنصر الأسْمَى فيّ كانسان .(١٨)
ولا يُصَدِّقَنَّ احد بعد اليوم هذه الشياطين المشعوذة ،
التى تخاطبنا بمعنيين اثنين معا ، ٢٠
تحفظ كلمة الوعد للأذن منّا ،
وتنقضها لرجائنا . لن اقاتلك .

مكدف : اذن سلم نفسك يا جبان ،
وعش عُرْضَةً ومَشْهَدَةً للعصر :
ولسوف نعلّق رسمك على السارية ،
كما نفعل بالنادر من الوحوش ، وتحته نكتب :
« تفرّجوا هنا على الطاغية . »

---

(١٧) يقصد ملاك الشر ، كمقابل لملاك الخـــير .

(١٨) أي : روحه ، أو عقله .

مكبث : لن اسلّم نفسي
لأقبّل الارض امام قدمي الصبي مالكولم ،
وتقذفني الدهماءُ بلعناتها .
رغم ان غابة بيرنام قد جاءت الى دنسينان ،
وانت غريمي الذي لم تلده امرأة ، ٣٠
فاني سأحاول المحاولة الاخيرة : قُدّامَ جسمي
ها انا اقذف ترسي الحربي : تهيأ ، مكدف !
وليكن ملعونا من يصيح اولا : « قف : كفى ! »
(يخرجان وهما يتقاتلان . نفير يتكرر . يدخلان
ثانية يتقاتلان ، ويقع مكبث صريعا .)

المشهد التاسع

داخل القلعة

تراجع . نفير . يدخل ، مع الطبول والبيارق ،
مالكولم ، الشيخ سيوارد ، روص ، امراء ،وجنود

مالكولم : ليت من نفتقد من اصدقاء يصلون سالمين .

سيوارد : لابدّ للبعض من مضيّ . ولكن من هؤلاء الذين
اري امامي ،
لى ان اقول ان يوما عظيما كهذا رخيصا اشتريناه ،

مالكولم : مكدف مفقود ، وابنك النبيل .

روص : ابنك ، يامولاي ، دفع دَيْنَ كل جندي :

لقد عرف من العمر ما بلغ به الرجولة وحسب ،
وما كاد يثبت على ان به بأس الرجال
في الموقع الذى قاتل فيه ولم يتزحزح عنه ،
حتى مات ميتة الرجال .

سيوارد : أمات اذن ؟

روص : نعم ، وجيء به من الميدان . دافعك للحزن
يجب الا يقاس بقـــدره ، لانه حينئذ ١٠
لن تكون له من نهـــاية .

سيوارد : هل كانت جروحه في مُقَدَّمِهِ ؟

روص : نعم ، على الجبين .

سيوارد : اذن ، جنديُّ اللهِ هو !
لو كان لي بنون بعدد شعرات رأسي ،
لمـــا تمنيت لهم ميتة اجمل .
فليكن هذا الناقوس الذى يقرع له .

مالكولم : انه اهل لحِداد اكثر ،
وهذا ما ســـأرتّبه له .

سيوارد : لا ، انه ليس اهلا لحـــداد اكثر .
يقولون انه رحل رحيلا لائقا وســـدد ما عليه :
اذن كان الله معه ! — هنا عزاء جديد يقبل .
يدخل مكدف ، حاملا رأس مكبث

مكدف : سلاما ايها الملك ! لانك الآن ملك . ٢٠

انظر الى رأس المغتصب اللعين : لقد تحرر الزمن .
اراك محاطا بلآلیء مملكتك ،(١٩)
وهم ينطقون تحيتي في صدورهم :
اني اطلب الان اصواتهم جهورية مع صوتي ، —
ســلاما ، ياملك اسكوتلنده !

الكــل : ســلاما ، ياملك اسكوتلنده !

(نفــير)

مالكولم : لن ننفق كثيرا من الوقت
قبل ان نكافئكم جميعا على حبكم .
ونكون قد ادينا حقكم علينا ... امرائي واقربائي ،
كلكم منذ هذه اللحظة ايرلات — اول من تكــرم
اسكوتلنده
بلقب كهذا . وما تبقّى علينا فعلُه .
ممــا سنزرعه من جديد في الايام القادمة — ٣٠
كدعوة اصدقائنا المنفيين الى الوطن .
الهاربين من الطغيان اليقظ واحابيله ،
والعثورِ على المؤيدين القساة
لهذا الجزار الصريع ، ومَلِكَتِهِ الشيطانية
التي يُظَنّ أنها قضت على حياتها
بيدها العاتية هي ، — هذا ، وغيره من الضرورات
التي تلح علينا ، سنقوم به ، بنعمة الله ،

---

(١٩) كأنه تاج ، ونبلاءه الموطين به اللآلیء المحيطين بالتــاج .

كما ينبغي قـــدرا ، وزمانا ، ومكانا .

اذن فالشـــكر لكم جميعا معـــا ، ولكل واحـــد

منكم ، (٢٠) ٤٠

وندعوكم جميعا لحضور تتويجنا في مدينة «سْكون» .

(نفـــير . يخرجون) .

انتهـــت

---

(٢٠) هذه العبارة يوجهها الممثل عادة إلى جمهور المشاهدين .

ملاحق (*)

ملحق أ

هولنشيد

يصف هو لنشيد فى كتابه ، **تواريخ اسكوتلندة** ، The Chronicles of Scotland كيف أن عددا من النبلاء تم اعدامهم لتآمرهم مع الساحرات ضد الملك دف . وكان من جملتهم بعض أقرباء دونوالد ، « رئيس القلعة » ، « لاقتناعهم بمشاركة متمردين آخرين ، عن طريق مشورة كاذبة قدمها لهم فئة من الاشرار ، وليس طوعا منهم : وعندها جعل دونوالد المذكور يندب حالهم ، وجهد فى التماس العفو عنهم من الملك . ولكن عندما لم يلق الا الرفض ، امتلأ فى دخيلته حقدا على الملك (ولو أنه لم يظهر ذلك بشكل مكشوف أولا) ، وبقى الحقد يغلي فى معدته ولم يكف ، الى **أن وجد وسيلة ، بتحريض من زوجته ، وانتقاما من عقوق كهذا ،** لقتل الملك داخل قلعة فورس المذكورة آنفا ، حيث كان يقيم . وذلك ان الملك اذا جاء الى ذلك الاقليم كان من عادته فى الاغلب أن يبات فى تلك القلعة ، لثقته الخاصة بدونوالد ، هذا الرجل الذى لم يشك فيه يوما قط .

« غير ان دونوالد لم ينس الزراية التي لحقت بأهله باعدام اقربائه أولئك ، الذين جعل الملك منهم عبرة » بتعليقهم على الاعواد، فكانت تظهر عليه دلائل الحزن العميق وهو في البيت بين افراد اسرته : واذ لحظت ذلك زوجته ، لم تكف عن الترحال معه ، الى ان ادكت السر فى سخطه . وعندما علمت بذلك بما رواه هو نفسه ، ولما كانت تحمل فى قلبها حقدا على الملك لا يقل عن حقده ، لنفس السبب بالنسبة اليها ، كما لزوجها بالنسبة الى اصدقائه ، اشارت عليه (لان الملك كثيرا ماكان ينزل عنده دونما حرس يحيطون به غير حرس القلعة ، وهؤلاء كانوا كليا بامرته) بالقضاء عليه ، وارته كيف يستطيع تحقيق ذلك بأسرع ما يمكن .

---

* من طبعة آردن من ص ١٦٤ — ١٨٩ ترجمة جبرا ابراهيم جبرا ومراجعة د .طه محمود طـه

« وهكذا اذا ازداد غضب دونالد اشتعالا بكلمات زوجته ، عزم على اتباع نصيحتها فى تنفيذ فعلة شنعاء كهذه . ثم اخذ يفكر لنفسه زمنا كيف يجد السبيل الافضل الى تنفيذ قصده اللعين ، سنحت له الفرصة أخيرا ، وحقق غرضه كما يلي . اتفق ان الملك عشية اليوم الذى نوى فيه الرحيل عن القلعة ، بقي طويلا فى صلاته وادعيته ، واستمر حتى ساعة متأخرة من الليل . وفى النهاية خرج ، ودعا اليه اولئك الذين اخلصوا له الخدمة فى ملاحقة المتمرين والقبض عليهم ، وعبر لهم عن عميق شكره ، ووزع عليهم بعض الهدايا الثمينة ، وكان من ضمنهم دونوالد الذى كان يعتبر ابدا خادما مخلصا جدا للملك.

« أخيرا ، بعد ان تحدث اليهم مدة طويلة ، دخل الى حجرته الخاصة مع اثنين فقط من مرافقيه ، فأخذاه الى الفراش ، ثم خرجا وانضما الى المائدة مع دونوالد وزوجته اللذين كانا قد هيأ عشاء متأخرا ، وجلسوا وسهروا معا ، وملأ كلا المرافقين معدته حتى التخمة ، فما وضع كل منهما رأسه على وسادته حتى غرق فى النوم ، ولو نقلوا الحجرة كلها من فوق رأسيهما ، لما استيقظا من نومهما المخمور .

« عندئذ قام دونوالد ، على شدة كرهه لهذا الفعلة فى قلبه ، ولكن بتحريض من زوجته ، واستدعى ارربعة من خدمه (كان قد أطلعهم على مأربه الشرير واقنعهم بغرضه بالعطايا السخية) ، وأعلن لهم الآن كيف يقومون بالمهمة ، فأطاعوا تعليماته ، ولكي ينجزوا المقتلة بسرعة ، دخلوا الحجرة (التي كان الملك راقدا فيها) قبيل صياح الديك ، وهناك سرا قطعوا عنقه وهو نائم ، دونما اى ضجيج . وفي الحال خرجوا بالجثمان من بوابة خلفية الى الحقول . . .

« اما دونوالد ، فى الوقت الذى كانت الجريمة فيه جارية ، فذهب بين الحراس الساهرين ، فى صحبتهم لما تبقى من الليل . ولكن عندما ارتفع الصياح فى الصبح فى حجرة الملك من أن الملك قد قتل ، وجثمانه قد نقل ، وفراشه كله ملطخ بالدم ، فانه مع الحراس هرع الى هناك كأنه لاعلم له بالامر ، وحين دخل الحجرة ، وشاهد لطخات الدم فى الفراش ، وعلى الارض حواليه ، قتل على الفور كلا المرافقين ، باعتبارهما مقترفى تلك الجريمة الشنعاء ، ثم راح كالمجنون يركض جيئة وذهابا ، باحثا فى كل زاوية من زوايا القلعة ، كأنه قد يجد الجثمان أو أيا من القتلة مختبئا فى مكان خفي : وعندما اتى فى النهاية الى البوابة الخلفية ورآها مفتوحة ، حمل المرافقين اللذين قتلهما عبء الجريمة كله ، اذ كانت مفاتيح البوابات في عهدتهما

طيلة الليل ، ولذا كان ولابد أنهما (قال دونوالد)متفقان مع آخرين على ارتكاب جريمة القتل الآثمة تلك .

« وقد بالغ فى جده واجتهاده فى التحقيق الشديد ومحاكمة المذنبين المتهمين ، حتى بدا بعض اللوردات فى النهاية يمتعضون للامر ، ويشتبهون من بعض الدلائل الحاذقة أنه ليس كليا بالبرىء . ولكنهم ماداموا فى ذلك البلد ، حيث يتمتع هو بالحكم المطلق ، وبسبب أصدقائه وسلطته معا ، كانوا يحجمون عن الافصاح عما يظنون الى ان ييسر لهم الزمان والمكان فرصة أفضل ، وهكذا رحل كل منهم الى داره . ولستة أشهر معا بعد هذه الجريمة الشنعاء ، لم تطلع شمس فى النهار ولا قمر فى الليل فى اى جزء من المملكة ، بل كانت السماء دوما مكسوة بالسحب المستمرة ، وكانت تهب احيانا رياح هوجاء تصحبها البروق والعواصف ، فيصاب الاهلون بالذعر من دمار وشيك ...

«والمشاهد الوحشية ايضا التي شوهدت فى المملكة الاسكتلندية كانت هذه : الخيول في لوثيان ، المتميزة بجمالها وسرعتها ، جعلت تأكل لحم بعضها البعض ، وترفض ان تأكل اى طعام آخر . وفى آنفس ولدت سيدة طفلا بلا عينين ، أو انف ، أو يد ، أو قدم .وكان هناك ايضا صقر خنقه بوم . ولم يكن أقل مدعاة للدهشة أن الشمس بقيت مكسوة باستمرار بالسحب لمدة ستة اشهر . غير ان الناس جميعا فهموا ان مقتل الملك دف كان هو السبب فى ذلك . » (ص ص ١٤٩ ـ ١٥٢)

هناك مقطع فيما بعد يصف صوتا غامضا على أثر قتل الملك كينث ابن أخيه :

« وهكذا كان له أن يبدو سعيدا للناس جميعا ، متمتعا بحب السادة والعوام معا ، غير أن بينه وبين نفسه كان يبدو شقيا جدا ، كمن لايستطيع العيش الا وهو فى خوف مستمر ، من أن فعله الشرير بخصوص موت مالكولم دف سينكشف لمعرفة العالم . فالذى يحدث هو أن أولئك الذين يقرعهم الضمير لاى جرم خفي اقترفوه ، يبقون أبدا فى اضطراب من الذهن . وكما قيل ، اتفق أن صوتا سمع وهو فى فراشه ليلا يطلب الراحة ، يقول له هذه الكلمات او ما يشبهها : « لا تحسبن ياكينث ان المصرع الخبيث الذى دبرته لمالكولم دف يبقى خفيا على الله السرمدى . : انت تآمرت على موت البرىء ، مقترفا بوسائل الغدر فى حق جارك ما كنت ستثأر له بشديد العقاب لو قام به اى من رعاياك تجاهك انت . ولذلك فليحدثن أن تنال انت ونسلك ، بانتقام عادل من ربك القادر على كل شيء ، العقاب

الملائم ، عارا على بيتك واسرتك الى الابد . ففي هذه الساعة بالذات ثمة تدابير سرية لازاحتك انت ونسلك عن الطريق ، لكى يتمتع آخر بهذا الملك الذى تحاول ضمانه لنسلك » .

« وارتعب الملك لهذا الصوت ، وقضى تلك الليلة دون أن يطرق النوى جفنيه . » (ص ١٥٨)

« بعد مالكولم ، خلفه حنيده دنكن ابن ابنته بياتريس . فقد كان لمالكولم ابنتان ، احداهما بياتريس المتزوجة من رجل يدعي اباناث كرينن ، وكان ذا نبل عظيم وامير الجزر والاصقاع الغربية من اسكوتلنده ، وكان ثمرة هذا الزواج دنكن المذكور . والاخرى تدعي دواده ، وقد تزوجت من سينيل امير غلامبس ، ومنه رزقت بولد يدعي مكبث ، الذى كان شجاعا ، ولولا شيء من قسوة الطبع فيه ، لاعتبر الاجدر بحكم المملكة . ومن الناحية الاخرى ، كان دنكن لينا رقيق الطبع ، بحيث تمنى الناس لو أن مزاج وسلوك ابني العم هذين معتدلان ويتم تبادلهما بينهما ، فحيثما يبالغ الواحد فى الرافة ، والاخر بالقسوة ، لكانت الفضيلة الوسط بين هذين الطرفين تتحكم بانقسامها قسمة عادلة بينهما ، فيكون دنكن ملكا جديرا ، ويكون مكبث قائدا ممتازا . وكانت بداية حكم دنكن وادعة وسالمة ، دونما اضطراب يذكر . ولكن عندما لوحظ مدى اهمال الملك عقاب المسيئين ، استغل ذلك العديد من العصاة

« بانكوهو امير لوخكوهابر ، ومنه ينحدر آل ستيوارد الذين مازالوا حتى يومنا هذا بنظام السلالة يتمتعون منذ أمد بعيد بتاج اسكوتلنده ، اذ راح يجمع الاموال المستحقة للملك ، ثم عاقب بشيء من الشدة المسيئين البارزين ، اذ هاجمه عدد من المتمردين القاطنين فى ذلك الاقليم وسطوا على الاموال وكل شيء آخر ، وجد مشقة كبرى فى النجاة حيا ، بعد أن أصابوه بجروح بليغة عدة . ولكنه حين خلص من أيديهم بعد أن شفى بعض الشيء من جروحه واستطاع ركب حصانه ، ذهب الى البلاط وقدم شكواه للملك على أخطر نحو ، فغنم أخيرا أن يرسل الملك ضابطا عسكريا يطلب الى المسيئين أن يحضروا ويجيبوا على ما يتهمون به من أمور : غير أنهم اضافوا الى اساءتهم المنكرة اساءة ، فاهانوا الرسول بشتى أنواع التعنيف ، وفى النهاية قتلوه .

« وعندها لم يبق شك لديهم بأن الملك ، نتيجة لهذا التصرف المهين ضد سلطانه ، سيغزوهم بكل ما يستطيع من قوة ، فقام مكدونوالد ، وهو من ذوى الاعتبار الكبير بينهم ، بتنظيم اتحاد مع أقرب أصدقائه وبني عشيرته ، واتخذ على عاتقه أن يكون

قائد جميع المتمردين الذين يريدون الوقوف بوجه الملك ، استمرار بجرائمهم الخطيرة التي اقترفوها مؤخرا بحقه . وقد فاه مكدونوالد هذا بكلمات كثيرة من التحقير والتعبير ضد أمير ، فوصفه بالمخنث الرعديد ، وقال انه لاليق به أن يحكم جماعة من الرهبان الخاملين فى دير ما ، من أن يسود على محاربين شجعان اشداء هم الاسكوتلنديون واستخدم ايضا المكر والاغراءات المزيفة حتى استطاع بوقت قصير تحشيد جيش قوى من الرجال . وذلك ان حشدا كبيرا من الناس جاؤوه من الجزر الغربية ، متطوعين لعونه فى ذلك الخلاف المتمرد ، كما جاءه من ارلنده ، طمعا فى الغنائم ، عدد غير قليل من المشاة والفرسان ، مسرورين للتطوع فى خدمته ليقودهم أينما شاء » .

ويغلب مكدونوالد جيشا يرسل لمحاربته ، ويقطع راس قائده مالكولم . وعلى أثر ذلك يجمع دنكن مجلسا للشورى .

« وفى النهاية بعد أن تكلم مكبث طويلا ضد لين الملك وتراخيه الزائد فى معاقبة المسيئين ، الامر الذى أتاح لهم الوقت للتحشد ، وعده مع ذلك قائلا ، اذا أعطيت له ولبانكوهو القيادة ، انه سيصرف الامور بحيث يقهر المتمردين بسرعة ويخمدهم ، فلا يبقى واحد منهم يستطيع المقاومة فى القطر باجمعه .

« وهذا بالضبط ما حدث : فعندما أرسل مع جيش جديد ودخل لوهكوهابر ، أذعرت شهرة مقدمة الاعداء حتى هرب عدد كبير منهم سرا من القائد مكدونوالد ، الذى اضطر الى الدخول فى معركة مع مكبث بما تبقى لديه من رجال . ولما غلب على امره ، وهرب لاجئا الى قلعة (كانت زوجته واطفاله محصورين داخلها) ، ورأى اخيرا انه لا يستطيع ان يحمى حصنه من اعدائه ؛ كما انه لن يسمح له أن يغادره حيا اذا استسلم ، قتل أولا زوجته واطفاله ، وبعدهم قتل نفسه ، مخافة انه لو استسلم وحسب ، لاعدم على نحو فظيع عبرة للآخرين . »

ودخل مكبث القلعة ووجد مكدونوالد قتيلا بين جثث الاخرين :

« فلما رآه ، ولم يهدأ طبعه العاتي بالمشهد المحزن ، امر بقطع رأسه ، ووضعه على طرف عمود خشبي ، وهكذا ارسله هدية الى

الملك ... هكذا اعيد العدل والقانون الى مجراهما القديم المعتاد ، بجد مكبث واجتهاده . وفى الحال جاء خبر يقول ان سوينو ملك النرويج قد وصل الى فايف على رأس جيش جرار ، لاخضاع مملكة اسكوتلندة كلها » . (ص‌ص ١٦٨ — ١٦٩)

« وكان سوينو هذا من القسوة بحيث لم يوفر رجلا او امرأة او طفلا ، مهما يكن عمره ، حاله او منزلته . وعندما تأكد الملك دنكن من ذلك،تخلى عن الكسل والمماطلة ، وشرع فى تجميع جيش بأسرع مايستطيع ، كقائد باسل : وكثيرا ما يتحول الجبان البليد او المرء الكسول ، بحكم الضرورة ، الى رجل صلب ونشيط . ولذا ، عندما تكامل جيشه باجمعه ، قسمه الى ثلاثة أقسام . اولها بقيادة مكبث ، وثانيها بقيادة بانكوهو ، ورأس الملك نفسه قلب المعركة او اوسط الجيش ، حيث عين لمرافقته وخدمة شخصه معظم من تبقى من نبلاء اسكوتلندة .

« ولما تم تنظيم الجيش الاسكوتلندى هكذا ، زحف الى كلروص ، وهناك التقى الاعداء ، وبعد معركة طاحنة ، بقي سوينو منتصرا ، وانهزم مالكولم مع رجاله الاسكوتلنديين بيد أن الدانيين كانوا قد تحطموا فى هذه المعركة ، فعجزوا عن مطاردة اعدائهم طويلا ، بل ابقوا انفسهم فى نظام المعركة طوال الليل ، لئلا يتجمع الاسكوتلنديون ثانية هناك ، ويهاجموهم والوضع نوعا ما فى صالحهم ، وفى الصباح حين بان الميدان ، ولم يروا أحداً من أعدائهم فيه ، جمعوا الغنائم ووزعوها بينهم وفق شريعة القتال . وكان عندئذ أن تقرر بامر من سوينو ان على كل جندى الا يؤذى اى رجل او امراة او طفل ، سوى أولئك الذين يرونهم وبأيديهم السلاح مستعدين للمقاومة ، لانه أمل الان ان يفتح المملكة دون سفك المزيد من الدماء .

« ولكن عندما اخبر بان دنكن قد هرب الى قلعة بيرثا ، وأن مكبث راح يحشد جيشا جديدا لمقاومة غزوات الدانيين ، رفع سوينو خيامه ، وتوجه الى القلعة المذكورة ، واقام حولها الحصار . وحين رأى دنكن نفسه محاطا بالاعداء ارسل سرا ، بنصيحة من بانكوهو ، الى مكبث يأمره ب بالمكوث في انخكوتهل الى ان ياتيه منه خبر آخر . وفى اثناء ذلك تظاهر دنكن بالتفاوض مع سوينو ، كأنه يريد تسليم القلعة له مقابل شروط معينة ، وانما فعل ذلك كسبا للوقت ، ودفعا للريبة لدى أعدائه فى انه يدبر شيئا ضدهم ، الى أن ترتبت الامور على نحو يخدم غرضه . وفى النهاية ، عندما بلغوا النقطة حول تسليم القلعة ، اقترح دنكن ان يرسل من القلعة الى المعسكر كميات كبيرة من الطعام لانعاش الجيش ، وقبل الدانيون هذا الاقتراح بفرح

لانهم كانوا قد أضحوا منذ أيام فى حاجة عظيمة الى الغذاء .

« وعندها أخذ الاسكوتلنديون عصير نوع من التوت البرى ومزجوه فى جعبتهم وخبزهم ، وارسلوهما هكذا مبهرين محليين ، بكميات كبيرة الى أعدائهم . وهؤلاء فرحوا بان لديهم الطعام والشراب ما يكفي لملء بطونهم ، راحوا يأكلون ويشربون بينهم ، وكأنهم يتبارون فيمن يستطيع الالتهام والابتلاع اكثر من غيره ، الى ان انتشر مفعول التوت فى جميع أجسامهم مما أدى الى غرقهم فى نوم عميق كالموت ، يستحيل ايقاظهم منه . وعندئذ أرسل دنكن فورا الى مكبث ، وأمره بالمجيء بأقصي السرعة ومهاجمة الاعداء ، وقد سهل التغلب عليهم . فلم يتوان مكبث ، وجاء بجماعتة الى المكان ، حيث عسكر اعداؤه ، وانهال عليهم تقتيلا من كل جانب دون مقاومة منهم ، وكان ذلك مشهدا عجيبا ، لان الدانيين كانوا من ثقل وطأة النوم عليهم يقتل معظمهم ولا يتحرك : والذين استيقظوا من الضوضاء او اى شيء آخر ، انذهلوا أو داخوا عند استيقاظهم فعجزوا عن أى دفاع . وهكذا من ذلك العدد كله لم ينج الا سوينو نفسه وعشرة أشخاص آخرين ، تمكن بمساعدتهم بلوغ مراكبه الراسية عند مصب تابي . »
(ص‌ص ١٦٩ — ١٧٠)

ويستمر هولنشيد فيصف كيف هرب سوينو فى مركب واحد الى الدانمرك . وفيما كان الاسكوتلنديون يحتفلون بانتصارهم بلغهم خبر بان اسطولا دانمركيا جديدا قد وصل الى كنغكون ، ارسله كانوت ملك انكلترة ، لهزيمة اخيه سوينو .

« لمقاومة هؤلاء الاعداء ، الذين كانوا قد نزلوا الى البر ، وجعلوا ينهبون البلد ، ارسل مكبث وبانكوهو بتفويض من الملك ، ومعهما جيش ملائم ، فقابلوا الاعداء ، وقتلوا بعضهم ، وطاردوا الاخرين حتى مراكبهم . والذين نجوا وبلغوا مراكبهم ، واستحصلوا موافقة مكبث ، لقاء مبلغ من الذهب ، على ان يجمعوا القتلى من أصحابهم ويدفنونهم في كنيسة القديس كولم . وكذلك ، مازال هناك كثير من التماثيل القديمة فى تلك الكنيسة يمكن ان ترى وقد حفرت فيها شارات سلاح الدانيين،كما هى العادة حتى الان فى دفن النبلاء ، وتتبع منذ ذلك الحين .

« وابرام اتفاق سلام فى الوقت نفسه بين الدانيين والاسكتلنديين ، مصدقا (لكما دون البعض) على هذا النحو : يتعهد الدانيون بالا يدخلوا اسكوتلندا ، منذ ذلك اليوم فصاعدا ، لمحاربة الاسكوتلنديين بأى وسيلة كانت . وهذه كانت الحروب التي خاضها دنكن مع الاعداء الاجانب ، فى السنة السابعة من حكمه . وبعد ذلك

بامد قصير وقع أمر عجيب ، فظ وغريب ، كان فيما بعد السبب في اضطرابات كثيرة في مملكة اسكوتلنده ، كما سيجيء ذكره . فقد حدث ، فيما كان مكبث وبانكوهو راحلين في طريقهما الى فورس ، حيث الملك يقيم في تلك الاونة ، انهما راحا يعبثان على الطريق معا ، وليس في رفقتهما احد ، عابرين من خلال الاجام والحقول ، واذا هما فجأة ، في وسط فسحة من الارض ، يلقيان ثلاث نساء في ثياب غريبة هوجاء ، كانهن مخلوقات من عالم أقدم ، ولما انعما فيهن البصر ، وهما مندهشان للمنظر ، نطقت الاولى منهن وقالت : سلاما يامكبث ، امير غلامس . (لانه كان مؤخرا قد ورث ذلك اللقب والمركز بموت والده سينيل) . وقالت الثانية منهن : سلاما يا مكبث ، امير كودر . ولكن الثالثة قالت : سلاما يا مكبث ، يا من ستكون فيما بعد ملك اسكوتلندة .

« وعندها قال بانكوهو : أي ضرب من النساء انتن ، لاتظهرن لي الا اقل الود ، في حين انكن لرفيقي هنا ، فضلا عن المراكز العليا ، تهبون المملكة ايضا ، ولا تعين لي أى شيء ؟ نعم (قالت الاولى منهن) ، اننا نعدك بفوائد اعظم من فوائده ، لانه سيحكم بالفعل ، ولكن لنهاية تعيسة : ولن يترك له اولادا يخلفونه في الحكم . اما أنت فعلى العكس ، فان تحكم بالفعل ابدا ، ولكن منك سيولد من سيحكم المملكة الاسكوتلندية في سلالة مستمرة طويلة . وبهذا تلاشت النساء المذكورات في الحال عن البصر . وقد اعتبر هذا اول الامر كوهم خيالي باطل من مكبث وبانكوهو ، كأن يدعو بانكوهو مزاحا رفيقه مكبث ملك اسكوتلندة ، فيرد عليه مكبث عابثا ايضا : ياوالد العديد من الملوك . ولكن الرأي كان فيما بعد ان اولئك النسوة كن اما اخوات القدر أى (كأن تقول) ربات المصير ، او جنيات موهوبات بمعرفة النبوة لتعاملهن بعلم ارواح الموتى ، لان كل شيء حدث كما قلن . اذ أن بعد ذلك بفترة قصيرة حكم على امير كودر بالموت في فورس لخيانة اقترفها ضد الملك ، فوهب الملك بسخائه اراضي الامير ، وأحياءه ، والقابه ، لمكبث .

« عند العشاء ، وبعد ذلك في تلك الليلة ، مازحه بانكوهو قائلا : حصلت الآن يا مكبث على الشيئين اللذين تنبأت بهما الاختان الاولى والثانية ، ويبقى لك الان ان تحصل على ما قالت الثالثة انه سيحدث . فأخذ مكبث يدير الامر في خاطره ، وشرع من تلك اللحظة في تدبير كيفية حيازة المملكة . غير انه فكر لنفسه أن عليه التمهل زمنا ، وهذا سيرفعه الملك (بتقرير الهي) كما تحقق في رفعه السابق . ولكن ذلك بمدة قصيرة اتفق ان الملك دنكن ، وله ولدان من زوجته التي كانت ابنة سيوارد ايرل نورثمبرلاند ، جعل من الولد الاكبر ، مالكولم ،

اميرا لكمبرلاند ، فكأنه بذلك عينة لخلافته فى المملكة مباشرة عند وفاته . فانزعج مكبث جدا لذلك ، لانه راى فيه اعاقة خطيرة دون تحقيق امله (اذ كان النظام وفق الشرائع القديمة فى الدولة ، أنه كان الذى سيخلف على العرش غير بالغ السن التي تمكنه من تسلم المسؤولية ، حل محله اقرب الناس دما اليه) ، فأخذ يستشير بشأن اغتصاب الملكية عنوة ، قائلا ان له الحق فى ذلك النزاع (كما كان هو يفهم الامر) لان دنكن فعل ما فعل ليحرمه من كل لقب ودعوى ، قد يستخدمها فى المستقبل مطالبة بالتاج .

« وكلمات الاخوات الثلاث أيضا (اللائي ذكرتهن لكم آنفا) شجعته كثيرا على ذلك ، ولكن بصورة خاصة الحث عليه زوجته بان يحاول الامر ، اذ انها بطموحها الشديد كانت تشتعل برغبة لا تطفأ فى ان تحمل اسم ملكة . ولذلك اخيرا ، وقد أعلم أصدقاءه الذين يثق فيهم بنيته ، واهمهم بانكوهو ، واطمأن لعونهم الموعود ، قتل الملك فى انفرنسي او (كما يقول البعض) فى بوتغوسوان ، في السنة السادسة فى حكمه . وبعد ذلك جمع حوله جماعة من الذين قد أسر لهم بما يريد أن يفعل ، جعلهم يعلنونه ملكا ، وفى الحال ذهب الى سكون ، حيث (بموافقة العموم) تسلم مقاليد المملكة حسب الطريقة المرعية . وقد حمل جثمان دنكن اولا الى الجين ، ودفن هناك بمراسم ملكية ، ولكنه نقل فيما بعد الى كولميكيل ، حيث سجى فى ضريح بين قبور اسلافه فى عام ١٠٤٦ بعد ميلاد مخلصنا .

« أما مالكولم كاغور ودونالد بين ، ولدا الملك دنكن ، فقد خافا على حياتهما (مدركين ان مكبث سيحاول أن ينهيها للمزيد من منصبه) وهربا الى كمبرلاند ، حيث بقي مالكولم ، الى ان جاء القديس ادوارد بن اثلدريد واسترد مملكة انكلترة من سلطان الدانمركيين . واستقبل ادوارد هذا مالكولم بكرم الصديق . أما دونالد فرحل الي أرلنده ، حيث اعتنى به بعطف ملك ذلك البلد . وبعد مغادرة ولدى دنكن على هذا الفرار ، اظهر مكبث سخاء عظيما لنبلاء الدولة ، لكي يكسب ودهم ، ولما وجد أن ما من احد يريد مشاغبته ، وضع كل غرمه فى اقامة العدل ، ومعاقبة الفساد والاساءات التى وقعت بسبب ادارة دنكن الضعيفة والخاملة » . (ص ص ١٧٠ — ١٧١)

ثم يذكر هولنشيد بضعة امثلة على اصلاحات مكبث ، ويذكر أن من بين الامراء الذين قتلوا لشغبهم كان روص . وبعد أن يعدد هولنشيد بعضا من قوانين مكبث ، يضيف :

« هذه وغيرها من القوانين الحميدة طبقها مكبث ايامئذ ،

وحكم البلاد لفترة عشر سنين بالعدل والقسطاس . ولكن هذه كانت حماسة مزيفة للعدالة اظهرها بعضا ضد ميله الطبيعى لكيما يشترى بها ود الشعب . وبعد ذلك بآمد قصير ، بدا يظهر حقيقة نفسه ممارسا القسوه بدل العدالة . لان وخز الضمير (كما يحدث ابدا للطغاة وللذين يبلغون مرتبة الحكم بوسائل غير شريفة) . جعله دائما فى خشية من ان تقدم له الكاس نفسها التى قدمها هو لسلفه . وكلمات اخوات القدر الثلاث لم تبارح ذهنه ، فهي كما وعدته بالملك ، هكذا وعدت به فى الوقت نفسه ذرية بانكوهو . فعزم لذلك ان يدعو بانكوهو هذا وابنه المدعو فليانس الى عشاء هيأه لهما ، والذى كان فى الواقع ، بتدبير منه . موتا فوريا على ايدى قتلة معينين ، استأجرهم لتنفيذ الجريمة . مرتبا لهم أن يلتقوا بانكوهو وابنه خارج القصر ، وهما عائدان الى دارهما ، فيقتلوهما ، هناك ، فلا يقال فى بيته اى قدح ، بل يستطيع فى المستقبل أن يبرىء نفسه اذا اتهم بشىء نتيجة ايه شبهة قد تقوم حوله . ولكن اتفق ، بسبب ظلام الليل ، ان الاب قتل ، واما الابن فنجا من الخطر بعون الله القدير . الذى حفظه لايام أفضل : وجاءته تلميحات فيما بعد (بنصح من بعض اصدقاء له فى البلاط) أن حياته مطلوبة « بقدر ما كانت حياة ابيه . الذى لم يقتل بمجرد تدخل من الصدف (وهذا ما اراد مكبث للامران يبدو من تدابيره) بل بخطة مدروسة مسبقا : وعندها تجنبا للمزيد من الخطر هرب الى ويلز . » (ص ١٧٢)

يستمر هولنشيد فيصف كيف ان مؤسس سلالة آلة ستيورات ، ولتر ستيوارد ، الذى تزوج من ابنة روبرت بروس . وكذلك ايرل اوف لينوكس وايرل اوف ديزلي ، كانوا من أحفاد فليانس :

« ولكن لنعد الى مكبث ، اكمالا للتاريخ ، ولابدأ حيث تركت ، فأعلم ان بعد مصرع بانكوهو المدبر لم يفلح مكبث المذكور آنفا فى شىء . وذلك ان كل امرىء جعل يخاف على حياته ولا يجرأ على المثول فى حضرة الملك . وبقدر ما كان الكثيرون يرهبونه ، أخذ هو يرهب الكثيرين ، حتى أخذ يتخلص بهذه الحجة المزعومة أو تلك ، من اولئك الذين يتصورهم اشد قدرة على اثارة شخطه .

« وفى النهاية امسى يجد حلاوة فى اعدام نبلائه ، حتى بات عطشه اللحوح فى هذا المضمار لا يرويه شىء . اذ عليك أن تعتبر انه كان بذلك يجنى مكسبين (كما ظن) : فهم اولا يزاحون من الطريق بعد ان كان يخشاهم ، وخزائنه ثانيا تغنى بأموالهم التى كان يصادرها لاستعماله ، ليتمكن من الحفاظ على حرس مسلحين

يحيطون به ويدافعون عن شخصه ضد اى اذى من اولئك الذين يرتاب فيهم . وفضلا عن ذلك ، لفرض المزيد من القسوة فى اضطهاد رعيته بضروب الظلم والطغيان ، شيد قلعة قوية على قمة تل عال يدعى دنسينان ، فى غاورى ، على بعـد عشرة أميال من بيرث ، وكان عاليا شامخا بحيث اذا وقف رجل على قمته راى كل اقاليم انفس ، وفايف ، وستيرمونـد ، وايرنيديل ، كأنها تحته . وبتأسيس هذه القلعة اذن على قمة ذلك التل الشاهق ، تكلفت المملكة كثـيرا من الاموال قبل أن تكمل ، لان جميع المواد الضرورية للبناء لم يكن فى المستطاع ايصالها اليها بدون عناء شديد وشغل كثير . غير ان مكبث حال تصميمه على أن العمل يجب أن يستمر ، امر أمير كل مقاطعة فى المملكة بالحضور للمساعدة فى البناء ، مـع رجـاله .

« وأخيرا ، عندما وقع الدور على مكدف امير فايف ان يبني حصته ، ارسل عمالا بكل ما يحتاجونه من مؤن ، وأمرهم بـأن يظهروا جدا فى كل عمل ، لكي لا يعطي الملك مجالا للانتقاص منه لانه لم يات بنفسه كما فعل الاخرون ، وهذا فارفض أن يفعله لانه كان يرتاب فى أن الملك ، وهو (كما ادرك جزئيا) لا يحمل ودا عظيما ، قد يلقي القبض عليـه ، كما فعل مع عدد من الاخرين . وبعد فترة قصيرة جاء مكبث ليتفقد تقدم العمل : فلما لم يجد مكدف ، استاء جدا وقال : أرى ان هذا الرجل لن يطيع اوامرى ابدا الا ان البسـه الشكيمة ، ولسوف البسنه اياها . فما كان بعد ذلك لينحمـل النظر الى مكدف المذكور ، أما لانه يظن انه أقوى مما ينبغي ، أو لانه علم من بعض السـحرة الـذين كان يضع فيهم عظيم الثقـة (اذ أن النبوة تحققت ، تلك التي نطقت له بها الجنيات أو اخوات القدر الثلاث) من أن عليه ان يحذر مكدف الذى سيسعى فى وقت قادم للقضاء عليـه .

« ولكان عندئذ ولاريب سيأمر باعدام مكدف ، لولا أن ساحرة يثق فيها جدا كانت اخبرته انه لن يقتل ابدا على يد رجل مولود من امرأة ، كما انه يقهر حتى تأتى غابة برنان الى قلعة دنسينان . هذه النبوة جعلت مكبث ينزع كل خوف من قلبه ، حاسبا أن له ان يفعل ما شاء ، دون خشـية من عقاب ، لان احدى النبوتين اقنعته أن من المستحيل ان يقهره احد ، والاخرى ان من المستحيل ان يقتله احد . وهذا الامل الباطل جعله يقوم بأعمال مشينة كثيرة ، مسببا لرعيته الاضطهاد والالام . وفى النهاية عزم مكدف ، تجنبا للخطر على حياته ، على العبور الى انكلترا ، فيأتى بمالكولم كانمور ليطالب بتاج اسـكوتلنده . ولكن هذا الامر لم يرتبه مكدف بسرية كافية ، وبلغ خبره مكبث . فالملوك (كما يقال) لهم حدة بصر الوشق،

وحدة سمع الميداس. لان مكبث كان له فى بيت كل نبيل رجل خبيث او اكثر اجير له ، يكشف له عن كل ما يقال ويفعل هناك ، وبهـذه الخديعة اثقل وطأته على معظم نبلاء المملكة .

« وعلى الفور اذن ، حين اخطر بحركات مكدف ، أسرع بجيش كبير الى فايف ، وفى الحال حاصر القلعة التي يقيم فيهـا مكدف ، مؤملا ان يجده داخلها . أما حراس الدار فقد فتحـوا الابواب دون مقاومة ، وسمحوا له بالدخول ، وهم لا يتوقعـون شرا . غير أن مكبث ، بقسوه رهيبة ، أمر بقتل زوجه مكدف واولاده ، وكل من وجده فى القلعة . وكذلك صادر أموال مكدف ، وأعلن أنه خائن ، ونفاه عن كل أرجاء المملكة . الا ان مكدف كـان قد نجا من الخطر ، ودخل انكلتره حيث مالكولم كانمور ،ليسعى جهده عن طريق مساندته للانتقام للمجزرة التي نفذت فى زوجته ، واولاده ، وصحبه . وعندما جاء الى مالكولم اخبره بالبـؤس العظيم الذى حل باسكوتلنده ، بسبب القساوات الكريهه التـى يمارسـها الطاغية مكبث ، وقد اقترف العديد من جرائم القتـل والمجازر الشنيعة ، بحق النبلاء كما فى حق العامة ، الامر الذى جعل شعبه يمقته مقت الموت ، متمنيا لا شيء سوى خلاصه من ذلك النير الذى لا يحتمل ، نير العبودية الثقيل الذى فرضه على عنقه نذل شريـر .

« فلما سمع مالكولم كلمات مكـدف ، التى قالها بعميـق الرثاء ، لشدة ما يخرق قلبه الحزين من الم ، وهو يندب حاله الشقاء فى بلده ، تنهد عميقا . وحين لاحظ ذلك مكدف ، جعـل يلتمس اليه ويرجوه أن يجازف لانقاذ الشعب الاسكوتلندى من يدى طاغية دموى عات ، اذ اثبت مكبث بافعاله الكثيرة المكشوفة انه هو ذلك الطاغية ، وقال ان ذلك أمر يسير عليه تحقيقه ، اذا تذكر لاحقه المشروع فقط ، بل ايضا رغبة الشعب العميقة فى تحـين الفرصة التى تمكنهم من الانتقام لذلك الاذى الظالم الذى ينزله فيهم كل يوم فساد حكم مكبث بقساواته المهينة . ورغم أن مالكولم كان حزينا جدا لمـا يعانيه مواطنوه الاسكوتلنديون من قهر كالـذى وصفه مكدف ، الا انه لم يكن واثقا فيما اذا كان مكدف يتكلم دونما رياء ، أو اذا كان مرسـلا من مكبث ليغدر به ، ففكر فى أن يمتحنه اكثر من ذلك ، ولذلك ، مخفيا ما يجول بخاطره ، اجابه كما يلي :

« انى حقا لشديد الاسى لمـا أصاب بلدى سـكوتلنده من بؤس ، ولكن مهما تشتد رغبتى فى انهائه ، الا اننى غير لائق لذلك ، بسبب رذائل معينة لا تستأصل متحكمة فى نفسى . أولا ، يلازمنى شبق لاحد له وشهوة فاحشة (هى الينبوع اللعـين للرذائل كلها)

فاذا جعلت ملك كالاسكوتلنديين ، حاولت وطأ عذاراكم وثيباتكم ، حتى ليغدو فجوري أشد وقرا عليكم من الطاغية الدموى مكبث . وهنا أجاب مكدف : هذه ولا ريب خطيئة سيئة جدا ، وما اكثر الامراء النبلاء والملوك الذين فقدوا حياتهم وممالكهم بسببها . ومع ذلك ، ففي اسكوتلنده ما يكفى من النساء ، ولذا أفعل بنصحي . نصب نفسك ملكا ، وساصرف الامور بحكمة ، بحيث يتسنى لك أن تشبع لذاتك سرا دون أن يدرى بذلك انسان .

« فقال مالكولم : وأنا أيضا اشد المخلوقات جشعا على الارض ، فاذا كنت ملكا ، لجأت الى طرق كثيرة للحصول على الاراضي والاموال ، فأقتل معظم نبلاء اسكوتلنده بتهم ملفقة ، لكي اتمتع بأراضيهم وخيراتهم وممتلكاتهم . ولكى اريك الأذى الذى قد يلحق بكم بسبب طمعي الذى لا يشفى غليلة ، سأروى لك حكاية . كان هناك ثعلب فيه قرحة تتراكم عليها اسراب الذباب ، وتمتص باستمرار دمه . فلما جاءه يوما أحد ورآه فى هذه الحال ، سأله هل يود ان يطرد عنه الذباب ، فاجابه ، كلا ، لان هذا الذباب الان شبعان ، ولهذا فانه لا يمتص الدم بنهم كبير ، فاذا طرد حل محله ذباب متضور جوعا ، فيمتص بقية دمى ويصيبنى بأذى أشد بكثير ، مما يصيبنى به هذا الذباب الشبعان . ولذلك قال مالكولم ، اسمح لي بالبقاء حيث انا ، لئلا تجدونى حين احصل على حكم مملكتكم ، لا أطاق لان جشعى لا يروى ، فتقولون ان السيئات التي تؤذيكم الان تبدو هينة بالنسبة الى المهانات التي لا تقاس ، والتى ستنجم عن مجيئي بينكم .

« فاجاب مكدف قائلا : ان الجشع خطيئة أسوأ من السابقة: فالجشع اساس كل بلاء ، وهذه الجريمة قد أودت بالعدد الاكبر من ملوكنا وسببت مصرعهم . ومع ذلك ، اسمع نصحي ، وخذ لنفسك التاج . ففي اسكوتلنده ما يكفى من ذهب واموال لاشباع طمعك . وعندها قال مالكولم ثانية : انى اضافة الى ذلك ميال الى النفاق ، والكذب ، وكل أنواع الخداع ، بحيث اننى لا اتمتع بطبعى بشيء بقدر ما اتمتع بخيانة وخداع كل من يؤمن أو يثق بكلمني . وبما انه ليس ثمة ما يليق الامير اكثر من الثبات ، والصدق ، والعدل ، برفقة الفضائل الجميدة والجميلة والنبيلة التى تدرك بالصدق والاخلاص ، والتي تقضي عليها الكذب والبهتان . اترى كيف اننى اعجز من ان أحكم اى اقليم او مقاطعة : ولذا ، ان كان لديك دواء أو رداء تستتر به كل رذائلى الاخرى ، ارجوك أن تجد لباسا تتستر به على هذه الرذيلة بين الاخريات .

« فقال مكدف : هذه اسواها جميعا ، وهنا اغادرك فأقول:

ما أشقاكم واتعسكم ايها الاسكوتلنديون ، وقد ابتليتم بهذا العديد من المصائب المتنوعة ، مصيبة فوق اخرى ! عندكم طاغية لعين وسرير يتحكم بكم ، بغير ما حق او تسرع ، ويضطهدكم بفظائع قسوته . وهذا الرجل الاخر ، صاحب الحق فى التاج ، متخم برذائل الانكليزي الفاضحة وسلوكهم المتعلب ، فلا يسمحه فى شيء فهو يعترف بانه ليس جشعا فقط ، ومتمرغا فى شبق لا يشبع ، بل هو ايضا خائن غدار ، لا تؤتمن منه كلمه ينطق بها . وداعا يا اسكوتلنده ، لاننى أعد نفسي الان منفيا عنك الى الابد ، بلا عزاء او سلوان . ومع هذه الكلمات انحدرت الدموع المرة بعزارة على خديه .

« وفى النهاية ، اذ كان على وشك المغادرة ، امسكه ، مالكولم من ردائه وقال : فلتطمئن نفسك يامكدف ، لاننى لا اعرف ايا من الرذائل الذى ذكرتها ، ولكننى مازحتك على هذا النحو ، لكي امتحن ذهنك : لان مكبث حاول حتى الان مرات عديدة بمثل هذه الوسائل ان يوقعني بين يديه ، ولكننى بقدر ما تباطات فى النزول عند اقتراحك وطلبك ، هكذا سأجد فى تحقيق كليهما . وهنا عانق كلاهما الاخر دون تورع ، وتواعدا على الاخلاص ، وجعلا يتشاوران بأفضل السبل لخدمة غرضهما ، لينتهيا به الى النتيجة الخيرة . وسرعان ما اتجه مكدف نحو حدود اسكوتلنده ، وارسل كتبه سرا الى اشراف المملكة ، معلنا لهم عن اتفاق مالكولم معه لكي يسرع بالمجيء الى اسكوتلنده للمطالبة بالتاج ، ولذا طلب اليهم ، لان مالكولم هو الوارث الشرعى ، مساعدته بجيوشهم لاسترداد الحق من يد المغتصب الاثيم .

« وفى اثناء ذلك ، حظى مالكولم بمودة من الملك ادوارد ، فزود الملك الشيخ سيوارد ايرل نورمبرلاند ، بعشرة آلاف رجل لمرافقته الى اسكوتلنده ، دعما له فى مجازفته ، لاسترداد حقه . فلما شاع خبر ذلك فى اسكوتلنده ، تجمع الاشراف فى حزبين ، احدهما يناصر مكبث ، والاخر مالكولم . وكثيرا ما نجم بسبب ذلك مشاحنات ، ومناوشات خفيفة ، لان الفئة المناصرة لمالكولم رفضت أن تخاطر بالدخول مع اعدائها فى معركة فى الميدان ، الى ان يأتى من انكلتره لمساندتهم . بيد ان مكبث لاحظ بعد ذلك ان قوة اعدائه فى ازدياد ، بسبب العون القادم من انكلتره مع خصمه مالكولم ، فتراجع الى فايف حيث قرر ان يقيم فى معسكر محصن ، فى قلعة دنسينان ، وان يقاتل اعداءه اذا أرادوا ان يلحقوا به . وقد نصحه بعض أصحابه ان الافضل له هو ان يتصل الى اتفاق ما مع مالكولم ، او ان يهرب بأقصى السرعة الى الجزر آخذا معه خزينته ،

فعرض اغراء بعض كبار امراء الدولة بالمال لدعمه ، وتوقيف الرواتب على غرباء يستطيع ان يثق فيهم اكثر مما يثق فى رعاياه ؛ وهم فى هرب منه كل يوم . ولكنه كان شديد الايمان بالنبوات التى سمعها ، معتقدا بأنه لن يقهر ابدا ، حتى تزحف غابة برنان الى دنسينان ، وأنه لن يقتل على يد رجل ولدته امرأة .

« واذا راح مالكولم سريعا فى أثر مكبث ، وصل عشية المعركة الى غابه برنان ، وبعد أن نال رجال جيشه قسطا من الراحة لانتعاشهم ، أمر كل واحد منهم ان يأخذ غصنا من أى شجرة فى الغابة ، من أكبر حجم يستطيع حمله ، وان يزحفوا قدما على هذا النحو ، ليصلوا فى الصباح التالى قريبا من اعدائهم يرونهم ولا يراهم الاعداء بهذه الطريقة . وفى الصباح حينما رآهم مكبث قادمين بهذا الشكل ، أذهله الامر أولا ، ولكنه ذكر أخيرا بان النبوة التى سمعها قبل أمد طويل عن مجيء غابة برنان الى قلعة نسينان ربما الان تتحقق . ومع ذلك ، فانه صف رجاله فى صفوف معركة ، وحثهم على القتال ببسالة ، ولكن ما كادأعداؤه يضعون عنهم أغصانهم ، وادرك مكبث أعدادهم ، حتى هرب فورا ، وطارده مكدف بحقد عظيم الى أن وصل الى لونفانين ، وحين لحظ مكبث أن مكدف على عقبيه ، قفز عن حصانه ، قائلا ، أيها الخائن ماذا تقصد بمطاردتك اياى عبثا ، انا الذى قدر على الا أقتل بيد مخلوق ولدته امرأة . تقدم اذن ، وخذ الجزاء الذى تستحقه على أتعابك . ورفع عندها سيفه ، ظانا انه سيصرعه .

« ولكن مكدف تجنب حصانه بسرعة ، واقبل عليه ، واجاب قائلا (وسيفه المشهر بيده) : صحيح ذلك يامكبث ، والان تنتهي قسوتك التى لا تشبع ، لانني أنا حقا ذلك الذى تنبأ لك السحرة به ، ذلك الذى لم تلده امي ، بل أخرج عنوة من بطنها . وعندها خطأ نحوه ، وقتله فى مكانه . ثم قطع رأسه عن كتفيه ، ووضعه على سارية ، وجاء به الى مالكولم . هذه كانت نهاية مكبث ، بعد أن حكم الاسكوتلنديين سبعة عشر عاما . قد حقق فى بداية حكمه الكثير من المنجزات المفيدة للدولة (كما سمعتم) ، ولكنه فيما بعد بتوهم من الشيطان شنع حكمه بفظائع القسوة . وقد قتل فى سنة ١٠٥٧ من تجسد المسيح ، وفى السنة السادسة عشرة من حكم الملك ادوارد على الانكليز .

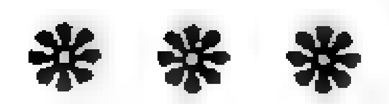
« وهكذا لما استعاد مالكولم كانمور الملك (كما سمعتم (بمساندة الملك ادوارد ، فى السنة السادسة عشرة من حكم هذا الملك ، تم تتويجه فى سكون فى اليوم الخامس والعشرين من نيسان عام ١٠٥٧ لميلاد الرب . وفى الحال ، بعد تتويجه ، دعا برلمانا

فى فوفير ، حيث كافأ الذين أعانوه على مكبث بالاراضى والأحياء ورفعهم الى مرتبات ومناصب حسب تنسيبه ، وأصدر الامر بأن يتمتع كل من يحمل لقب أى منصب أو أرض بذلك المنصب أو تلك الارض . ووهب القابا عديدة لرجال جعل منهم ايرلات ، ولوردات ، وبارونات ، وفرسانا . والكثيرون ممن كانوا يحملون لقب « ثين » من قبل ، جعل منهم ايرلات ، مثل فايف ، ومنتيث، واثول ، ولينوكس ، ومرى ، وكاثنيس ، وروص ، وآنغس . وكان هؤلاء أول الايرلات الذين سمع بهم بين الاسكوتلنديين (كما تذكر تواريخهم) . (ص‌ص ١٧٤ ــ ١٧٦)

« جاء فى المدونات ايضا انه ، فى المعركة الانفة الذكر ، التى غلب فيها ايرل سيوارد الاسكوتلنديين ، اتفق ان قتل احد ابناء سيوارد ، ورغم انه كان من حق ابيه ان يحزن عليه ، غير أنه حين سمع أنه مات بجرح اصابه ، وهو يقاتل بشجاعة ، فى مقدم جسمه ، ووجهه نحو عدوه ، فرح فرحا كبيرا لسماعه ان ابنه مات برجولة . ولكن يجب ان نذكر هنا أن ذلك لم يقع يومئذ ، بل قبل ذلك بقليل (كما يقول هنرى هنبت) ، يوم ذهب سيوارد بنفسه الى اسكوتلنده ، فأرسل ابنه على رأس جيش ليفتح البلد، فكان أن قتل عند ذاك . فلما سمع أبوه الخبر ، سأل هل تلقى الجرح الذى قتله فى مقدم جسمه أم مؤخرة ، فلما اخبروه انه تلقاه فى مقدمة ، قال : انى لافرح بجماع قلبى ، لاننى لن اتمني لابنى او لنفسى ميتة غير تلك . » (« تاريخ انكلترة » ، ص ١٩٢)

وتقول الاستاذة أم . سي . برادبروك فى محاضرة لها طبعت فى العدد الرابع من Shakespeare Survey أن شكسبير ربما استقى بعض الاشارات عن شخصية الليدى مكبث وبخاصة لما تقوله فى ١، ٧، ٥٤ وما بعده ، من الجزء الذى كتبه هولنشيد بعنوان «وصف اسكوتلنده » واثبته فى أول كتابه « تواريخ اسكوتلندة » : ولما كان يعتبر سببا للارتياب فى امانة الام لزوجها ، ان تطلب مرضعا غريبة لاطفالها (حتى لو نضب حليبها) ، فقد كانت كل امرأة تتحمل أوجع المتاعب لنشأة وتغذية اطفالها . وكانوا ايضا لايعتبرون الاطفال قد انشئوا بحنان الا اذا أرضعنهم بأنفسهن ، ورفضن الحليب الغريب ، فكن لذلك قديرات فى المخاض كما فى تحمل الالم ،

ولم يأبه أحد الجنسين لقيظ الصيف أو قر الشتاء ... وفى تلك الايام أيضا كانت نساء بلادنا لا ينقصن شجاعة عن الرجال . لان جميع الفتيات والزوجات القويات الابدان (اذا لم يكن فى طور الحبل) كن يسرن الى الميدان كالرجال ، وحالما يهجم الجيش ، فانهن يقتلن اول مخلوق حي يلقينه ، فلا يغسلن سيوفهن بدمه وحسب ، بل يذقن من دمه بأفواههن ، مليئات ايمانا وثقة ، كأنهن قد أصبحن متأكدات من نصر باهر محظوظ ، واذا رأين دمهن يسيل منهن فى القتال لم يدهشن قط للامر ، بل ضاعفن شجاعتهن بالمزيد من الحماسة وهاجمن اعداءهن . »(طبعة ١٥٨٧ ، ص ٢١) .



محلق ب

بوكانان

من كتابه « Rerum Scoticarum Historia »

xxii ... عندما طلب دونالد ، حاكم القلعة ، اطلاق سراح بعض أقاربه ، وجاءه رفض العفو عنهم ، ثارت ثائرته على الملك بشكل لا يحد ، وكما لو أنه تلقى اهانة خاصة ، حول افكاره كلها نحو الانتقام ، لانه كان شديد التثمين للخدمات التي قدمها للملك دف ، بحيث تصور أن اى شيء يطلبه اليه يجب الا يرفض . وزوجه دونالد أيضا ، عندما وجدت أن بعض اقاربها قد حكم عليهم بالموت ، زادت في اشتعال غضب زوجها ، لا بأقوالها المرة فحسب ، بل راحت باغرائها تحرضه علي قتل الملك ، قائلة له . انه بصفته حاكم القلعة الملكية ، بيده حياة وموت ملكه ، وانه بذلك يستطيع لا اقتراف الفعلة فقط ، بل اخفاءها عندما تتم . ولذا ، بعد أن غرق الملك فى نوم عميق ، وقد تعب أشد التعب من العمل ، وبعد أن تغلب النعاس على مرافقيه أيضا ، وقد أسكرهم دونالد بالشراب ، ادخل بعض القتلة سرا ، فقتلوا الملك ، وحملوا الجثة بحيطة خارجين بها من باب خلفى ، فلم تكن هناك نقطة دم واحدة تفضح الجريمة .. وفي اليوم التالي ، عندما شاع الخبر بأن الملك لا يعرف أحد مكانه ، وان فراشه ملطخ بالدم ، اندفع دونالد الى حجرة النوم ، وكأنه انصدم للتو بهول الجريمة ، وتظاهر بالخروج عن طوره غضبا ، وقتل الخدم ، ثم أخذ يبحث بدقة فى كل مكان لعله يرى اثرا للقتيل .

xxxviii (تشير العبارات التالية الى الملك كينث)

حين اضطربت روحه بوعي جريمته ، لم تسمح له بمتعة كبيرة او خالصة . وفى فراشه ، كانت خواطر فعلته الاثمة تتدافع على ذاكرته ، وتعذبه . وفى النوم ، كانت رؤى الرعب تطرد الراحة عن وسادته . وفى

النهاية ، سواء افعلا خاطبه صوت مسموع من السماء، كما قيل ، أم أن الامر كان ايحاء من نفسه المثقلة بالاثم ، كما كثيرا ما يحدث للاشرار ، فقد بدا له فى ساعات السهاد ليلا أن صوتا يعنفه : « أتحسب أن مصرع مالكولم البرىء، الذى اقترفته سرا بأتم النذالة ، غير معلوم لدى ، أو أنه ستطول نجاته من العقاب ؟ حتى فى هذه اللحظة هناك شراك تنشر لحياتك لاتستطيع الافلات منها . لا ولن تترك ، كما تتصور ، عرشا ثابتا آمنا لذريتك . انها لسوف ترث مملكة مضطربة عاصفة » .

iv

كان مكبث رجلا ذا عبقرية نافذة ، وروح عالية ، وطموح لاحد له ، ولو اتصف بالاعتدال لكان جديرا بأية مسؤولية ، مهما تكن عظيمة . غير انه بمعاقبته الجرائم كان يمارس شدة تتخطى حدود القوانين ، وكثيرا ما تبدو أنها تنحط الى القسوة .

viii

بعد هذا المد من النجاح ، فى داخل البلاد وخارجها ، عندما استتب السلم فى ارجاء اسكوتلنده كلها ، كان مكبث كدأبه دائما يحتقر خمول ابن عمه ، وراوده الامل سرا فى اغتصاب العرش ، ويقال انه كان يؤيده فى ذلك حلم رآه . فذات ليلة ، وهو بعيد ناء عن الملك ، ظهرت له ثلاث نساء بقوام أكبر من قوام الانسان ، فحيته احداهن منادية اياه ب يا أمير آنفس والاخرى ب يا أمير موراى ، والثالثة حيته ملكا . فلما أثارت هذه الرؤيا طموحه وامله بشدة ، ادار فى ذهنه كل وسيلة يتسنى له بها الحصول على الملك ، الى أن سنحت له فرصة اعتبرها هو تبرر موقفه . كان لدنكن ولدان من ابنة سيبارد حاكم نورثمبرلاند : مالكولم كانمور ودونالد بين . عين احدهما ، مالكولم ، وهو بعد صبى ، حاكم كمبرلاند . وهذا التعيين اغضب مكبث بشدة ، الذى ظنها عائقا القى فى طريق طموحه ، وهذا ــ بعد أن حصل على اللقبين الاولين اللذين وعدت به زائرات الليل ــ قد يؤخر ، اذا لم يمنع كليا ، بلوغه اللقب الثالث ، لان حاكمية كمبرلاند كانت دائما تعتبر الخطوة التالية الى التاج . وكان ذهنه ، على ما فيه من حرارة التطلع اصلا ، تستثيره يوميا لجاجات زوجته التى كانت نجية أسراره وخططه .

وهكذا ، بعد ان تشاور مع أخلص صحبه ، ومن جملتهم بانكو ، وبعد ان وجد فرصة سانحة ، كمن للملك فى انفرنيس ، وقتله ، فى السنة السابعة من حكمه . ثم جمع عصبة حوله ، وسار الى سكون ، حيث اطمأن الى مودة الناس ، واعلن نفسه ملكا . ولدا دنكن ، فقد اذهلتهما الكارثة الفجائية ، فأبوهما يقتل ، وصاحب القتل على العرش ، وتحيط بهما من كل جانب فخاخ الطاغيه الذى يسعى بقتلهما ، الى تثبيت المملكة لنفسه ، فحاولا بعض الوقت النجاه بالهرب ، والتنقل من مكان الى الاخر بكثرة فى اختبائهما . ولكن عندما رايا انهما لن يسلما فى اى مكان تصل اليه سلطته ، وان لا أمل لهما بالرأفة من رجل همجي المزاج مثله ، هربا باتجاهين مختلفين ، فتوجه مالكولم الى كمبرلاند ، وتوجه دونالد الى أقاربه فى ايبودى .

مكبث LXXXV

ix

لكي يوطد مكبث دعائم العرش الذى حصل عليه ظلماً ، اخذ يكسب ود النبلاء بالعطايا السخية . ولما كان مطمئنا ، بشأن ولدى الملك ، بسبب سنهما ، وكذلك بشأن الملوك المجاورين ، بسبب العداوات صمم على ان يجوز على حب الشعب بانصافه ، ويحتفظ بهذا الحب باقامة العدالة بدقة . ولهذا عزم على معاقبة اللصوص الذين كانوا قد توقحوا وتجبروا بسبب تساهل دنكن ولينه . ولكن عندما وجد أنه لا يستطيع تحقيق ذلك دون اثارة حركة كبيرة وضوضاء ، دبر الامر ، بمساعدة رجال اختارهم لهذا الغرض ، بأن ذر بذور الخلاف بينهم ، ودفعهم الى تحدى بعضهم البعض لحسم خلافاتهم بالقتال ، بفئات صغيرة متساوية العدد ، فى أماكن متباعدة جدا ، وفى اليوم نفسه .

x

ولكن عندما وطد نفسه بكل هذه الوسائل الامنية ، وكسب ود الشعب ، ظل قتل الملك ــ كما هو جد معقول ــ يلازم خياله ، ويضطرب له ذهنه ، وهذا سبب تحويله الحكم ، الذى حصل عليه بالغدر ، الى

طغيان عات . فأطلق أولا غضبه الرهيب على بانكو ، شريكه فى الخيانة ، وقيل ان تحريضه على ذلك جاءه من نبوءة بعض للساحرات اللواتى تنبأن ان ذرية بانكو ستحظى بالملك ، ولذا ، فقد خشى ان زعيما قويا نشيطا مثله ، غمس يديه فى الدم الملكى ، قد يقتدي بالمثل الذى أقامه هو : فدعاه بلطف مع ابنه الى مأدبة ،وجعل البعض يقتالونه عند عودته على نحو يبدو كأنه قتل صدفة فى مناوشة مباغتة . أما ابنه فلياتكوس ، فلم يكن معروفا ، وهرب تحت جنح الظلام ، وعندما أخبره أصدقاؤه أن أباه قتله الملك غيلة وغدرا ، وأن حياته هو أيضا مطلوبة ، هرب سرا الى ويلز . ان هذهالجريمة التى اقترفتبمثل هذه القسوة والغدر ، ارهبتالنبلاء، وجعلت كلا يخشى على سلامته ، وذهبوا جميعا الى بيوتهم ، ولم يعد أحد منهم الى البلاط ثانية الا فيما ندر . وهكذا فان فظاعة الملك راحت تتبدى فى البعض مكشوفة ، ويشتبه فيها الكل سرا ، وتبادل الرعب انما أدى الى تبادل الكراهيةبينه وبين اشرافه ، وعندما غدا التستر مستحيلا ، راح يكاشف الملاء بطغيانه . فأعدم العموم أقوى الزعماء ، باوهى الحجج ، وغالبا بتهم ملفقة . وبأموالهم المصادرة نظم عصبة من الاشرار تحت اسم « الحرس الملكى » .

xi

ومع هذا كله ، فان الملك لم يظن ان ذلك كاف لحماية حياته . فشرع فى بناء قلعة على تل دنسينان ، يرى منه المشهد متراميا من كل جانب . وعندما بدأ السير فى البناء ، لصعوبة حمل المواد ، أمر الامراء كلهم، فى جميع ارجاء المملكة ، ان يزودوا بالدور العمال والعربات ، وان عليهم ان يشرفوا على العمليات بأنفسهم ، كمفتشين . وكان مكدف ، أمير فايف ، أيامئذ بالغ القوة ، ولكنه لم يجرأ على وضع حياته بين يدى الملك ، فكان كثيرا ما يرسل العمال وهناك ، وكذلك عددا من أخلص اصدقائه لحثهم على الجهد فى العمل . وجاء الملك ذات يوم ليرى البناء ، اما رغبة منه فى تفقد سير العمل ، كما زعم او ليلقى القبض على مكدف ، كما خشى هذا ، واتفق ان زوجا من الثيران تحت النير عجزا عن جر حملهما الى أعلى التل . فاغتنم الملك هذه الفرصة بحماس ليطلق سخطه ، مهددا بانه سيخضع روح الامير المزدرية ،

والتي يعرفها حق المعرفة ، ويضع النير على عنقه هو : فلما ابلغ مكدف هذا الكلام ، وضع عائلته فى عهدة زوجته ، ودونما تأخير أبحر الى لوتيان فى مركب صغير أقيم شراعه على عجل لهذا الغرض ، ومن هناك اتجه الى انكلترة .

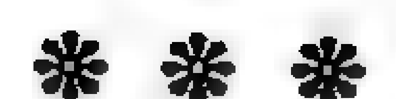
وما كاد يسمع مكبث بنيته على الهرب ، حتى اسرع فى الحال على راس مجموعة قوية من الجند الى فايف ، للحيلولة دون هربه اذا امكن ، وعند وصوله ، ادخل فى الحال الى قلعة مكدف ، واذا لم يجد الامير نفذ انتقامه فى زوجته و الباقين من اولاده . وصادر أراضيه ، واعلنه عاصيا ، وهدد بعرض أشد العقوبة على كل من يجرأ على الاتصال به . وعلى هذه الشاكلة ، أخذ يتصرف بأشد الفلاظة تجاه من تبقى من الاغنياء ، والاقوياء ، دونما تمييز . وتحقيرا للنبلاء ، جعل يدير شؤون مملكته الداخلية بمشورة اسرته ، دون أن يتنازل فيستشير احدا منهم .

فى اثناء ذلك ، وصل مكدف الى انكلترة ، ووجد مالكولم يعيش عيشة ملكية فى بلاط الملك ادوارد . لأن ادوارد بعد ان استعيد من المنفى الى العرش ، على اثر اندحار جيش الدانمركيين فى انكلترة ، كان لاسباب عديدة مهتما بمصلحة مالكولم — الذى قدمه اليه — سيبارد ، جد مالكولم لأمه ، اما لأن أباه وجد ايام حكمهما مقاطعة كمبرلاند ، كانا شديدى التعلق بأسلافه ، او لأن تشابه الظروف ، وتذكر الاخطار المتبادلة ، ولذا صداقة متبادلة ، لان الملكين كليهما دفعهما الى النفى الطغاة ، او لأن مصائب الملوك تثير الاهتمام دائما فى أذهان اعظم الغرباء . ولذلك فان مكدف . حالما اتيحت له الفرصة ، خاطب مالكولم بخطاب طويل ، رثا فيه شقاءه فى ضرورة هربه ، وصور قسوة مكبث تجاه الطبقات كلها ، وكراهية الطبقات كلها له ، وحث مالكولم بقوة على محاولة استعادة عرش ابيه ، ولاسيما أن ليس بوسعه دون ذنب عظيم أن يترك من غير عقاب مصرع أبيه ، وان يتغافل عن تعاسات شعب جعله الله نفسه فى عهدته ، او أن يتصامم عن التماسات اصدقائه العادلة . وفضلا عن ذلك ، فان بامكانه ان يعتمد على العون من حليفه ، الملك الممتاز

ادوارد ، وعلى عواطف الشعب ، الذى يكره الطاغية، ولابد ان الله لن يكف عن المساعدة فى قضية عادلة ضد شرير . اما مالكولم ، فكان قد طلب اليه العودة من قبل العديد من الجواسيس الذين يرسلهم مكبث لاستدراجه الى الفخ ، فصمم قبل ان يغامر بحظه فى شأن عظيم كهذا على امتحان امانة مكدف . ولذلك . اجاب قائلا : « أنا فى الواقع لست جاهلا بما تعلمنى ، ولكننى اخشى أنك لاتعرفنى كل المعرفة ، وانت تدعونى الى لبس التاج ، وذلك أن الرذائل نفسها التى دمرت الكثير من الملوك ، كالشهوة والجشع ، موجودة فى أيضا ، ورغم انها مستورة الآن فى وضعي كفرد عادى ، فانها ستنطلق صريحة فى حرية الوضع الملكى . فاحذر اذن من أنك تدعونى الىالتدمير،وليس للملك. » أجاب مكدف بأن شهوة الفحش بعد التنويع ، يمكن كبحها بزواج مشروع ، وان الجشع يمكن دفعه بالقضاء على الخوف من الاملاق . فرد على ذلك مالكولم قائلا انه يؤثر أن يعترف له صراحة كصديق ، على ان تفتضح سيئاته فيما بعد ، مما قد يكون خطرا على كليهما : انه لايؤمن الصدق او الاخلاص ، وانه لايأتمن احدا على سره ، وانه قد يغير خططه عند كل نسمة من ريبة ، وانه ينطلق من تقلب مزاجه فى حكمه على كل شخص آخر.واذا بمكدف يصيح قائلا : « اليك عنى ! يا عارا على دمك واسمك الملكى ، الخير لك أن تسكن الصحراء من أن تحكم » . وهم بالخروج مغضبا ، عندما أخذه مالكولم من يده ، وشرح له السبب فى ادعائه ، من انه كثيرا ماخودع من قبل برسل من مكبث ، وانه لايستطيع التهور بالثقة فى كل من جاره ، غير انه بالنسبة الى مكدف ، فانه أصله ، وسلوكه ، وأخلاقه ، وظروفه ، تدعوه الى الثقة فيه . ثم اقسم كلاهما على الولاء للآخر ، واخذا يتشاوران حول الوسائل الضرورية لتحقيق القضاء على الطاغية . وبعد أن ارسلا سرا مع الرسل نبأ خطتهما الى اصدقائهما ، تلقيا من الملك ادوارد عشرة آلاف جندى، بقيادة سيبارد ، جد مالكولم لأمه .

لقد أثار خبر زحف هذا الجيش حركة كبيرة فى اسكوتلنده ، وراح الكثيرون ينضمون كل يوم الى

الملك الجديد ، حتى كاد مكبث ان يهجره الجميع ، فلم يجد وهو فى هذا الهجران الفجائى خيرا من ان يقبع فى القلعة فى دنسينان ، وارسل صحبه مع الاموال الى ايبودي ، وارلنده ، للحصول على الجنود . وعندما علم مالكولم بنواياه ، زحف راسا عليه ، ترافقه اينما سار هتافات الناس ودعاءاتهم بنجاحه ففرح الجنود بذلك واستبشروا بالنصر ، ووضعوا فى خوذهم غصونا خضراء ، وكأنهم جيش عائد بالظفر ، لا سائر الى المعركة . فذهل مكبث لثقة العدو هذه ، وهرب فى الحال . ولما راى جنوده ان قائدهم قد هجرهم ، استسلموا لمالكولم ، وفى حين ان مكدف راح فى أثر الطاغية ، وادركه ، وقتله . وهنا يروى بعض كتابنا عددا من الحكايات تليق بالتمثيل المسرحي ، أو الرومانسيات الميليزية ، اكثر مما تليق بالتاريخ ، ولذا فانى اهملها . وقد حكم مكبث اسكوتلندة سبعة عشر عاما ، انجز فى العشرة الاولى منها واجبات خير الملوك، غير انه فى السبعة الاخيرة بز فى قسوته اغلظ الطغاة .



ملحق ج

جون لزلى

من كتابه **De Origine, Moribus, et Rebus Gestis Scotorum**

الفصل الرابع والثلاثون : دنكن

دنكن حفيد مالكولم * أصبح بعد ذلك ملكا بموافقة الجميع ، وهو رجل لم يشب طبعه أى فظاظة او سخط او مرارة ، من النوع الذى لايرد على أحد حتى عندما يستفز بأعظم الاساءة . وقد استغل عامة الشعب هذا الميل العجيب فى الملك الى الرحمة ، وأرخوا العنان لشهواتهم الشريرة كوحوش برية أطلقت من كل قيد . ولأن دنكن نفسه لم يكن بمقدوره أن يتصرف الا بالتسامح والرأفة ، فقد أوكل سلطات حكمه الى مكبث ، وهو رجل اميل قليلا الى الاجراءات الصارمة . وقد اغتنم مكبث أول فرصة ووضع حدا لفوضى الأمة بفرضه اشد العقوبة على سكان لوخابر (وكانوا قد نهبوا من بانكوو ، امير لوخابر الملكى ، الممتلكات الملكية وكثيرا من المال ، اضافة الى اصابته بجرح بليغ) .

وساق مكبث أيضا الى قلعة لوخابر مكدونالد ، حاكم الجزر الذى دعم هؤلاء اللصوص وقاتل بعناد من أجلهم . وهناك حوصر حصارا شديدا لم يبق له منفذ للهرب . فارتعب مكدونالد اذ تخيل العقوبات التى سيقاسيها اذا وقع فى أيدى أعدائه ، وأعماه العناد ، فقتل نفسه كما قتل أفراد أسرته .

وفى هذه الاثناء عبر ملك النرويج البحر الى اسكوتلندة ومعه جيشه ، مسببا حربا لا مبرر لها البتة بحجة الثأر لمذبحة قديمة كان مواطنوه ضحاياها . فحاصر دنكن فى قلعة وضغط عليه ضغطا كان سيؤدى الى اضطراره الى التسليم لعدوه ، لولا أنه استغل بسرعة فرصة الهجوم على الدانيين وهم غارقون فى شرابهم . ولم يطل الأمر بمكبث اذ جاء لاسعافه بمدد من الجند . وعندئذ رفع الملك سفين خيامه على عجل وهرب الى سفنه ، لأنه لم يهزم

---

* قتل مالكولم فى غلامس عام ١٠٤٠ (نهاية الفصل الثالث والثلاثون) .

فحسب ، بل كان الخطر شديدا على حياته بالذات . ولم يسمح دنكن لفرصة تحطيم الدانيين بالافلات من يده ، واستطاع بمشوره مكبث ان يتغلب على أسطولهم ويشتته فى كنغورن . وما زالت قبور الدانيين قائمة هناك حتى اليوم ، وشارات الذكرى المحفورة فى الحجر مازالت تنطق بالمجد الخالد لتلك العملية .

ولكن ان هى أيام حتى زها مكبث بالغرور ، وتلوى عزمه بشهوة مجنونة فى السلطة ، فقتل بصورة شنيعة مليكه الاقدس دنكن ، وهو الذى كان قد كافاه باعظم التكريم والعطاء ، فى السنه السادسة من حكمه . وعلى خوفه من الجريمة ، فان زوجته حثته عليها بجميل الوعود بان نتيجتها ستكون سعيدة . اما ولدا دنكن ، مالكولم كانموير ودونالد ، فقد ذعرا لمقتل أبيهما ، وأبديا حكمة عندما صمما على الهرب من البلد .

الفصل الخامس والثلاثون : مكبث

وهكذا اغتصب مكبث العرش عنوة . وكان ابن دوادة ، ابنة الملك ، مالكولم الثانى . بالرغم من شهرة مكبث بسطوته فى الحرب، وجنوب طبعه الى القسوة ، فقد فكر فى توطيد ملكه اللاشرعى بمحاباة النبلاء عن طريق اخماد اللصوصية وقطع الطرق ، ومساعده عامة الشعب بتشريعات مفيدة ، وبذا يربط الفئتين بنفسه بروابط شديدة من المودة . ولكن تقريع ضميره فى النهاية بسبب اعماله المشينة ، اعتمل فى دخيلته وسبب له خوفا على حياته من الذين يحيطون به ، فتحول لطفه الى انعدام فى الرحمة . واخذ يعدم نبلاءه على نحو مكشوف أو يغريهم بدهائه على التآمر على قتل بعضهم البعض .

وقد اعتبر بانكوو ، وبشكل خاص مكدف ، خطرين جدا . وقضى على بانكوو فى أول فرصة سانحة ، بينما راح يدبر بدهائه فخا لمكدف . وجملة القول فقد اضحى ، كأى طاغية ، يخاف جميع الناس ، وجميع الناس يخافونه . وبذلك غدا الناس ، عن عقل . قلقين على مملكتهم ، وعلى سلامتهم . فأرسلوا مكدف الى انكلتره ، حيث كان مالكولم كانموير فى المنفى ، ليدعوه الى استعادة ميراثه المشروع ، وللتأكيد له باليمين المقدسة على ولائهم له ضد مكبث . ولما سمع الملك ادوارد هذا الخبر ، زود مالكولم كرما منه بعشرة آلاف جندى انكليزى . وعاد مالكولم الى اسكوتلنده ، وطارد مكبث فى عدد من المعارك الشرسة ، اولا الى دنسينان ، ثم الى لمفتان . وهناك اعدم مكدف ، امير فايف ، مكبث (وكان هذا قبل ذلك بقليل قد امر باعدام مكدف فأثنى مالكولم عليه وسخا فى عطائه . وكل موت مكبث فى السنة السادسة من طغيانه .

فهرست

ماصدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
١	مانويل جاليتش	سمك عسير الهضم
٢	جان آنوى	القبرة (جان دارك)
٣	هال بورتر	البرج
٤	تساو يو	عاصفة الرعد
٥	هارولد بنتر	١ ـ الخادم الاخرس ٢ ـ التشكيلة او عرض الازياء
٦	جون وبستر	الشيطانة البيضاء
٧	تيرانس راتيجان	الاسكندر المقدونى أو قصة مغامرة
٨	تييرى مونييه	سباق الملوك
٩	جون مورتيمر	استعدوا لركوب الطائرة وغيرها
١٠	فريدريش دورنيمات	النيـزك
١١	يونسكو ـ اداموف ـ ارابال ـ البى	دراما اللامعقول
١/١٢	أوجست سترندبرج	(من الاعمال المختارة) سترندبرج ـ ١ ١ ـ مس جوليـا ٢ ـ الاب
١٣	نيقوس كازنتزاكى	عطيل يعـود
١٤	بيتر فايس	انشودة انجولا
١٥	اوليفر جولد سميث	تواضعت فظفرت
١/١٦	موليير	(من الاعمال المختارة) موليير ـ ١ • مدرسة الزوجات • نقد مدرسة الزوجات • ارتجاليـة فرساى
١٧	دوجلاس ستيوارت	عسكر ولصوص اونيد كيللى
١٨	وليم شكسبير	العين بالعين
١/١٩	أوجست سترندبرج	(من الاعمال المختارة) سترندبرج ـ ٢ الطريق الى دمشق ـ ثلاثية

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
٣/٣٥	سوفوكل	(من الاعمال المختارة) سوفوكل ـ ٢ ١ ـ أوديب الملك ٢ ـ أوديب فى كولون ٣ ـ اليكترا
١/٣٦	جان جيرودو	(من الاعمال المختارة) جان جيرودو ـ ١ ١ ـ اليكترا ٢ ـ لن تقع حرب طروادة
١/٣٧	يوجين يونسكو	(من الاعمال المختارة) يوجين يونسكو ـ ١ ١ ـ المغنية الصلعاء ٢ ـ الدرس ٣ ـ جاك أو الامتثال ٤ ـ المستقبل فى البيض ٥ ـ الكراسى
٣٨	كوبر ـ تشيرشل ـ شارب ـ مانج	مسرحيات اذاعية
٢/٣٩	جبرييل مارسل	(من الاعمال المختارة) جبرييل مارسل ـ ٢ ١ ـ روما لم تعد فى روما ٢ ـ المحراب المضىء أو (مصباح النعش)
٤٠	انطون تشيخوف	١ ـ شيطان الغابة ٢ ـ الخال فانيا
٢/٤١	جورج شحادة	(من الاعمال المختارة) جورج شحادة ـ ٢ ١ ـ مهاجر بريسبان ٢ ـ البنفسج
١/٤٢	لويجى بيرندلو	(من الاعمال المختارة) لويجي بيرندلو ـ ١ ١ ـ ديانا والمثال ٢ ـ الحياة عطاء ٣ ـ لذة الامانة
٤٣	جيمس جويس	١ ـ ستيفن « د » ٢ ـ منفيون

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
٤/٤٤	ـ أوجست سترندبرج	(من الاعمال المختارة) سترندبرج ـ ٤ ١ ـ الفرملاء ٢ ـ الاميرة البيضاء ٣ ـ عيد الفصح
٣/٤٥	ـ سـوفوكل	(من الاعمال المختارة) سوفوكل ـ ٣ ١ ـ انتيجونة ٢ ـ اجاكس ٣ ـ فيلوكتيت
٣/٤٦	ـ جان جيرودو	(من الاعمال المختارة) جان جيرودو ـ ٢ ١ ـ سدوم وعمورة ٢ ـ مجنونة شايو
٣/٤٧	ـ يوجين يونسكو	(من الاعمال المختارة) يوجين يونسكو ـ ٢ ١ ـ ضحايا الواجب ٢ ـ مرتجلة الـمـا ٣ ـ سفاح بلا كراء
٣/٤٨	ـ جبرييل مارسل	(من الاعمال المختارة) جبرييل مارسل ـ ٣ ١ ـ طريق القمة ٢ ـ العالم المكسور
٤٩	ـ البى شيزجال	١ ـ الحلم الامريكى ٢ ـ الطابعان على الالة
٥٠	ـ ارمان سالاكرو	الارض كرويـة
٢/٥١	ـ جورج برناردشو	(من الاعمال المختارة) جورج برناردشو ـ ٢ ١ ـ السـلاح والانسان ٢ ـ كانديدا ٣ ـ رجل القادير
٥٢	ـ هارولد بنتر	الحارس
٥٣	ـ مارتنيس دى لاروزا	ابن امية أو ثورة الوريسكيين

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
٥٤	وليم شكسبير	ماساة كريولانس
٥٥	انطونيو بويرو باييخو	القصة المزدوجة للدكتور بالى
٥٦	يوربيديس	● الكتـرا ● اورستيس
٥٧	فيكتور هيجو	هرناني
٥٨	ليو تولستوى	المستنيرون
٣/٥٩	موليير	(من الاعمال المختارة) موليير – ٢ ١ – سجاناريل ٢ – المتحذلقات المضحكات ٣ – مدرسة الازواج ٤ – الطبيب الطائر ٥ – غيرة الباربوييه
٦٠	روبرت شيروود	الطريق الى روما
٦١	فيليب بارى	● المهرجون ● قصة فيلادلفيا
٦٢	ماكس فريش	● قصة حياة
٦٣	جون جي	● اوبرا الصعلوك
٦٤	دنيس ديدرو	● الابن الطبيعى
٥/٦٥	أوجست سترندبرج	(من الاعمال المختارة) سترندبرج – ٥ ١ – رقصة الموت ٢ – الطريق الكبير
٦٦	وليم سارويان	١ – ايـام العمر ٢ – سكان الكهف
٦٧	اندريه شديد	١ – العارض ٢ – بيرينيس المصرية
٢/٦٨	لويجي بيرندلو	(من الاعمال المختارة) بيرندلو – ٢ ١ – المعصرة ٢ – اداء الادوار ٣ – أبو زهرة بفمه

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
٦٩	البير كامي	حالة طوارىء
١/٧٠	برتولت برشت	(من الاعمال المختارة) برتولت برشت ـ ١ ١ ـ حياة جاليلو ٢ ـ طبول فى الليل
٧١	جراهام جرين	غرفة المعيشة
٣/٧٢	يوجين يونسكو	(من الاعمال المختارة) يوجين يونسكو ـ ٣ ١ ـ المستاجر الجديد ٢ ـ اللوحة ٣ ـ الخرتيت
٣/٧٣	جورج شحادة	(من الاعمال المختارة) جورج شحادة ـ ٣ ١ ـ السفر ٢ ـ سهرة الامثال
٧٤	ثورنتون وايلدر	نجونا باعجوبة
٣/٧٥	جورج برناردشو	(من الاعمال المختارة) جورج برناردشو ـ ٣ ١ ـ تلميذ الشيطان ٢ ـ هداية القبطان براسباوند
٧٦	وليم شكسبير	● الملك لير
٧٧	وول شوينكا	● الطريق
٧٨	الكسى اربوزف	● عزيزى مارات المسكين
٧٩	هوجو فون هوفمانزتال	زفاف زبيدة
١/٨٠	جون آردن	(من الاعمال المختارة) جون آردن ـ ١ ١ ـ مياه بابل ٢ ـ رقصة العريف
٨١	رومان رولان	روبسبيير
٨٢	سينيكا	● آوديب

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
١/٨٣	يوجين اونيل	(من الاعمال المختارة) يوجين اونيل ــ ١
		١ ــ ظمـا
		٢ ــ عبودية
		٣ ــ ضـباب
		٤ ــ مبحرون شرقا الى كارديف
		٥ ــ فى المنطقة
		٦ ــ بدر على البحر الكاريبى
٨٤	جان كوكتو	١ ــ فرسان المائدة المستديرة
		٢ ــ الآبـاء الأشقياء
٨٥	تيرانس راتيجان	١ ــ تعلم الفرنسية بلا دموع
		٢ ــ الممر المضىء
٨٦	فدريكو غرسيا لوركا	● العرس الدموى
٨٧	كالدرون دى لاباركا	● الحياة حلم
٨٨	وليم شكسبير	● يوليوس قيصر
٨٩	يوربيبيديس	١ ــ الفينيقيات
		٢ ــ المستجيرات
٩٠	الكسندر استروفسكى	● لكل عالم هفوة
١/٩١	جون ملينجتون سنج	(من الاعمال المختارة) جون ميلنجتون سنج ــ١
		١ ــ ظل الوادى
		٢ ــ الراكبون الى البحر
		٣ ــ زفاف السمكرى
		٤ ــ بئر القديسين
٢/٩٢	جون ميلنجتون سنج	(من الاعمال المختارة) جون ميلنجتون سنج ــ ٢
		١ ــ فتى الغرب المدلل
		٢ ــ ديردرا فتاة الاحزان
		٣ ــ عندما غاب القمر
٩٣	آرثر ميللر	١ ــ كلهم ابنائى
		٢ ــ الثمن

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
٢/٩٤	برتولت برشت	(من الاعمال المختارة) برتولت برشت ـ ٢ ١ ـ أوبرا القروش الثلاثة ٢ ـ لوكلوس ٣ ـ بعــل
٩٥	وليم شكسبير	تيمون الاثينى
٩٦	كارلو جولدونى	خادم سيدين
٩٧	اوجين لابيش	رحلة السيد بريشون
٤/٩٨	لويجى بيرندلو	(من الاعمال المختارة) يوجين يونسكو ـ ٤ ● فتاة فى سن الزواج ● مشاجرة رباعية ● تخريف ثنائي ● الثغــرة ● لعبة الموت
٣/٩٩	لويجى بيرندلو	(من الاعمال المختارة) لويجى بيرندلو ـ ٣ ١ ـ ست شخصيات تبحث عن مؤلف ٢ ـ كل شيخ له طريقة ٣ ـ الليلة نرتجل
١/١٠٠	تشيكا ماتسو	(من الأعمال المختارة) تشيكا ماتسو ـ ١ ١ ـ انتحار الحبيبين فى سونيزاكى ٢ ـ معارك كوكسينجا
٢/١٠١	يوجين اونيل	(من الاعمال المختارة) يوجين اونيل ـ ٢ ١ ـ وراء الافق ٢ ـ انا كريستى
٢/١٠٢	جون آردن	(من الاعمال المختارة) جون آردن ـ ٢ ١ ـ الحرية المغلولة ٢ ـ صعود البطل
١٠٣	وليم شكسبير	ماساة عطيل
١٠٤	جايلز كوبر . كولين فينيو	١ ـ الطلبة المشاغبون ٢ ـ قبل يوم الاثنين الوعود ٣ ـ الليلة يوم الجمعة

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
١/١٠٥	برانيسلاف نوشيتش	١ ـ حرم سعادة الوزير ٢ ـ الدكتور
١/١٠٦	دنيس جونستون	١ ـ من المسرح الايرلندي ـ ١ القمر في النهر الاصفر
١٠٧	تيراتس راتيجان	١ ـ بينما تسطع الشمس ٢ ـ المهرجـون
١٠٨	فرانسواز ساجان	● ـ الحصان المغمى عليه ● ـ الشوكة
٢/١٠٩	تشيكاماتسو	(من الاعمال المختار) تشيكاماتسو ـ ٢ ● ـ الصنوبرة المجتثة ● ـ انتحار الحبيبين فى آميجيما
٣/١١٠	برتولت برشت	(من الاعمال المختارة) برتولت برشت ـ ٣ ● الام شجاعة ● السيد بنتلا وخادمه ماتى
٥/١١١	يوجين يونسكو	(من الاعمال المختارة) يوجين يونسكو ـ ٥ ● الغضب ● الملك يموت ● العطش والجوع
١١٢	وليم شكسبير	● العاصفة
١١٣	وليم كونجريف	● هكذا الدنيا تسير
١١٤	الفونسو ساسترى	● الدراما الثورية الاسبانية ● فصيلة على طريق الموت ● النطحـة ● الكمـامـة
٣/١١٥	يوجين اونيل	(من الاعمال المختارة) يوجين أونيل ـ ٣ مرحلة الواقعية الاولى رغبة تحت شجر الدردار
١١٦	جان كوكتو	الالة الجهنمية
١١٧	يوهان فلفجانج جيته	جيتس فون برلشنجن

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

من الاعــداد القادمة
١٩٨١/١٩٨٠

المؤلف	المسرحية	المترجم
جون هاردي	القلب المحطم	د. مير صلاحي الاصبحي
تورجينيف	العالة ـ خيال مريض ـ الاعزب ـ الريفية ـ شهر في القرية	د. سميه عفيفي
جيته	توركواتو تاسو	د. عبد الرحمن بدوى
آرثر ميللر	الفاشزون	د. محمد رجاء الدرينى
فرانس جريلبارتسر	الجدة الاولى ـ سابغو	د. بكر الجوهرى
كورنى	ميليت ـ السيد	د. وثر عبد السلام البحيرى
جيمس بروم لين	الزملاء الثلاثة	الشريف خاطر
برانيسلاف نوستيش	ممثل الشعب ـ المرحوم ـ مستردولار	د. فوزى عطيه محمد
المر رايس	مشهد فى الطريق	محمد الحديدى
	دنيا زوال	د. محمد رجاء الدرينى
يوجين اونيل	الامبراطور جونز	د. عبد الله عبد الحافظ
	الاله الكبير براون	د. عبد الله عبد الحافظ
	الغوريللا	د محمد اسماعيل الموافي
روبرت بولت	تحيا الملكة	محمد كامل كمالى
	الكرز المزهر	الشريف خاطر
	النمر والحصان	الثريف خاطر
جولدونى	ثلاثية الاصطياف	سع أردش
ايسخيلوس	الفرس السبعة ضد طيبه ـ مقيدا ـ المستجيرات ـ بروميثيوس	أين سلامه
شون اوكيسى	المحراث والنجوم	فوزى العنتيل
	ظل مقاتل ـ نهاية البداية	حسن على اللبودى
ادواردو دى فيليبو	عائلتى ـ الاشباح	د.سلامه محمد محمد سليمان
الفريد دى موسيه	لورانزاتشو	ميخائيل بشباى

المترجم : **جبر ابراهيم جبرا** : خبير فى وزارة الثقافة والاعلام فى بغداد : ولد فى بيت لحم ـ فلسطين ـ عراقى الجنسية : نقل الى العربية اكثر من ٢٠ كتاباً .. ومن أهم ما ترجم ٦ مسرحيات لشكسبير هى : ـ **هاملت** ، **الملك لير** ، **عطيل** ، **مكبث** ، **كريولانوس** ، **العاصفة** .

في العدد القادم

● **القيثارة الحديدية** **تاليف : جوزيف أوكونر**

هذا هو العدد الثاني من مجموعة « من المسرح الايرلندى » . مؤلفها جوزيف أوكونر من أعمدة الحركة المسرحية الايرلندية ومن خيرة كتابها . يعالج فى مسرحيته هذه قضايا سياسية واجتماعية ودينية تتعلق بالمجتمع الايرلندى فى فترة كفاحه من أجل الاستقلال. ولكنه يسمو فوق الحدود السياسية والاختلافات الدينية ويهتم بالجانب الانسانى المحض . يرى أن الحب هو أساس التعامل بين الناس وأن الحرب لا تجلب الا البؤس والشقاء وأن الاختلاف بين المذاهب الدينية يجب الا يكون عائقا أمام تجميع القلوب . يبغض الكاتب سفك الدماء حتى لو كان ذلك فى سبيل قضية وطنية كبرى، ويؤكد أن العنف لا يؤدى الا الى مزيد من العنف ومزيد من الكراهية والفرقة وسفك الدماء . يندد بتلك الشرذمة من المقاتلين الانجليز الذين القت بهم انجلترا الى ايرلندا ليعيشوا فى الارض فسادا يقتلون وينهبون ويسفكون دماء الأبرياء وفى نفس الوقت يندد برجال الجيش الجمهورى الايرلندى الذين لا يعرفون لغة للتفاهم سوى القتل والاغتيال باسم الوطنية وباسم الدين .

المسرحية اجتماعية جادة وهادفة وتثير تساؤلات عديدة بطريقة موضوعية وشيقة وفى نفس الوقت تعكس حقبة من الزمن فى تاريخ ايرلندا المثير يخفى على كثير من قراء العربية .

فى هذا العدد

● **مكبث**

تأليف : وليم شكسبير

تمثل **مكبث** أعمق رؤية للشر وانضجها عند شكسبير ، « وهى صورة معركة خاصة فى حرب كونية شاملة ، وأما ساحة المعركة ففى روحى مكبث وزوجته »

تأتى **مكبث** بعد **هاملت** ، **عطيل** ، **الملك لير** . **كان عطيل ((قاتلا شريفا))** ، وكان الشر فى **الملك لير** مركزا فى الرباعى الوحشى جونريل ، ريجن ، ادموند ، كورنوول ، أما فى **مكبث** فيتحول الشر من الأنذال الى البطل والبطلة .

التضاد هو سمة المسرحية ، والتضاد بين النور والظلام ، والنظام والفوضى ، والصحة والمرض ، بعض من التضاد العام بين الخير والشر ، الملائكة والشياطين ، السماء والجحيم .

قد تكون **مكبث** أعظم المسرحيات الأخلاقية ، قصة نفس انسانية فى طريقها الى العذاب الملعون ، صورة لطاقة لاتقهر وهى تشتعل فى **((غابات الليل))** ، شمعة وجيزة يطفئها تراب ال
ولكنها ليست « حكاية/يحكيها معتوه ، ملؤها الصخب وال
ولا تعنى أى شىء » .